الجامعة الإسلامية – غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

الإرادة الإنسانية في ضوء القرآن الكريم

"دراسة موضوعية"

إعداد الطالب

محمد عثمان حلس

إشراف

الأستاذ الدكتور/ عبد السلام حمدان اللوح

قدم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

1430 هـ - 2009 م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza

عمادة الدراسات العليا

هاتف داخلي: 1150

ج س غ/35/
الرقم ... 2009/12/02 ... Ref
التاريخ ... Date

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة عمادة الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **محمد عثمان محمد حلّس** لنيل درجة الماجستير في **كلية *أصول الدين*/قسم التفسير وعلوم القرآن** وموضوعها:

"الإرادة الإنسانية في ضوء القرآن الكريم–دراسة موضوعية"

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم الاثنين 26 ذو الحجّة 1430هـ، الموافق 2009/12/14م الساعة العاشرة صباحاً، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ.د. عبد السلام حمدان اللوح	**مشرفاً ورئيساً**	....
د. زكريا إبراهيم الزميلي	**مناقشاً داخلياً**	....
د. محمود هاشم عنبر	**مناقشاً داخلياً**	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية *أصول الدين*/قسم التفسير وعلوم القرآن**.

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق ،،،

عميد الدراسات العليا

د. زياد إبراهيم مقداد

ص.ب. 108 الرمال. غزة. فلسطين هاتف Tel: +970 (8) 286 0700 فاكس fax: +970 (8) 286 0800 P.O. Box 108, Rimal, Gaza, Palestine
public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps

www.manaraa.com

﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾

سورة الإسراء: الآية 19

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾

سورة القصص: الآية 83

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإهـــداء

- إلى الرسول الأعظم، والمعلم الأكرم: محمدٍ صلى الله عليه وسلم.
- إلى والدي الكريمين، من ألبساني ثــوب رعايتهمــا، وأغــدقا علــيَّ بأفضالهما.
- إلى الإخوة والأخوات..
- إلى الأعمام والعمات..
- إلى الأخوال والخالات..
- إلى جامعتي الغرَّاء .. قلعة العلم وحصن العلماء وواحة المتعلمين.
- إلى كل مريدٍ للخير وداعٍ إليه.

إلى هؤلاء جميعاً أهدي هذا البحث المتواضع
سائلاً المولى عز وجل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم

الباحــث

محمد عثمان محمد حلس

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شكر وتقدير

الحمد لله حمداً يليق بجلاله وعظمته، أحمده سبحانه وتعالى على ما أكرمني به ووفقني لإتمام كتابة هذه الرسالة، فله الحمد وله الشكر على ذلك، وامتثالاً لقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿...رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾[1]، وامتثالاً لقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: **(من لا يشكر الناس لا يشكر الله)**[2]، فإنني أتوجه بخالص شكري وتقديري وخالص دعائي وامتناني من أستاذي وشيخي ومعلمي **فضيلة الأستاذ الدكتور/ عبد السلام حمدان اللوح – حفظه الله**، الذي تكرَّم وتفضَّل عليَّ بالموافقة على الإشراف على هذه الرسالة، فلم يدخر جهداً في إبداء توجيهاته وملاحظاته السديدة، فقد شملني بسعة صدره، وعظيم صبره، وكرم أخلاقه، فجزاه الله عني أعظم الجزاء وأحسنه، ورفع الله درجته وأعلى شأنه ومنزلته، وحفظه من كل سوءٍ ومكروه.

كما وأتوجه بعظيم الشكر والتقدير لأستاذي الكريمين عضوي لجنة المناقشة، اللذين تفضلا بقبول مناقشة هذا البحث، لإثرائه بعلمهما الغزير، وتصويب ما فيه من زللٍ وتقصير:

فضيلة الدكتور/ زكريا الزميلي حفظه الله.

وفضيلة الدكتور/ محمود عنبر حفظه الله.

فجزاهما الله عني خير الجزاء، وأبعد عنهما كل عناء، وأجزل لهما العطاء، وحفظهما من كل داء.

كما وأتقدم بشكري وتقديري العميقين لجميع أساتذتي في كلية أصول الدين عميداً، وأكاديميين، وإداريين، لما لهم عليَّ من فضل التدريس والتوجيه والإرشاد، فجزاهم الله عني خيراً.

كما وأتوجه بالشكر والعرفان لهذا الصرح العلمي الشامخ الذي أسأل الله أن يحفظه من كل كيد، إلى الجامعة الإسلامية التي أتاحت لي الفرصة للالتحاق بها، لإتمام دراستي العليا، فلها موفور الشكر والتقدير.

كما وأتوجه بالشكر والتقدير إلى عمادة الدراسات العليا بالجامعة، ممثلة بعميدها وإداريها، فلهم جزيل الشكر والتقدير.

([1]) سورة النمل – الآية 19.

([2]) سنن الترمذي – كتاب البر والصلة (24) – باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك (35) – ص445 – حديث رقم 1954 – قال الألباني: صحيح.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما وأتوجه بالشكر والتقدير للإخوة العاملين في المكتبة المركزية في الجامعة الإسلامية على ما يبذلونه من جهد في خدمة طلبة العلم، ومساعدة الباحثين والدارسين.

ولا يزال الشكر موصولاً لكل من مد لي يد العون والمساعدة لإتمام هذا العمل، وأخص بالذكر خالي الحبيب المهندس أبو محمود حفظه الله، وأخي وزميلي المهندس عائد تايه، والأستاذ وسيم سكيك (أبو بلال) الذي قام بطباعة البحث، فلهم مني جزيل الشكر والتقدير.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سـيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله –وحـده لا شريك له– وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد:

فإن تفسير القرآن الكريم لم يتوقف عند مرحلة من مراحل التاريخ الإسلامي، ولن يتوقف كذلك ما دام هناك عقل يتفكر، وقلب يتذكر، لأنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفـه تنزيل من حكيم حميد، فيه الهدى والشفاء، والرحمة والبيان، والموعظة الحسنة والتبيان، بـل إنَّ التفسير متجدد حسبما تقتضي الظروف والأحوال، ومن هذا التجديد: التفسير الموضوعي الـذي يعتبر منهجاً هاماً وفناً جديداً من مناهج وفنون التفسير القرآني لأنه تفسير العصر والمستقبل.

إن التفسير الموضوعي لموضوعي قرآني هو لون من ألوان التفسير الموضوعي، هذا بالإضـافة إلى ألوان التفسير الموضوعي الأخرى، التي تبحث بالتفسير الموضـوعي للمفـردة القرآنيـة، وللسورة القرآنية، والوحدة الموضوعية للقرآن كله.

وانطلاقاً من هذه الركائز الجوهرية، وخدمةً لهذا الطريق فإنني أقدم هذه الدراسة وهي بعنـوان: (الإرادة الإنسانية في ضوء القرآن الكريم – دراسة موضوعية) ولقد وقع الاختيـار علـى هـذا الموضوع بعد البحث في القرآن الكريم، فوجدت آيات كثيرة تغطي هذا الموضوع مـن جميـع جوانبه قد تزيد على المائة آية بالإضافة إلى آيات متممة ومكملة وتابعة للموضوع مما سـيجعل الآيات قرابة ثلاثمائة آية، فإن وفقت فيما عرضت فهو بتوفيق من الله عز وجل، وإن كان غيـر ذلك فهو من نفسي ومن الشيطان؛ وأستغفر الله.

أهمية الموضوع:

1. تعلق موضوع البحث بالقرآن الكريم أشرف وأَجَلْ كتاب على وجه الأرض.
2. أنه يمثل جانباً تطبيقياً للون هام من ألوان التفسير الموضوعي، وهو الموضوع القرآني.
3. أنه يتعلق بموضوع هام جداً له علاقة بالإنسان، فيبين العلاقة بين إرادة الإنسان ثـم إرادة الله، وعلاقة إرادة الإنسان بسعادته وشقاوته في الدنيا والآخرة.
4. يوضح للإنسان المسئولية المترتبة عليه تجاه نعمة الله عليه بأن وهبه الحريـة والاختيـار والإرادة، ووضع على كاهله عبء الاختيار.
5. أنه يوضح الحقيقة العقدية القائلة بأنه لا تعارض به كون كل شـيء بمشـيئة الله وقـدره وكون الإنسان مختاراً فيما كلف به ومحاسب عليه.
6. يبين للإنسان الأسباب والعوامل التي قد تؤثر في إرادته فتصرفه عن طاعة الله، وطريقـه القويم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أسباب اختيار الموضوع:

1. بعد النظر في كتاب الله وجدت عدداً كبيراً من الآيات القرآنية تزيد على المائة آية تتحدث عن إرادة الإنسان مما لفت انتباهي للكتابة في هذا الموضوع.
2. معلوم أن الإرادة دافع من دوافع العمل، ولها علاقة بالنية التي هي شرط وركن من أركان قبول الأعمال عند الله تعالى مما يؤكد أهمية الموضوع وضرورة الكتابة فيه.
3. مما شجعني للكتابة في هذا الموضوع أنه لم يكتب فيه من ناحية تفسيرية رسالة علمية محكمة.
4. تشجيع أساتذتي وبخاصة الأستاذ الدكتور عبد السلام اللوح –حفظه الله، للكتابة في هذا الموضوع وخوض غماره.
5. إبراز أهمية البحث في موضوع الإرادة الإنسانية من خلال ربطه بالواقع المعاصر.
6. المساهمة في استكمال جهود العلماء والباحثين السابقين من خلال تناول الموضوع باعتباره لوناً من ألوان التفسير الموضوعي.

أهداف البحث:

1. ابتغاء مرضاة الله تعالى أهم هدف وأسمى غاية أرجوها من كتابة هذا البحث.
2. عرض هذا الموضوع عرضاً متكاملاً يغطي الموضوع من جميع جوانبه.
3. بيان أنواع الإرادة الإنسانية وميادينها في القرآن الكريم، حيث إنه يتوقف عليها دخول الجنة أو النار.
4. بيان العوامل المؤثرة في إرادة الإنسان والتي قد تؤدي إلى انحرافه وفساد أعماله.
5. تطبيق نظرية التفسير الموضوعي لموضوع قرآني.
6. إثراء المكتبة الإسلامية برسالة علمية محكمة تتناول الموضوع في إطار ولون جديدين.

الجهود السابقة:

بعد الدراسة والتحري تبين لي أن هذا الموضوع من المواضيع الحديثة، ولم يتطرق إليه الباحثون بمثل هذا التصنيف، كما لم أعثر على رسالة علمية محكمة تناولت هذا الموضوع دراسة موضوعية ومحكمة، وقد قمت بمراسلة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية فأفادني أن قاعدة معلومات الرسائل الجامعية المتاحة لدى المركز تبين عدم توافر معلومات عن هذا الموضوع، وقمت بالبحث على شبكة الإنترنت فلم أجداً أحداً قد سبقني بهذه الدراسة، إلا أني قد وجدت بعض البحوث والمقالات الصغيرة المتعلقة بالموضوع، مثل:

1. مقال (روح وإرادة رمضان) للدكتور عبد الفتاح سعيد.
2. الرؤية بين الوضوح والإرادة للشيخ علي بن محمد المحفوظ، وعليه فالدراسة في هذا الموضوع مستجدة، والله تعالى أعلى وأعلم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

منهج الباحث:

أعتمدت في دراستي هذه على المنهج الاستقرائي، وما يتبعه من تحليل وتقرير واستنباط، وذلك من خلال ما يلي:

1. جمع الآيات القرآنية المتعلقة بموضوع الدراسة وكتابتها بالرسم العثماني وعزوها إلى سورها.
2. توزيع الآيات القرآنية التي تم جمعها في فصول البحث ومباحثه ومطالبه ما أمكن.
3. اعتماد منهج وخطوات التفسير الموضوعي المتعارف عليها في علم التفسير.
4. الرجوع إلى كتب التفسير القديمة والحديثة، وتفسير الآيات المتعلقة بموضوع الدراسة تفسيراً موضوعياً.
5. الاستدلال بالأحاديث الشريفة، ومحاولة تخريجها، ونقل حكم العلماء عليها ما أمكن.
6. شرح الألفاظ الغريبة وبيان معانيها مستعيناً في ذلك بالكتب المتخصصة وأمهات المعاجم اللغوية.
7. عرض آراء وأقوال العلماء المتعلقة بموضوع البحث من مصادرها الأصلية، مع الحرص على الأمانة العلمية.
8. عمل ترجمة للأعلام غير المشهورين والأماكن الغريبة التي قد ترد في البحث.
9. عمل الفهارس اللازمة التي تخدم البحث وتسهل الوصول للمعلومات.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، وذلك كما يلي:

- **المقدمة:** وتشتمل على:
  1. أهمية الموضوع.
  2. أسباب اختيار الموضوع.
  3. أهداف البحث.
  4. الجهود السابقة.
  5. منهج الباحث.
  6. خطة البحث.
- **التمهيد (مفهوم الإرادة وأنواعها):**

  ويشتمل على خمسة أمور
  1. تعريف الإرادة لغة واصطلاحاً.
  2. "راد" ومشتقاتها في السياق القرآني.
  3. أنواع الإرادة في القرآن الكريم.
  4. علاقة الإرادة بالمشيئة والرضا.
  5. علاقة الإرادة بالنيَّة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول

ميادين الإرادة الإنسانية

وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول: الإرادة الإنسانية في ميادين الخير**

وفيه ستة مطالب:

  - المطلب الأول: إرادة الإصلاح.
  - المطلب الثاني: إرادة النصح.
  - المطلب الثالث: إرادة السعي للآخرة.
  - المطلب الرابع: إرادة النكاح واستبدال الأزواج.
  - المطلب الخامس: إرادة الرضاع.
  - المطلب السادس: إرادة التحصن.

- **المبحث الثاني: الإرادة الإنسانية في ميادين الشر**

وفيه أحد عشر مطلباً:

  - المطلب الأول: إرادة الإضلال.
  - المطلب الثاني: إرادة الخداع.
  - المطلب الثالث: إرادة السوء.
  - المطلب الرابع: إرادة الخيانة.
  - المطلب الخامس: إرادة نقض العهود.
  - المطلب السادس: إرادة الفجور.
  - المطلب السابع: إرادة القتل والجبروت.
  - المطلب الثامن: إرادة الكيد.
  - المطلب التاسع: إرادة الفرار من الواجب.
  - المطلب العاشر: إرادة الإلحاد.
  - المطلب الحادي عشر: إرادة ولاية الكافرين.

الفصل الثاني

العوامل المؤثرة في الإرادة الإنسانية

وفيه ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول: خضوع الإرادة الإنسانية لمشيئة الله وإرادته**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: إرادة إطفاء نور الله.
- المطلب الثاني: إرادة الخروج من النار.

- **المبحث الثاني: اتباع الإرادة الإنسانية لوساوس الشيطان**

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: إرادة الشيطان في إضلال الإنسان.
- المطلب الثاني: إرادة الشيطان في إيقاع العداوة والبغضاء.

- **المبحث الثالث: اتباع الإرادة الإنسانية لشهوات الدنيا والنفس والهوى**

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: إرادة الدنيا وزينتها.
- المطلب الثاني: إرادة النفس وشهواتها.
- المطلب الثالث: إرادة إتباع الهوى.

الفصل الثالث

أنواع الإرادة الإنسانية

وفيه ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول: الإرادة الإنسانية الأخروية**

فيه أربعة مطالب:

- المطلب الأول: إرادة الله ورسوله والدار الآخرة.
- المطلب الثاني: إرادة التذَّكُر والشكر.
- المطلب الثالث: إرادة العِزَّة.
- المطلب الرابع: إرادة الهداية.

- **المبحث الثاني: الإرادة الإنسانية الدنيوية**

فيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: إرادة تحقيق المنفعة.
- المطلب الثاني: إرادة الطعام.
- المطلب الثالث: إرادة العلو في الأرض.

- **المبحث الثالث: الإرادة الإنسانية العامة**

فيه سبعة مطالب:

- المطلب الأول: إرادة سؤال الرسول.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- المطلب الثاني: إرادة البوء بالإثم للآخرين.
- المطلب الثالث: إرادة النفي من الأرض.
- المطلب الرابع: إرادة حلول الغضب.
- المطلب الخامس: إرادة الصد عن عبادة الآباء.
- المطلب السادس: إرادة التفضل على البشر.
- المطلب السابع: إرادة إيتاء الصحف.

- **الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.**
- **الفهارس:**
  - فهرس الآيات القرآنية.
  - فهرس الأحاديث النبوية.
  - فهرس الأعلام المترجم لهم.
  - فهرس المصادر والمراجع.
  - فهرس الموضوعات.

والله أسأل التوفيق والسداد

الباحـــث

محمد عثمان محمد حلس

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التمهيد

مفهوم الإرادة وأنواعها

أولاً: تعريف الإرادة لغة واصطلاحاً:

الإرادة لغة: أصل الفعل منها "راد" بمعنى إذا جاء وذهب ولم يطمئن، ويرى علماء اللغة أن الإرادة هي المشيئة، وأصل الألف فيها الواو، كقولك راوده: أي أراده على أن يفعل كذا، إلا أن الواو سكنت فنقلت حركتها إلى ما قبلها، فانقلبت في الماضي ألفاً، وفي المستقبل ياءً، وسقطت لمجاورتها الألف الساكنة، وعوض عنها الهاء في آخره[1].

وإلى جانب كون الإرادة يراد بها المشيئة، ترد أيضاً بمعنى المحبة حيث ورد في المعجم الوسيط "وأراد الشيء بمعنى شاءه وبمعنى أحبه وعنى به"[2]، وقيل "الإرادة تكون محبة وغير محبة"[3]، وكذلك وردت الإرادة بمعنى الطلب، ففي لسان العرب "وراد الكلأ يرودُهُ روداً، وريادا وارتاده ارتياداً، بمعنىً، أي طلبهُ"[4]، وتأتي أيضاً بمعنى القصد، قال ابن منظور: "إرادتي بهذا لك أي قصدي بهذا لك"[5]، ومنه قوله ﷻ: ﴿**لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ**﴾[6]، أي لا يقصدونه ويطلبونه، وتأتي أيضاً بمعنى الأمر "كقولك أريد منك كذا أي آمرك بكذا"[7]، نحو قوله ﷻ ﴿...**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**..﴾[8].

وأما الإرادة في قوله ﷻ: ﴿**فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ**﴾[9]، ليست حقيقية، وإنما هي إرادة مجازية، "لأن الإرادة من صفات العقلاء، وإسنادها إلى الجدار استعارة ومجاز"[10].

---

(1) انظر: لسان العرب – لابن منظور – 191/3، القاموس المحيط – للفيروز آبادي – ص257، أساس البلاغة – للزمخشري – ص257.

(2) المعجم الوسيط – للدكتور إبراهيم أنيس وآخرون – 381/1.

(3) لسان العرب – 188/3.

(4) المرجع السابق – 187/3.

(5) المرجع السابق – 188/3.

(6) سورة القصص – الآية 83.

(7) المفردات في غريب القرآن – للراغب الأصفهاني – ص207، وانظر: أساس البلاغة – ص257.

(8) سورة البقرة – الآية 185.

(9) سورة الكهف – الآية 77.

(10) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج – للزحيلي 6/16.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإرادة اصطلاحاً:

تعددت آراء العلماء في تعريف الإرادة الإنسانية، وذلك يرجع إلى فهم كل واحد منهم لهذه الإرادة الموجودة في الإنسان الذي ابتلاه الله بها.

فعرفها الإيجي[1] بقوله: "صفة مخصصة لأحد المقدورين"[2].

وعرفها السفاريني[3] بقوله: "صفة في الحي توجب تخصيص أحد المقدورين في أحد الأوقات بالوقوع مع استواء نسبة القدرة إلى الكل"[4].

وقال الجرجاني[5] عنها في التعريفات: "صفة توجب للحي حالاً يقع منه الفعل على وجه دون وجه"[6].

وعرفها الإمام الرازي بقوله: "ماهية يجدها العاقل في نفسه، ويدرك التفرقة البديهية بينها وبين علمه وقدرته وألمه ولذته"[7].

وعرفها الأشاعرة[8] بأنها: "صفة مخصصة لأحد طرفي المقدور بالوقوع"[9].

وعرفها الصوفية بأنها: "ترك العادة وهي بدءُ طريق السالكين، وأول منازل القاصدين"[10]، وقيل "الإرادة حجب النفس عن مراداتها، والإقبال على أوامر الله تعالى والرضا"[11].

---

(1) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار بن أحمد الإيجي قاضي القضاة عضد الدين الشيرازي – ولد بإيج من نواحي شيراز بعد السبعمائة، كان إماماً في المعقول قائماً بالأصول والمعاني والعربية، مشاركاً في الفقه، توفي مسجوناً بقلعة دريمتان سنة 756هـ. انظر (الدرر الكامنة – 322/2، طبقات الشافعية – للسبكي 46/10، البدر الطالع، ص335).

(2) المواقف – ص148.

(3) هو الإمام محمد بن أحمد بن سالم أبو العون شمس الدين السفاريني: نسبة إلى سفارين قرية من أعمال نابلس، ولد بها سنة 1113هـ، كان عالماً بالحديث والأصول والأدب، محققاً، توفي سنة 1188 هـ. انظر (الأعلام – للزركلي – 14/6، رفع النقاب عن تراجم الأصحاب – ابن ضوّيان – ص361).

(4) لوامع الأنوار البهية – ص145.

(5) هو الإمام علي ابن محمد الجرجاني ابن الشريف صاحب كتاب التعريفات. انظر (الأعلام – للزركلي – 115/2).

(6) التعريفات – ص26.

(7) التفسير الكبير – 137/2.

(8) الأشاعرة: هم أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري من أحفاد أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. انظر (موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب والحركات الإسلامية – د. عبد المنعم الحنفي – ص82).

(9) المرجع السابق – ص148.

(10) موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي – دكتور رفيق العجم – ص45.

(11) كتاب التعريفات – للجرجاني – ص26.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأما المعتزلة[1] فقد ذهب كثير منهم إلى أن "الإرادة اعتقاد النفع أو ظنه... وذهب بعضهم إلى أنها ميل يعقب اعتقاد النفع أو ظنه، لأن القادر كثيراً ما يعتقد النفع أو يظنه ولايريده ما لم يحدث هذا الميل"[2].

ويرد الإيجي على قول المعتزلة بقوله: "الإرادة عندنا غير مشروطة باعتقاد النفع أو بميل يتبعه... فإن الهارب من السبع إذا عَنَّ له طريقان متساويان فإنه يختار أحدهما، ولا يتوقف على ترجيح أحدهما النفع فيه، ولا على ميل يتبعه بل يرجح أحدهما بمجرد الإرادة... ومعلوم أنه من دهشته لا يخطر بباله طلب مرجح، وأنه لو لم يجد مرجحاً لم يتوقف متفكراً حتى يفترسه السبع"[3].

واستئناساً بالتعريفات السابقة مع الرد على بعضها يمكن الخروج بتعريفٍ أقرب للإرادة الإنسانية فهي "**تلك الدافعية الوجدانية النابعة من الذات الإنسانية للقيام بأمر ما سواء أكان هذا الأمر نافعاً أم ضاراً**".

فإذا تحققت تلك الدافعية، وتحقق ذلك الأمر، سواء كان هذا الأمر قولاً أو فعلاً، أو أية حركة يقوم بها الإنسان، فقد أصبحت الإرادة الإنسانية أمراً واقعاً مسموعاً، أو مشاهداً، بعد أن كانت نية وعزيمة وجدانية، غير مسموعة ولا مشاهدة.

ثانياً: "راد" ومشتقاتها في السياق القرآني:

بعد البحث والاستقصاء حول مادة "راد" في السياق القرآني، وجد الباحث أنها قد وردت على صيغ متعددة، بلغت مائة وتسعاً وثلاثين مرة، وسأعرض في هذا الجدول هذه الصيغ، وأماكن وجودها، وذلك بذكر الصيغة الواردة، واسم السورة، ورقم الآية، ومكيتها أو مدنيتها، وذلك فيما يلي:

اسم السورة	مكية/مدنية	التكرار	رقم الآية	نص الآية
أراد				
البقرة	مدنية	2	26	﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَـذَا مَثَلاً﴾
			233	﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾

(1) المعتزلة: ويسمون أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقدرية، وأصول مذهبهم هي: التوحيد، العدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. انظر (انظر: موسوعة الفرق والجماعات – د. عبد المنعم الحنفي – ص605).

(2) شرح المقاصد – للتفتازاني – 338/2.

(3) المواقف – للإيجي – ص149.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اسم السورة	مكية/مدنية	التكرار	رقم الآية	نص الآية
المائدة	مدنية	1	17	﴿إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ﴾
يوسف	مكية	1	25	﴿مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءًا﴾
الرعد	مدنية	1	11	﴿وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا﴾
الإسراء	مكية	2	19	﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا﴾
			103	﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الأَرْضِ﴾
الكهف	مكية	1	82	﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾
الفرقان	مكية	2	62	﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾
القصص	مكية	1	19	﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ﴾
الأحزاب	مدنية	3	17	﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ﴾
			50	﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾
يس	مكية	1	82	﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا﴾
الزمر	مكية	1	4	﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾
الفتح	مدنية	2	11	﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾
الجن	مكية	1	10	﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾
المدثر	مكية	1	31	﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾
أرادا				
البقرة	مدنية	1	233	﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ﴾
أرادني				
الزمر	مكية	2	38	﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ﴾
			38	﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ﴾
أرادوا				
البقرة	مدنية	1	228	﴿إِنْ أَرَادُواْ إِصْلاَحًا وَلَهُنَّ﴾
التوبة	مدنية	1	46	﴿وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ﴾
الأنبياء	مكية	1	70	﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾
الحج	مدنية	1	22	﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا﴾
السجدة	مكية	1	20	﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا﴾
الصافات	مكية	1	98	﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اسم السورة	مكية/مدنية	التكرار	رقم الآية	نص الآية
أردت				
هود	مكية	1	34	﴿نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصحَ لَكُمْ﴾
الكهف	مكية	1	79	﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وكَانَ﴾
أردتم				
البقرة	مدنية	1	233	﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُواْ أَوْلاَدَكُمْ﴾
النساء	مدنية	1	20	﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ﴾
طه	مكية	1	86	﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ﴾
أردْنَ				
النور	مدنية	1	33	﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ﴾
أردنا				
النساء	مدنية	1	62	﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾
التوبة	مدنية	1	107	﴿وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى﴾
الإسراء	مكية	1	16	﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً﴾
الكهف	مكية	1	81	﴿فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا﴾
الأنبياء	مكية	1	17	﴿لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾
أردْنَاه				
النحل	مكية	1	40	﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾
أريْدُ				
المائدة	مدنية	1	29	﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي﴾
هود	مكية	2	88	﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ﴾
			88	﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا﴾
القصص	مكية	2	27	﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى﴾
			27	﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾
الذاريات	مكية	2	57	﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾
			57	﴿وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾
تُردْنَ				
الأحزاب	مدنية	2	28	﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ﴾
			29	﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اسم السورة	مكية/مدنية	التكرار	رقم الآية	نص الآية
تُريدُ				
الكهف	مكية	1	28	﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾
القصص	مكية	3	19	﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي﴾
			19	﴿إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا﴾
			19	﴿وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾
تريدون				
البقرة	مدنية	1	108	﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُواْ رَسُولَكُمْ﴾
النساء	مدنية	2	88	﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ﴾
			144	﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلّهِ عَلَيْكُمْ﴾
الأنفال	مدنية	1	67	﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾
إبراهيم	مكية	1	10	﴿تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ﴾
الروم	مكية	1	39	﴿تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾
الصافات	مكية	1	86	﴿أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾
نريدُ				
المائدة	مدنية	1	113	﴿نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ﴾
هود	مكية	1	79	﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾
الإسراء	مكية	1	18	﴿مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ﴾
القصص	مكية	1	5	﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ﴾
الإنسان	مدنية	1	9	﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء﴾
يُردْ				
آل عمران	مدنية	2	145	﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ﴾
			145	﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ﴾
المائدة	مدنية	2	41	﴿وَمَن يُرِدِ اللّهُ فِتْنَتَهُ﴾
			41	﴿أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللّهُ أَن﴾
الأنعام	مكية	2	125	﴿مَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ﴾
			125	﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ﴾
الحج	مدنية	1	25	﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾
النجم	مكية	1	29	﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اسم السورة	مكية/مدنية	التكرار	رقم الآية	نص الآية
يُردْكَ				
يونس	مكية	1	107	﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ﴾
يُردْنِ				
يس	مكية	1	23	﴿إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَن بِضُرٍّ﴾
يريدُ				
البقرة	مدنية	3	185	﴿يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾
			253	﴿وَلَـكِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾
آل عمران	مدنية	4	108	﴿وَمَا اللّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾
			152	﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾
			176	﴿يُرِيدُ اللّهُ أَلاَّ يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا﴾
النساء	مدنية	6	26	﴿يُرِيدُ اللّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾
			27	﴿وَاللّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ﴾
			28	﴿يُرِيدُ اللّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾
			60	﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ﴾
			134	﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾
المائدة	مدنية	5	1	﴿إِنَّ اللّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾
			6	﴿مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم﴾
			6	﴿وَلَـكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ﴾
			49	﴿أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم﴾
			91	﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ﴾
الأعراف	مكية	1	110	﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾
الأنفال	مدنية	2	7	﴿وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ﴾
			67	﴿وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾
التوبة	مدنية	2	55	﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُم﴾
			85	﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُعَذِّبَهُم﴾

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اسم السورة	مكية/مدنية	التكرار	رقم الآية	نص الآية
هود	مكية	3	15	﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾
			34	﴿إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن﴾
			107	﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾
الإسراء	مكية	1	18	﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا﴾
الكهف	مكية	1	77	﴿يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾
الحج	مدنية	2	14	﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾
			16	﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ﴾
المؤمنون	مكية	1	24	﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾
الشعراء	مكية	1	35	﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ﴾
الأحزاب	مدنية	1	33	﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ﴾
سبأ	مكية	1	43	﴿مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ﴾
فاطر	مكية	1	10	﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ﴾
غافر	مكية	1	31	﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾
الشورى	مكية	2	20	﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾
			20	﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا﴾
المدثر	مكية	1	52	﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ﴾
القيامة	مكية	1	5	﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾
البروج	مكية	1	16	﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾
يُريدا				
النساء	مدنية	1	35	﴿إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ﴾
يُريدان				
طه	مكية	1	63	﴿لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم﴾
يُريدوا				
الأنفال	مدنية	2	62	﴿وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ﴾
			71	﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ﴾
يريدون				
النساء	مدنية	5	44	﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ السَّبِيلَ﴾
			60	﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ﴾

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اسم السورة	مكية/مدنية	التكرار	رقم الآية	نص الآية
			91	﴿يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ﴾
			150	﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ﴾
			150	﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً﴾
المائدة	مدنية	1	27	﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ﴾
الأنعام	مكية	1	52	﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم﴾
التوبة	مدنية	1	32	﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾
الكهف	مكية	1	28	﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾
القصص	مكية	2	79	﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا﴾
			83	﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا﴾
الروم	مكية	1	38	﴿لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ﴾
الأحزاب	مدنية	1	13	﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾
الفتح	مدنية	1	15	﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾
الطور	مكية	1	42	﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾
الصف	مدنية	1	8	﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾
أُرِيْدَ				
الجن	مكية	1	10	﴿أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ﴾
يُرادْ				
ص	مكية	1	6	﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾

ومن خلال هذا الجدول نلحظ الملحوظات التالية:

1- وردت مادة "راد" واشتقاقاتها في القرآن الكريم (132) مرة، وفي (45) سورة، منها (32) سورة مكية، و(13) سورة مدنية.

2- نلاحظ أن عدد السور المكية التي وردت فيها مشتقات الإرادة ثلاثة أضعاف السور المدنية، ولعل ذلك يرجع إلى حالة المجتمع المكي الذي كان يسوده الشرك وعبادة الأوثان من دون الله ﷻ وهذا يحتاج إلى مزيد من العناية بالإرادة الإنسانية وتوجيهها وإصلاحها للانتقال من حال الكفر والشرك إلى حال الإيمان بالله الواحد الأحد، بخلاف المجتمع المدني الذي يغلب عليه الإيمان بالله ﷻ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3- بالوقوف على الصيغ الواردة في الجدول السابق لمادة "راد" ومشتقاتها نلاحظ أن جميعها منحصر في الفعل الماضي والمضارع مجردين كانا أو متصلين بالضمائر، وبيان ذلك فيما يلي:

(أرادَ): الفعل الماضي المتصرف، المزيد بحرف الهمزة، والمبني على الفتح الظاهر لتجرده من الضمائر، وقد ورد عشرين مرة.

(أرادني): الفعل الماضي المتصل بنون الوقاية وضمير المتكلم المفعول، ورد مرتين.

(أرادُوا): الفعل الماضي المبني على الضم لاتصاله بضمير واو الجماعة، ورد ست مرات.

(أردْت): الفعل الماضي المبني على السكون لاتصاله بتاء المتكلم، ورد مرتين.

(أردْتُم): الفعل الماضي المبني على السكون لاتصاله بتاء المخاطبين، ورد ثلاث مرات.

(أردْنَ): الفعل الماضي المبني على السكون لاتصاله بنون النسوة، ورد مرة واحدة.

(أرادَا): الفعل الماضي المسند إلى ألف الاثنين، ورد مرة واحدة.

(أردْنا): الفعل الماضي المبني على السكون لاتصاله بنا المتكلمين، ورد خمس مرات.

(أَردْنَاه): الفعل الماضي المبني على السكون لاتصاله بنا المتكلمين وهاء المفعول، ورد مرة واحدة.

(أُريدَ): الفعل الماضي المبني للمجهول، المبني على الفتح لتجرده، ورد مرة واحدة.

(أُريدُ): الفعل المضارع المبدوء بهمزة المضارعة الدالة على المتكلم المفرد، المرفوع بالضمة الظاهرة، ورد سبع مرات.

(تُردْنَ): الفعل المضارع المبدوء بتاء المضارعة المبني على السكون لاتصاله بنون النسوة، ورد مرتين.

(تُريدُ): الفعل المضارع المبدوء بتاء المضارعة، المرفوع بالضمة الظاهرة، ورد أربع مرات.

(تُريدُون): الفعل المضارع المبدوء بتاء المضارعة، المتصل بواو الجماعة لأنه من الأفعال الخمسة، ورد سبع مرات.

(نُريدُ): الفعل المضارع المبدوء بنون المضارعة الدالة على جماعة المتكلمين، المرفوع بالضمة الظاهرة، ورد خمس مرات.

(يُردْ): الفعل المضارع المبدوء بياء المضارعة، المجزوم بالسكون، ورد ثماني مرات.

(يُرِيدُ): الفعل المضارع المبدوء بياء المضارعة، المرفوع بالضمة الظاهرة، ورد احدى وأربعين مرة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(يُرِدْكَ): الفعل المضارع المبدوء بياء المضارعة، المتصل بضمير المخاطب، المجزوم بالسكون، ورد مرة واحدة.

(يُرِدْنِ): الفعل المضارع المبدوء بياء المضارعة، المتصل بنون الوقاية، المجزوم بالسكون، ورد مرة واحدة.

(يُريدون): الفعل المضارع المبدوء بياء المضارعة، المسند إلى واو الجماعة، المرفوع بثبوت النون، ورد ست عشرة مرة.

(يُريدا): الفعل المضارع المبدوء بياء المضارعة، المسند إلى ألف الاثنين، المجزوم بحذف النون، ورد مرة واحدة.

(يريدان): الفعل المضارع المتصل بألف الاثنين، المرفوع بثبوت النون، ورد مرة واحدة.

(يُرِيدُوا): الفعل المضارع المبدوء بياء المضارعة، المسند إلى واو الجماعة، المجزوم بحذف النون، ورد مرتين.

(يُرادُ): الفعل المضارع المبدوء بياء المضارعة، المبني للمجهول، المرفوع بالضم الظاهر، ورد مرة واحدة[1].

4- يلاحظ أن صيغة الأمر لم ترد مطلقاً في القرآن الكريم، وذلك للدلالة على أن للإنسان إرادة حرّة يختار بها ما يشاء من البدائل، وهو الذي يتحمل نتيجة اختياره بهذه الإرادة، وأن الإنسان ليس مجبوراً، ولا مقهوراً في إرادته خلافاً لما تزعمه فرقة الجبرية[2] من القول بأن الإنسان كالريشة المعلقة في الهواء، إذا تحرك تحركت بحركته وإذا سكن سكنت بسكونه.

5- ونلاحظ أيضاً أنه لم ترد صيغة الاسم مطلقاً في كتاب الله ﷻ، ولعل المعتبر في ذلك ما يترتب على الإرادة من أفعال، فالإرادة وحدها لا تجدي نفعاً ما لم يترتب عليها فعل، يؤكد ذلك قوله ﷻ: ﴿**وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**﴾[3]. فإذا صدرت الأفعال من الإنسان ينظر الله ﷻ إلى نية فاعلها هل كانت خالصة لله؟ أم تشوبها شائبة، لقول النبيﷺ

---

(1) بتصرف من المراجع الآتية مع زيادات للباحث:
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم –لمحمد فؤاد عبد الباقي – ص401، 402، 403.
- معجم ألفاظ القرآن الكريم – مجمع اللغة العربية – 505/1، 506، 507.

(2) الجبرية: من الجبر وهو إسناد فعل العبد إلى الله تعالى، حيث يقولون بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال، ويعتبر رائد هذا المذهب هو الجهم بن صفوان، حيث يقول: بأن الإنسان كالريشة المعلقة في الهواء إذا تحرك تحركت بحركته، وإذا سكن سكنت بسكونه، وأن الله تعالى قدر عليه أعمالاً لا بد أن تصدر منه، كما قالوا بنفي الصفات عن الله تعالى. انظر: (الفرق بين الفرق – عبد القاهر البغدادي – ص211، والملل والنحل – للشهرستاني – 85/1).

(3) سورة التوبة – الآية 105.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى....)[1]. ولا يعني ذلك أن نهون من أمر الإرادة، فهي مهمة، ولكن الأهم أن تصبح هذه الإرادة عملاً ملموساً له أثره الإيجابي في الواقع البشري، والله ﷻ أعلم.

6- تعد سورة القصص وهي سورة مكية، وردت فيها ألفاظ (أراد – أريد – تريد – نريد – يريدون) مثالاً واضحاً لبيان عاقبة الإرادة الفاسدة، ففي بداية السورة ذكرت الآيات إرادة اللهﷻ إكرام المستضعفين، والمن عليهم، وجعلهم أئمة، وفي خاتمتها بينت عاقبة الإرادة الفاسدة، وذلك ببيان عاقبة قارون الوخيمة حيث توجهت إرادته لحب الدنيا والعلو والفساد في الأرض.

ثالثاً: أنواع الإرادة في القرآن الكريم:

1- الإرادة الإلهية:

ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية ذكر الإرادة الإلهية بكثرة، وذلك كقوله ﷻ: **﴿يُرِيدُ اللّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾**[2]، وقوله ﷻ: **﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾**[3]، وقوله ﷻ: **﴿يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾**[4].

ووردت صفة الإرادة في الحديث الشريف، كقول الرسول ﷺ: **(من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)**[5]، وقوله ﷺ: **(من يرد الله به خيراً يصب منه)**[6].

كما ورد لفظ المشيئة في القرآن والسنة، وذلك كقوله ﷻ: **﴿...وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ...﴾** [7]. وقوله ﷻ: **﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾**[8].

وقول الرسول ﷺ: **(مثل الكافر كمثل الأرزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله إذا شاء)**[9].

من خلال الآيات والأحاديث السابقة ورد لفظ الإرادة ولفظ المشيئة الإلهية، فما حقيقة هذين اللفظين؟ هل هو الترادف؟ أم شيء آخر؟

---

(1) صحيح البخاري – كتاب بدء الوحي – باب كيف كان بدء الوحي – 5/1 – حديث رقم 1.
(2) سورة النساء – الآية 28.
(3) سورة النحل – الآية 40.
(4) سورة البقرة – الآية 185.
(5) صحيح البخاري– كتاب العلم(3)–باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين (13)– 30/1–حديث رقم71، صحيح مسلم– كتاب الزكاة (12)– باب النهي عن المسألة (34)– ص470– حديث رقم1037.
(6) صحيح البخاري– كتاب المرضى(75)– باب ما جاء في كفارة المرضى(1)– 26/4–حديث رقم5645.
(7) سورة يونس – الآية 99.
(8) سورة التكوير – الآية 29.
(9) صحيح البخاري – كتاب التوحيد (97) – باب في المشيئة والإرادة (31) 443/4– حديث رقم 7466.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ذهب بعض العلماء إلى أن الإرادة هي المشيئة، يقول ابن تيمية في منهاج السنة: "وقد يراد بالإرادة المشيئة"[1]، وقال السفاريني "ويجب له ﷻ صفة الإرادة ويرادفها المشيئة"[2]. ويقول التفتازاني[3]: "أفعال العباد كلها بإرادته ومشيئته قد سبق أنهما عندنا عبارة عن معنى واحد"[4]، وقال الشافعي –رحمه الله– "المشيئة إرادة الله"[5]. ولكن ترادف الإرادة والمشيئة ليس على إطلاقه حيث إن الإرادة تنقسم عند أهل السنة إلى قسمين: "إرادة كونية وإرادة دينية"[6]، فالإرادة الكونية هي التي ترادف المشيئة، وهي التي تتعلق بجميع الممكنات، كقول ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن ولفظ المشيئة لم يرد إلا في الكوني كقوله ﷻ: ﴿**وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾[7][8].

ويقول الإمام ابن حجر العسقلاني[9] في تعريف الإرادة الكونية: "إرادة قضاء وتقدير.. شاملة لجميع الكائنات محيطة بجميع الحادثات طاعة ومعصية"[10].

وأما الإرادة الشرعية فهي المتضمنة للمحبة والرضا كقوله ﷻ ﴿**...يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ...**﴾[11][12]، وهذه الإرادة هي المذكورة في مثل قول الناس لمن يفعل القبائح: هذا يفعل ما لا يريده الله، أي لا يحبه ولا يرضاه ولا يأمر به[13]. وعليه فإن

---

(1) منهاج السنة النبوية – 266/1.

(2) لوامع الأنوار البهية – 145/1.

(3) هو الإمام مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، عالم مشارك في النحو والتصريف والمعاني والبيان، ولد بتفتازان من بلاد خراسان. انظر (معجم المؤلفين – عمر كحالة – 228/12، الدرر الكامنة – لابن حجر – 139/2).

(4) شرح العقائد النسفية – للتفتازاني – ص56.

(5) شرح جوهرة التوحيد – عبد الكريم تتان – 331/1.

(6) شرح العقيدة الطحاوية – لابن أبي العز الحنفي – ص56.

(7) سورة التكوير – الآية 29.

(8) معارج القبول – للحكمي – 230/1.

(9) هو الإمام أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر، من أئمة العلم والتاريخ أصله من عسقلان بفلسطين. انظر (الأعلام – للزركلي – 178/1).

(10) فتح الباري – لابن حجر العسقلاني – 636/13، وانظر: شرح العقيدة الطحاوية – لابن أبي العز الحنفي – ص57.

(11) سورة البقرة – الآية 185.

(12) انظر: لوامع الأنوار البهية – 156/1، منهاج السنة النبوية – لابن تيمية – 266/1، شرح العقيدة الطحاوية – ص56.

(13) شرح العقيدة الطحاوية – ص57.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الترادف بين الإرادة والمشيئة الإلهية ليس على إطلاقه، ذلك أن الإرادة الكونية هي التي ترادف المشيئة دون الإرادة الدينية.

أقسام الإرادة الإلهية:

أ- الإرادة الكونية:

وهي الإرادة التي ترادف المشيئة العامة، والتي يتم بها الأمر الكوني والقضاء الكوني[1]، ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿**إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾[2]، وهذه إرادة الخلق والإيجاد. التي يوجد الله بها الأشياء بعد أن كانت عدماً، وهي التي يقال فيها: "ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فكل ما شاءه فقد خلقه"[3].

وقد ذكر الله ﷻ هذه الإرادة في مواطن كثيرة من كتابه، فمن ذلك قوله ﷻ: ﴿**فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ...**﴾[4]، وقوله ﷻ عن نوح عليه السلام: ﴿**وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ...**﴾[5]، وقوله ﷻ: ﴿**...وَلَـكِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ**﴾[6]، وقوله ﷻ: ﴿**فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ**﴾[7].

فهذه الإرادة لا مجال فيها لعصيان أحد، ولا تتخلف بحال من الأحوال، لأنها مناط نظام الكون، وآية الربوبية، وموجب الألوهية لله ﷻ، وبخلافها الإرادة الشرعية التكليفية المتعلقة بأفعال العباد الاختيارية، فإن الله ﷻ أقدر العبد على امتثالها، ورفضها ليبتليه ثم يجزيه[8].

فهذه الإرادة تعمل في الجانب الجبري من الإنسان، حيث إنه يسير وفق نواميس وقوانين إلهية كونية لا اختيار له فيها، ولا إرادة له مقابلها، لأن المشيئة الإلهية لم تجعل له اختياراً في هذا الجانب، فحياة الإنسان وموته، وطوله وقصره، وجماله وقبحه، وغرائزه وميوله وغير ذلك من الموجودات لا اختيار للإنسان فيها، ولا سبيل له في الخروج عنها، فهذه الإرادة يستوي

---

(1) القضاء الكوني والأمر الكوني مرادفان للإرادة الكونية وهي المشيئة الشاملة. انظر (معارج القبول – للحكمي – 230/1، شفاء العليل – لابن القيم – ص495).

(2) سورة النحل – الآية 40.

(3) انظر: لوامع الأنوار البهية – 156/1، منهاج السنة النبوية – 266/1.

(4) سورة الأنعام – الآية 125.

(5) سورة هود – الآية 34.

(6) سورة البقرة – الآية 253.

(7) سورة البروج – الآية 16.

(8) انظر: عقيدة المؤمن – لأبي بكر الجزائري – ص290.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فيها الإنسان مع سائر الموجودات الأخرى من حيوانات ونباتات وجمادات وأفلاك وحركات قهرية ووظائف قسرية، ليس للإنسان فيها إرادة أو اختيار" فهي تلك الإرادة التي لا يناط بها تكليف الإنسان، ولا إثابته ولا معاقبته، وهي الإرادة التي كان بها القدر ونظامه، والتي لا حق للإنسان أن ينظر إليها بغير عين الرضى والتسليم وإلا أصبح محارباً لله معارضاً لنظامه، يدعي السمو إليه والتعالي عليه"[1]. فهذه الإرادة هي المتعلقة بالأمر الكوني والقضاء الكوني الخارج عن نطاق تكليف الإنسان فلا يوجه له فيما يختص بها أمر ولا نهي كما أنه لا عقوبة عليها، فالله ﷻ لا يعاقب على لون البشرة أو طول القامة وقصرها ناهيك عن حركة الكواكب والأجرام السماوية؛ لأن ذلك كله راجع إلى الإرادة الكونية التي لم يجعل الله ﷻ للإنسان فيها اختياراً أو إرادة.

ب- الإرادة الدينية "الشرعية":

وهي الإرادة الإلهية التخيرية الابتلائية، وهي التي أناط الله ﷻ بها تكليف الإنسان، وثوابه أو عقابه، وهي التي يجب على العبد أن ينزل عليها، ويطيع ربه فيها، كما يحرم عليه التمرد عليها، والخروج عنها، وهي التي قد نزلت ببيانها وتفاصيلها كتب الله ﷻ، وبعثت للدعوة إليها وتعليمها رسل الله عليهم السلام، وهي جميع ما شرع الله ﷻ لعباده من عقائد، وعبادات، وأحكام، وحدود، وآداب، ومحاسن، وأخلاق وهي التي من أجلها منح الله العبد ما منحه من قدرة وإرادة، ومشيئة واختيار، ليبتليه مختبراً له أيستجيب لما أراده ربه منه، وشاءه له من طاعته؟ أم يرفض الاستجابة.

وقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تتحدث عن الإرادة الشرعية الدينية، فمن ذلك قوله ﷻ: ﴿**يُرِيدُ اللّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ* وَاللّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيمًا * يُرِيدُ اللّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا**﴾[2]، فالإرادة في هذه الآية ليست إرادة كونية نافذة عليهم بالتوبة، لأن التوبة والإيمان بالله ﷻ إنما هو فعل اختياري تكليفي يحاسب عليه الإنسان "ولكن ذلك يعني أن الله بدينه وتشريعه يريد للعبد بإرادة تشريعية ابتلائية أن يتوب عليه"[3]، فذكر البيان والتخفيف في هذه الآية يدل على أن الإرادة هنا إرادة تشريع وتكليف حيث إن التخفيف والبيان يكون في الأحكام التشريعية التي يقوم بها الإنسان الضعيف.

---

(1) انظر: عقيدة المؤمن – لأبي بكر الجزائري: ص289.

(2) سورة النساء – الآيات 26-28.

(3) القضاء والقدر في الإسلام – للدسوقي – 356/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن ذلك أيضاً قوله ﷻ: ﴿...**وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ...**﴾[1]، فرخصة الإفطار في المرض والسفر تدل على أن الإرادة هنا إرادة تشريعية إذ لو كانت كونية لما حصل اليسر لأحد منا.

وكذلك قوله ﷻ ﴿...**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[2]، فإرادة التطهير هنا جاءت بعد ذكر أحكام شرعية أمرية لنساء النبي ﷺ، "فالله ﷻ جعل تلك الأوامر وتلك التوجيهات وسيلة لإذهاب الرجس وتطهير البيت"[3]. مما يؤكد أن الإرادة الإلهية المذكورة في الآية هي إرادة تشريعية ابتلائية.

ويتضح من الآيات السابقة أن الإرادة التشريعية تتعلق بالأوامر والنواهي والأحكام الشرعية والعبادات والمعاملات وغيرها، وهذه هي الإرادة "المتضمنة للمحبة والرضا"[4] وهي المذكورة في قول الناس لمن يفعل الفاحشة "هذا فعل ما لا يريده الله"[5] أي لا يحبه ولا يرضاه ديناً وشرعاً وعليه فإن الإرادة الشرعية المتضمنة للمحبة والرضا ليست هي الإرادة الشاملة لكل المخلوقات، بل هي متعلقة بالأحكام التشريعية والعبادات والمعاملات التي يقوم بها الإنسان، وفي ذلك يقول ابن تيمية: "إن المحبة والرضا ليست هي الإرادة الشاملة لكل المخلوقات"[6]، لأن الله ﷻ وإن كان يريد المعاصي قدراً وكوناً فهو لا يحبها ولا يرضاها ولا يأمر بها شرعاً، بل يبغضها ويكرهها وينهى عنها، ولذلك فإن ما وجد من الكفر والفسوق والعصيان فهو موجود بإرادة الله ﷻ الكونية ومشيئته الشاملة لجميع الحوادث كقول المسلمين "ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن"[7].

والإرادة الدينية قد يقع مراد الله ﷻ ومحبوبه فيها وقد لا يقع، فيأمر عباده وينهاهم، ومنهم من يمتثل، ومنهم من لا يمتثل، حيث قال: ﴿**إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا**﴾[8]، فخلق الإنسان من نطفة أمشاج لم تكن عبثاً، وإنما كان من ورائها حكمة وقصد، وهي ابتلاء هذا الكائن واختباره، فقد منح الله العباد القدرة والمشيئة والإرادة، وأمكنهم من أن يمتثلوا أمره، أو يرفضوه بمحض إرادتهم وكامل اختيارهم، ليرتب على ذلك جزائهم بإثابة المحسنين، وعقوبة المسيئين.

---

(1) سورة البقرة – الآية 185.

(2) سورة الأحزاب – الآية 33.

(3) انظر: ظلال القرآن – 2862/5.

(4) منهاج السنة النبوية – 266/1، شرح العقيدة الطحاوية – ص56.

(5) منهاج السنة النبوية – لابن تيمية – 266/1.

(6) المرجع السابق – 267/1.

(7) المرجع السابق – 296/1.

(8) سورة الإنسان – الآيتان 2، 3.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2- الإرادة الإنسانية:

قد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تثبت الإرادة والمشيئة الإنسانية، من ذلك قوله ﷻ: ﴿...تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ...﴾ [1] فهذه الآية نزلت في قصة أسرى بدر عندما أراد المسلمون الفداء[2]. ومنها قوله ﷻ: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا، وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾[3].

هذه الآيات نزلت في شأن أزواج النبي ﷺ، حيث سألنه شيئاً من عرض الدنيا وطلبن منه الزيادة في النفقة، كما آذينه بغيرة بعضهن من بعض، فأنزل الله ﷻ آية التخيير بين الدنيا والآخرة[4].

وقوله ﷻ: ﴿**فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ**﴾[5]، فقد أراد الكفار الكيد لإبراهيم عليه السلام وإحراقه بالنار، ولكن الله رد كيدهم ومكرهم بمنع إحراق النار لإبراهيم عليه السلام، وكذلك وردت آيات تتحدث عن مشيئة الإنسان واختياره، ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿**كَلاَّ إِنَّه تَذْكِرَةٌ * فَمَن شَاء ذَكَرَهُ**﴾[6]، وهنا يظهر بوضوح أن للإنسان مشيئة واختياراً، حيث بيَّنَ الله ﷻ قبل هذه الآيات حال المجرمين وعدم خوفهم من الآخرة، ثم بيَّن أن القرآن الكريم تذكرة لمن تذكر، ولكن هذا التذكر والاتعاظ مخير فيه الإنسان، فمن شاء اتعظ وتذكر، ومن شاء أعرض[7].

وقوله ﷻ: ﴿**إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً * وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاء اللّهُ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾[8]، فهذه السورة تذكير وموعظة لمن أراد أن يتخذ إلى ربه طريقاً يتوصل به إليه، وذلك بالإيمان والطاعة، للوصول إلى ثوابه وجنته[9].

علاقة إرادة الإنسان بإرادة الله تعالى:

لقد منح الله ﷻ الإنسان إرادة حرة ليمتحن اختياره بها ثم يجزيه يوم القيامة، وهذه الإرادة لا تتعارض ولا تتنافى مع الإرادة الإلهية، بل إنها قد وجدت وسرت في الإنسان

---

(1) سورة الأنفال – الآية 67.

(2) انظر: جامع البيان – للطبري – 3895/5.

(3) سورة الأحزاب – الآيتان 28، 29.

(4) انظر: أسباب النزول – للواحدي – ص133، تفسير فتح القدير – للشوكاني – 333/4.

(5) سورة الصافات – الآية 98.

(6) سورة المدثر – الآيتان 54، 55.

(7) انظر: تفسير التحرير والتنوير – لابن عاشور – مج14 – 333/29.

(8) سورة الإنسان – الآيتان 29، 30.

(9) انظر: فتح القدير – للشوكاني – 428/5.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بمشيئة الله ﷻ، وإرادته، يقول الدكتور فاروق الدسوقي: "فليس ثمة تعارض بين إرادتين حرتين إذا كانت إحداهما مطلقة والأخرى محدودة تنحصر حريتها في الاختيار فقط"[1]. ولذلك قال ﷻ: ﴿**وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاء اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾[2]. فهذه الآية توضح بصريح العبارة أن الإنسان ما كان يتمتع بإرادة في كيانه يتجه بسرها إلى اختيار ما يشاء من التصرفات والأعمال لو لم يشأ الله عز وجل أن يجعل في كيانه هذا السر العظيم وهذا أمر واضح الثبوت يحس به كل إنسان"[3].

وبناءً على هذه الإرادة الحرة في الإنسان جاء التكليف من الله ﷻ، وصدرت الأوامر والنواهي، لاختبار الإنسان في إرادته، وليميز الله الخبيث من الطيب، فيظهر من يطيعه في أوامره، ويظهر من يعصيه.

وقد ذكر البوطي مثلاً تقريبياً –ولله المثل الأعلى– لبيان الإرادة الإنسانية إزاء إرادة الله ﷻ، فقال: "ولأضرب لك مثلاً يُقرِّب إليك هذه الحقيقة: خادم عندك في الدار، تريد أن تعلم مدى صدقه وأمانته في الخدمة والمعاملة، ولكي تصل إلى بغيتك هذه، تعطيه مبلغاً من المال، وتبعثه إلى السوق لشراء بعض الحوائج، وتفسح له المجال أن يتصرف كما يشاء دون أن تضع عليه رقيباً، أو تضيق عليه السبيل، فأنت بترتيبك هذا أردت أن يكون حراً فيما يفعل ويذر، لا يستجيب إلا لنداء ضميره وتفكيره الداخلي، بحيث يتمتع بإرادة لا يشوبها قسر، حتى تعلم بذلك طويته، فإذا عاد وقد خان الأمانة فيما أعطيته من المال وما عاد به من المتاع، فأنت في الواقع مريد لهذه النتيجة، إذ أنت لم ترد إطلاق يده بالتصرف كما يشاء إلا وأنت مريد لظهور نتيجة ذلك أياً كانت النتيجة تحبها وترضاها أم لا، إذا تبين لك هذا علمت أن مصير الإرادة الإنسانية في جنب إرادة الله، ليس إلا كمصير إرادة الخادم في جنب إرادة سيده، ولله المثل الأعلى، فإرادتك المتعلقة بتصرفاتك الاختيارية منطوية تحت إرادة الله ﷻ، ولكن لا عن طريق القسر والإكراه"[4].

وهكذا نعلم أن الله ﷻ لا يقع في ملكه إلا ما يشاء ويريد، ولا يناقض ذلك أن أعطى الإنسان الإرادة وحرية الاختيار.

3- الإرادة الفطرية:

وقد وردت هذه الإرادة في كثير من آيات القرآن الكريم، منها قوله ﷻ: ﴿**تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ**

---

(1) القضاء والقدر في الإسلام – 231/1.

(2) سورة التكوير – الآية 29.

(3) انظر: كبرى اليقينيات الكونية – للبوطي – ص159.

(4) المرجع السابق – ص156.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[1]، وقوله ﷻ: **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ..﴾**[2].

ففي هذه الآيات يخبر ﷻ أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له فإنه يسجد له كل شيءٍ طوعاً وكرهاً، يقول سيد قطب رحمه الله: "ويتدبر القلب هذا النص، فإذا حشد من الخلائق مما يدرك الإنسان ومما لا يدرك، وإذا حشد من الأفلاك والأجرام، مما يعلم الإنسان ومما لا يعلم، وإذا حشد من الجبال والشجر والدواب من هذه الأرض التي يعيش عليها الإنسان، إذا بتلك الحشود كلها في موكب خاشع تسجد كلها لله، وتتجه إليه وحده دون سواه"[3].

فما من شيء من المخلوقات إلا ويسبح بحمد الله ﷻ، ولكن الناس لا يفقهون تسبيحهم؛ لأنها بخلاف لغاتهم، وهذا عام في الحيوانات والجمادات والنباتات، كما ثبت عن ابن مسعودﷺ أنه قال: **(لقد كنا نأكل الطعام مع النبي ﷺ ونحن نسمع تسبيح الطعام..)**[4]. فهذه السماوات وهذه الأرض، وهما من أعظم المخلوقات، يقول ﷻ لهما: **﴿...ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾**[5]، أي أتينا أمرك طائعين. فقد أنزلهما الله ﷻ منزلة العقلاء، وهما من الجمادات، إذ أمرهما وخاطبهما عن طريق المكنية أو التمثيلية، فأثبت لهما ما هو من صفات العقلاء من الطوع والكره. ولهذا قال (طائعين) بجمع المذكر السالم، ولم يقل طائعات أو طائعتين، والسماوات والأرض مؤنثتان، وذلك لأنهما لما خوطبتا وتكلمتا ووصفتا بالطوع والكره أشبهتا الذكور من بني آدم[6]. يقول سيد قطب رحمه الله: "إنها إيماءة عجيبة إلى انقياد هذا الكون للناموس وإلى اتصال حقيقة هذا الكون بخالقه اتصال الطاعة والاستسلام لكلمته ومشيئته، فليس هناك إذن إلا هذا الإنسان الذي يخضع للناموس كرهاً في أغلب الأحيان... إننا نخضع كرهاً، فليتنا نخضع طوعاً، ليتنا نلبي تلبية الأرض والسماء، في رضى وفي فرح باللقاء مع روح الوجود الخاضعة المستسلمة لله رب العالمين"[7]. فعلى الإنسان، هذا المخلوق الضعيف أن يستسلم طائعاً لله رب العالمين، وأن يحقق العبودية التي خلق لأجلها لقوله ﷻ:

---

(1) سورة الإسراء – الآية 44.

(2) سورة الحج – الآية 18.

(3) تفسير الظلال – 2414/4.

(4) سنن الترمذي – كتاب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (46)– باب في آيات إثبات النبوة (5) – ص826 – حديث رقم 3633 – قال الألباني: صحيح – الطبعة الأولى – مكتبة المعارف – وحكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه الشيخ الألباني.

(5) سورة فصلت – الآية 11.

(6) انظر: جامع البيان – للطبري – 7176/9، التفسير الكبير – للرازي – 109/27، محاسن التأويل – للقاسمي – مج 8–259/14.

(7) تفسير الظلال – 3114/5.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾[1]. فإن لم يكن عبداً لله ﷻ في الدنيا فإنه حتماً سيأتي عبداً يوم القيامة، قال ﷻ: ﴿**إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا**﴾[2]. فكل الناس سيحشرون يوم القيامة خاضعين مستسلمين لا حول لهم ولا قوة.

4- الإرادة الشيطانية:

فقد توجهت إرادة الشيطان منذ أن طرده الله من رحمته، بعد أن أمره بالسجود لآدم عليه السلام، إلى عداوة الإنسان وصده عن سبيل الخير، وطاعة الله ﷻ، ولذلك أمر الله ﷻ باتخاذه عدواً، إذ هو العدو الأول للإنسان، قال ﷻ: ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾[3]. فغايته وإرادته متجهة نحو صد الناس وإبعادهم عن طريق الله المستقيم، ليكونوا من أصحاب السعير، ومن المخلدين في نار جهنم، والعياذ بالله.

فهو لا يعد الإنسان إلا بالشر ولا يأمر إلا بالفحشاء كما قال ﷻ: ﴿**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[4].

جاء في حديث عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: **(إن للشيطان لمَّة بابن آدم وللملك لمَّة، فأما لمَّة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمَّة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم)**[5]. ولذلك فإنه قعد لابن آدم على طريق الحق وسبيل النجاة، والسعادة. وجاءه من جهاته الأربع (اليمين، والشمال، والأمام، والخلف). كما قال ﷻ: ﴿**قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ**﴾[6]. وذلك لصدِّه عن طاعة الله وشكره، وليقطع عنه الطريق إلى الله ﷻ. فهو يأتي الإنسان من كل أوجه الحياة، فينبغي الحذر منه، ولذلك ورد في الحديث الاستعاذة من تسلط الشيطان على الإنسان من جهاته كلها، كما روي عن ابن عمر ﷺ قال: لم يكن النبي ﷺ يَدَعُ هذه الدعوات حين يصبح وحين يمسي: **(اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي، وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي**

---

(1) سورة الذاريات – الآية 56.

(2) سورة مريم – الآية 93.

(3) سورة فاطر – الآية 6.

(4) سورة البقرة – الآية 268.

(5) سنن الترمذي – كتاب تفسير القرآن (44) – باب ومن سورة البقرة (2) – ص669 – حديث رقم 2988 – قال الألباني: صحيح.

(6) سورة الأعراف – الآيتان 16، 17.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وآمن روعاتي، واحفظني من بين يديَّ ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي)[1].

رابعاً: علاقة الإرادة بالمحبة والرضا:

تعتبر المحبة والرضا من صفات الله ﷻ التي ثبتت بالكتاب والسنة، ولها علاقة بالإرادة وبأفعال العباد، وقد وردت أدلة كثيرة وصريحة في إثبات هذه الصفات لله ﷻ، من ذلك ما ورد في:

- صفة المحبة قوله ﷻ: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ...**﴾[2]، وقوله ﷻ: ﴿**...إِنَّ اللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾[3]، وقد وردت صفة المحبة في الحديث الشريف حيث قال ﷺ: **(إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف)**[4].
- وأما صفة الرضا فقد وردت في قوله ﷻ ﴿**...رضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ...**﴾[5]، وقوله ﷻ: ﴿**...وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ...**﴾[6]. فهذه الصفات الواردة في القرآن والسنة من المحبة والرضا تبين أن الله ﷻ يحب أشياء ويرضى عنها، ويكره أشياء ولا يرضى عنها، مع أن كل ما يحدث في هذا الوجود بخلق الله ﷻ ومشيئته وقضائه وقدره.

وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال، وهو كيف يريد الله ﷻ أمراً ولا يرضاه ولا يحبه؟ وكيف يجمع إرادته له وبغضه وكراهته؟ وهذا السؤال هو الذي أدى إلى افتراق الناس لأجله فرقاً وتباينت طرقهم وأقوالهم، ولمعرفة هذه المسألة لا بد من معرفة طبيعة المراد الذي يقع عليه الحب والرضا أو الكراهة، حيث إن المراد ينقسم إلى قسمين: مراد لنفسه ومراد لغيره، أما المراد لنفسه فهو "مطلوب محبوب لذاته، وما فيه من الخير، فهو مراد إرادات الغايات والمقاصد"[7]. وأما المراد لغيره فهو "لا يكون مقصوداً لما يريد، ولا فيه مصلحة بالنسبة له بالنظر إلى ذاته، وإن كان وسيلة إلى مقصوده ومراده، فهو مكروه له من حيث نفسه وذاته، مراد له من حيث

---

(1) سنن أبي داود – كتاب الأدب (35) – باب ما يقول إذا أصبح (110) – ص760 – حديث رقم 5074، سنن ابن ماجة – كتاب الدعاء (34) – باب ما يدعوا به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى (14) – ص638 – حديث رقم 3871 – قال الألباني: صحيح – الطبعة الأولى – مكتبة المعارف – وحكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه الشيخ الألباني.

(2) سورة آل عمران – الآية 31.

(3) سورة القصص – الآية 77.

(4) صحيح مسلم – كتاب البر والصلة والأدب (45) – باب فضل الرفعة (23) – ص 1280 – حديث رقم 6496، سنن أبي داود – كتاب الأدب (35) – باب في الرفعة (11) – ص722 – حديث رقم 4807.

(5) سورة المجادلة – الآية 22.

(6) سورة الزمر – الآية 7.

(7) لوامع الأنوار البهية – للسفاريني – 339/1، شرح العقيدة الطحاوية – لابن أبي العز الحنفي – ص193.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إفضاؤه وإيصاله إلى مراده، فيجتمع فيه الأمران: بغضه وإرادته، ولا يتنافيان لاختلاف متعلقهما، وهذا كالدواء المتناهي في الكراهة إذا علم متناوله أن فيه شفاءه، وقطع العضو المتآكل إذا علم أن في قطعه بقاء جسده، وقطع المسافة الشاقة جداً إذا علم أنها توصل إلى مراده ومحبوبه"[1]، ولذلك فإن الكفر والفسوق موجود بمشيئة الله وإرادته، ومع ذلك فإن الله ﷻ لا يرضى لعباده الكفر كما قال: ﴿**إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ**﴾[2]، فكل ما هو كائن في هذا الوجود هو بمشيئة الله ﷻ وإرادته، رضي عنه أو لم يرضه، أمر به أو لم يأمر به، فالشرور والقبائح والمعاصي وإن كان لا يحبها ويبغضها، وينهى عنها، ويغضب على مرتكبها، إلا أنها بمشيئته، ولا يستلزم ذلك محبته ورضاه لكل ما شاءه وقدره[3]. فهو ﷻ يكره الشيء، ولا ينافي ذلك إرادته الشيء لأجل غيره، وكونه مفضياً إلى أمر هو أحب إليه منه، ومن ذلك خلق إبليس الذي هو مادة فساد الأديان والأعمال والاعتقادات والإرادات وهو سبب لشقاء كثير من العباد، وهو الساعي لصد الناس عن عبادة الله، ومع ذلك فهو وسيلة إلى محاب كثيرة لله ﷻ تتعلق بخلقه ووجوده، فبوجوده تظهر قدرة الله ﷻ على خلق المتضادات المتقابلات، فخلق هذه الذات التي هي من أخبث الذوات وشرها، في مقابلة ذات جبريل التي هي من أشرف الذوات وأزكاها، وهي مادة كل خير، كما ظهرت قدرته في خلق الليل والنهار، والداء والدواء، والحياة والموت، والخير والشر.

وبوجود إبليس تظهر أيضاً العبوديات المتنوعة، والتي لولا خلق إبليس لما حصلت، مثل عبودية الجهاد، والتوبة، والاستغفار وغيرها[4].

من ذلك يتبين أن الله ﷻ يريد الشيء خلقاً وكوناً، ولا يحبه ولا يرضاه شرعاً وديناً؛ لأنه لا يأمر بالفحشاء، ولا يحب الفساد، ولا يرضى لعباده الكفر، مع أن كل ذلك خلق الله ﷻ وموجود بقضائه وقدره.

خامساً: علاقة الإرادة بالنيَّة

النيَّة في اللغة: من نوى الشيء إذا قصده واعتقده، والنيَّة والنَّوى: الوجه الذي ينويه المسافر من قرب أو بعد[5].

---

(1) لوامع الأنوار البهية – 339/1.

(2) سورة الزمر – الآية 7.

(3) انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين – لابن القيم – ص155.

(4) انظر: شرح العقيدة الطحاوية – ص194، لوامع الأنوار البهية – ص340.

(5) انظر: لسان العرب 347/15.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي الاصطلاح: هي "عبارة عن انبعاث القلب نحو ما يراه موافقاً لغرض من جلب نفعٍ أو دفع ضر حالاً أو مآلاً"[1].

والشرع خصصه بالإرادة المتوجهة نحو الفعل لابتغاء رضاء الله ﷻ وامتثال حكمه، فقد كَثُر ورود الإرادة في القرآن الكريم على معنى النيَّة، فمن ذلك قوله ﷻ: ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[2]. أي لا يقصدون العلو والفساد ولا يطلبونه، وقد وردت الإرادة على معنى النيَّة أيضاً في الحديث الشريف، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(يقول الله: إن أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها، فإن عملها فاكتبوها بمثلها، وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة، وإذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف)**[3]. فهذا الحديث يبين أن الإنسان يجزى على إرادته الصالحة؛ فإن الحسنة كُتبت له بمجرد الإرادة، لأن إرادة الخير سبب إلى العمل، وإرادة الخير خير، لأن إرادة الخير من عمل القلب.

ولذلك فإن ما يقوم به الإنسان من أعمال صالحة متحققة ومشروطة بالنية والإخلاص، لقبول هذه الأعمال، فقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ قال: **(إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى...)**[4]. فما يقوم به الإنسان من صدقةٍ أو صلاةٍ أو صيامٍ أو غير ذلك من أعمال الخير، فإنه غير مقبول عند الله ﷻ ما لم تصحبه النية الصالحة والإرادة المتوجهة نحو مرضاة الله ﷻ، وابتغاء ثوابه وجنته. قال ﷻ: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ * أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾[5]. فقد قيل أن المقصود بهذه الآية هم أهل الرياء الذين يريدون بأقوالهم الحسنة وأعمالهم الطيبة على حسب الظاهر، الحصول على الحياة الدنيا وزينتها من سعة الرزق، والمال، والجاه، والمنصب، والرياسة، وغير ذلك من المتع الدنيوية، بدون التفات إلى ما يقربهم من ثواب الآخرة[6]. ولذلك أحبط الله ﷻ أعمالهم، فلم يقبلها منهم، وكان مصيرهم إلى النار.

---

(1) فتح الباري – لابن حجر – 19/1.

(2) سورة القصص – الآية 83.

(3) صحيح البخاري – كتاب التوحيد (97) – باب قول الله تعالى: (يريدون أن يبدلوا كلام الله) (35) – 450/4 – حديث رقم 7501.

(4) صحيح البخاري – كتاب بدء الوحي (1) – باب كيف كان بدء الوحي (1) – 5/1 – حديث رقم 1.

(5) سورة هود – الآيتان 15، 16.

(6) انظر: زاد المسير في علم التفسير – ابن الجوزي – 70/4، الأساس في التفسير – سعيد حوى – 2540/5.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول

ميادين الإرادة الإنسانية

ويشتمل على مبحثين:

- المبحث الأول: الإرادة الإنسانية في ميادين الخير.
- المبحث الثاني: الإرادة الإنسانية في ميادين الشر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

الإرادة الإنسانية في ميادين الخير

ويشتمل على ستة مطالب:

- المطلب الأول: إرادة الإصلاح.
- المطلب الثاني: إرادة النصح.
- المطلب الثالث: إرادة السعي للآخرة.
- المطلب الرابع: إرادة النكاح واستبدال الأزواج.
- المطلب الخامس: إرادة الرِّضاع.
- المطلب السادس: إرادة التَّحصُّن.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

الإرادة الإنسانية في ميادين الخير

بين يدي المبحث

لقد دعا القرآن الكريم في كثير من آياته إلى فعل الخير، فقال ﷻ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[1]، ففعل الخير هو طريق الفلاح، وهو طريق الأنبياء والصالحين كما أخبر الله في كتابه فقال: ﴿**...إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ**﴾[2] أما بالنسبة لإرادة الإنسان فقد مدح الله ﷻ من سخَّر إرادته وقصده لفعل الخير فقال ﷻ ﴿**وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا**﴾[3]، وقال ﷻ: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً...**﴾[4]، فهذه الآيات هي دعوة صريحة إلى فعل الخير والتنافس فيه، وفي هذا المبحث سنتحدث عن إرادة الإنسان في ميادين الخير وذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول: إرادة الإصلاح:

أولاً: إصلاح سيدنا شعيب عليه السلام في قومه:

فقد أرسل الله ﷻ سيدنا شعيباً عليه السلام إلى قوم مدين، وهم قبيلة من العرب، كانوا يسكنون بين الحجاز والشام، قريباً من بلاد معان، في بلد يعرف بهم يقال لها مدين[5]، فأرسل الله ﷻ إليهم شعيباً، وكان من أشرفهم نسباً، فأمرهم بعبادة الله ﷻ وحده، وعدم الإشراك به، ونهاهم عن التطفيف في المكيال والميزان، قال ﷻ: ﴿**وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ**﴾[6]، فقد "اشتملت دعوة شعيب لقومه على جانبين من الإصلاح: إصلاح العقيدة، وإصلاح الحياة الاجتماعية، ففي الجانب الأول: دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وفي الجانب الثاني: أمرهم بإيفاء الكيل والميزان وترك البخس والنقص أو التطفيف، فإنهم كانوا مع كفرهم

---

(1) سورة الحج – الآية 77.

(2) سورة الأنبياء – الآية 90.

(3) سورة الإسراء – الآية 19.

(4) سورة النحل – الآية 97.

(5) انظر: تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – 199/4.

(6) سورة هود – الآية 84.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أهل بخس ونقص في حقوق الناس، فقد كانوا إذا جاءهم البائع بالطعام، أخذوا بكيل زائد واستوفوا بغاية ما يقدرون عليه، وظلموا به، وإن جاءهم مشترٍ للطعام باعوه بكيل ناقص، فأمرهم بالإيمان إقلاعاً عن الشرك، وبالوفاء بالحق التام الكامل نهياً عن التطفيف، علماً بأنهم كانوا بخير، وفي سعة من الرزق، وكثرة النعم، ولكن الطمع والشره المادي أرداهم وجعل سمعتهم سيئة بين الناس"[1]، ولذلك حذرهم سيدنا شعيبٌ عليه السلام من عذاب يحيط بهم، ولا يبقى لهم باقية إن لم يتوبوا، ويرجعوا إلى الله ﷻ، ولكن قومه سخروا منه، وقالوا على سبيل السخرية والاستهزاء: ﴿**...أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ**﴾ [2]، فكيف يليق بك مع حلمك ورشدك أن تنهانا عن عبادة آباءنا وأجدادنا، وهنا أعلنوا التمسك بطريقة التقليد للآباء والأجداد في التدين والإيمان، ثم سألوا سيدنا شعيباً على سبيل التهكم والسخرية: كيف تأمرك صلاتك بترك عبادة الآباء والأجداد؟ فهم أحرار في عبادتهم، وأحرار في أموالهم يتصرفون فيها بما هو مصلحة لهم، لا يؤدون زكاتها، ولا ينفقون منها شيئاً في سبيل الخير، وإنما يديرونها بمختلف الوسائل، ولذلك ردوا على سيدنا شعيب دعوته لهم بترك البخس والتطفيف، والاقتناع بالحلال القليل، وذلك لأنه منافٍ لسياسة تنمية المال وتكثيره، فهم يريدون زيادة المال وتكثيره بأي وسيلة من الوسائل، فكانت دعوة شعيب عليه السلام لهم حجراً على حريتهم الاقتصادية ولذلك لم يقبلوا دعوته[3]،

ولكن سيدنا شعيباً حسم أطماع قومه الكافرين، سواء في العقيدة، أو في إصلاح التعامل، حيث قال: ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾[4]، فلست أريد أن أنهاكم عن البخس في المكيال والميزان، وأفعله أنا حتى تتطرق إليَّ التهمة في ذلك، بل ما أنهاكم عن أمر، إلا وأنا أول مبتدرٍ لتركه.

ثم أكد مهمته بأنه ما يريد بموعظته لهم ونصيحته لهم إلا الإصلاح قدر استطاعته، فليس له من المقاصد إلا أن تصلح أحوالهم وتستقيم منافعهم[5].

اللطائف والإشارات من قصة شعيب ودعوته لقومه:

دلت قصة شعيب مع قومه على ما يلي:

---

(1) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج – للزحيلي – 132/12.

(2) سورة هود – الآية 87.

(3) انظر: التفسير المنير – للزحيلي – 128/12، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان–للسعدي–342.

(4) سورة هود – الآية 88.

(5) انظر: التفسير الكبير – للرازي – 46/18، التفسير المنير – للزحيلي – 129/12.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1. إن الإرادة الصادقة في توجهها إلى الله ﷻ وتجردها من كل الشوائب والعوائق يعد من أكبر العوامل في تحقيق التوفيق والعون والتأييد الإلهي لقوله ﷻ: **(وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ)** فقد جاء ذكر التوفيق الإلهي بعد ذكر إرادة الإصلاح الصادقة والخالصة لله ﷻ[1].
2. اشتملت دعوة شعيب عليه السلام على جانبين من إرادة الإصلاح: إصلاح العقيدة، وإصلاح الحياة الاجتماعية، فقد دعاهم أولاً إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ثم دعاهم إلى إيفاء الكيل والميزان وترك البخس والتطفيف في الكيل والميزان[2].
3. كان عذاب أهل مدين عذاب استئصال من الدنيا، ودمار عام؛ لقوله ﷻ على لسان نبيه شعيب ﴿**إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ**﴾[3]، فوصف اليوم بالإحاطة، لإحاطة العذاب بهم فهو عذاب استئصال ودمار عام[4].
4. من قول سيدنا شعيب عليه السلام **(إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ)** بيان للمهمة الأساسية للدعاة إلى الله ﷻ، فإن مهمة الأنبياء والدعاة إلى الله في كل زمان هي الإصلاح العام للحياة والمجتمع الذي يعود صلاحه بالخير على كل فرد وكل جماعة فيه.
5. ينبغي على الدعاة إلى الله أن يكونوا أكثر الناس امتثالاً لأوامر الله ونواهيه لقوله ﷻ: **(وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ)** فقد نفى إرادة المخالفة، وأثبت إرادة الإصلاح، وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ قال: **(يجاء بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أقتابه، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه، فيقولون: أي فلان، ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه)**[5].

ثانياً: إرادة الإصلاح بين الزوجين:

وقد ذكر الله تعالى هذه الإرادة في شأن البناء الاجتماعي السليم وذلك عند حديثه عن الرابطة الزوجية والميثاق الغليظ، وما يتطلبه ذلك الميثاق من إرادة إصلاح صادقة، قال تعالى: ﴿**وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُواْ إِصْلاَحًا**﴾[6]، فلا يباح للرجل أن يرد مطلقته

---

(1) انظر: السرائر في ضوء القرآن الكريم – زينب أبو مور – ص96.
(2) انظر: التفسير المنير – للزحيلي – 132/12، أيسر التفاسير – للجزائري – 573/2.
(3) سورة هود – الآية 84.
(4) انظر: التفسير المنير – للزحيلي – 132/12، فتح القدير للشوكاني – 621/2.
(5) صحيح البخاري – كتاب بدء الخلق (59) – باب صفة النار وأنها مخلوقة (10) – 396/2 – حديث رقم 3267، صحيح مسلم – كتاب الزهد والوثائق (53) – باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله (7) – ص1463 – حديث رقم 7377.
(6) سورة البقرة: آية 228.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلى عصمته إلا بإرادة إصلاح ذات البين، ونية المعاشرة بالمعروف، فقد جعل الله سبحانه وتعالى الشرط في إباحة إرجاع الرجل لمطلقته هو توفر إرادة الإصلاح عنده، وهذه الإرادة صفة باطنة لا يعلمها إلا الله، فإن كانت بقصد المضارة وليس بقصد الإصلاح استحق فاعلها الإثم[1]، فقد جعل الله ﷻ الرجل قيِّماً على المرأة يرعاها ويربيها ويصلحها بما أوتي من عقل أكمل من عقلها، وعلم أغزر من علمها غالباً، وبعد نظر في الأمور أبعد من نظرها، بالإضافة إلى أنه دفع مهراً لم تدفعه، والتزم نفقات لم تلتزم هي بشيء منها، قال ﷻ: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا * وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا**﴾[2].

ففي هذه الآية يبين الله تبارك وتعالى أسباب قوامة الرجل على المرأة:

فالسبب الأول: هو وجود مقومات جسدية خلقية في الرجل، فهو كامل الخلقة، قوي الإدراك، قوي العقل، معتدل العاطفة، سليم البنية، فكان الرجل مفضلاً على المرأة في العقل والرأي والقوة، ولذلك خص الرجال بالرسالة والنبوة والإمامة الكبرى، وإقامة الشعائر كالأذان، والإقامة، والخطبة، والحج، والجهاد، وجعل الطلاق بيدهم.

والسبب الثاني: وجوب الإنفاق على الزوجة، وإلزامه بالمهر على أنه رمز لتكريم المرأة[3].

فبعد أن قرّر الله ﷻ هذا السلطان للزوج على زوجته، أمر الله ﷻ بإكرام المرأة والإحسان إليها لضعفها، فأثنى الله عليها فقال: (...**فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّهُ...**)، فالزوجات الصالحات هنَّ اللاتي يؤدين حقوق الله ﷻ بطاعته وطاعة رسوله ﷺ، وحقوق أزواجهن من الطاعة والتقدير والاحترام، الحافظات حال الغيبة أنفسهن وعفتهن ومال أزواجهن وأولادهن وحال الخلوة مع الزوج، وفي حضور الزوج أحفظ[4]، ثم أرشد الله ﷻ الأزواج إلى كيفية علاج الزوجة إذا نشزت: أي ترفعت على زوجها ولم تؤدِ حقوقه الواجبة له بمقتضى العقد بينهما، قال ﷻ: ﴿...**وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً..**﴾[5]، فيتبع الرجل مع زوجته

---

(1) انظر: التفسير الكبير – للرازي – 94/6.

(2) سورة النساء – الآيتان 34، 35.

(3) انظر: التفسير المنير – للزحيلي – 54/5.

(4) انظر: أيسر التفاسير – للجزائري – 473/1.

(5) سورة النساء – الآية 34.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الناشز أربعة مراحل وهي أولاً: الوعظ والإرشاد، وذلك بتذكيرها بما للزوج عليها من حقوق وواجبات، وما يترتب على إضاعتها من سخط الله، فإن نفع الوعظ فيها، وإلا فالثانية هي أن يهجرها في المضجع والفراش، فلا يكلمها وهو نائم معها على فراش واحد، فإن بقيت على نشوزها ولم يجد معها الهجران في الفراش، فإنه يضربها ضرباً غير مبرِّح، بحيث لا يخدش جارحة، ولا يكسر عضواً[1].

بعد ذلك تأتي المرحلة الرابعة من مراحل الإصلاح وهي مرحلة التحكيم: وذلك إن استمر الشقاق بين الزوجين لقوله ﷻ: ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا**﴾[2]، فهذه الآية قد تضمنت حكماً اجتماعياً، وهو إن حصل شقاق بين زوج وامرأته، وأصبح الرجل في شق، والزوجة في شق آخر، فلا تلاقي بينهما ولا وئام؛ وذلك لصعوبة الحال، فالطريق إلى حل هذه المشكلة وعلاجها ما أرشد الله إليه، وهو أن يبعث الزوج حكماً من أهله، وتبعث الزوجة أيضاً حكماً من أهلها، للسعي في إصلاح ذات البين بعد استطلاع حقيقة الحال بين الزوجين، ومعرفة أسباب الخلاف، ومتى صدقت الإرادة، وأخلص الحكمان النيّة والنصح لوجه الله، فالله يوفقهما بمهمتهما ويهدي إلى الخير، ويحقق الوفاق والتفاهم والألفة بين الزوجين، ويبارك وساطتهما ويكلل مسعاهما بالنجاح[3]، يقول الشيخ الشعراوي: "إن على كل حكم أن يخاف على نفسه ويحاول أن يخلص في سبيل الوصول إلى الإصلاح؛ لأنه إن لم يخلص فستنتقل المسألة إلى فضيحة له، فالذي خلق الجميع: الزوج والزوجة، والحكم من أهل الزوج، والحكم من أهل الزوجة قال: (**إِن يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللّهُ بَيْنَهُمَا**) فليذهب الاثنان تحت هذه القضية، ويُصرّا بإخلاص على التوفيق بينهما، لأن الله حين يطلق قضية كونية، فكل واحد يسوس نفسه وحركته في دائرة هذه القضية"[4]، فقد بينت الآية الكريمة الأصل في الحكمين، وهو إخلاص النية، وذلك بتوفر إرادة الإصلاح الصادقة، فإن صدقت الإرادة وصلحت النية صلحت الحال، واستقامت الأفعال، وقبلت عند الله تعالى[5].

---

(1) انظر: أيسر التفاسير – للجزائري – 474/1، التفسير المنير – للزحيلي – 56/5.

(2) سورة النساء – الآية 35.

(3) انظر: التفسير المنير – للزحيلي – 58/5، أيسر التفاسير – للجزائري – 475/1.

(4) تفسير الشعراوي – 2204/4.

(5) انظر: أحكام القرآن – لابن العربي – 426/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني: إرادة النصح:

وقد تمثلت إرادة النصح في دعوة سيدنا نوح عليه السلام، فقد لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى عبادة الله وحده، ونبذ عبادة الأصنام والأنداد من دون الله ﷻ، ولكن قومه لم يقبلوا دعوته، فقد زادتهم دعوة نوح عليه السلام بعداً وفراراً عن الحق، قال ﷻ ﴿**وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [1]، فقد استكبروا عن اتباع الحق والانقياد له، بعد أن بين لهم نوح عليه السلام أنه رسول من الله إليهم، يدعوهم إلى عبادة الله وحده، ولا يسألهم على ذلك أجراً، ثم هو يدعوا الشريف والوضيع، فمن استجاب له فقد نجا، ويخبرهم أنه لا قدرة له على التصرف في خزائن الله، ولا يعلم الغيب إلا ما أطلعه الله عليه، وليس هو بملك من الملائكة، بل هو بشر مرسل مؤيد بالمعجزات[2]، قال ﷻ: ﴿**وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللّهُ خَيْرًا اللّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ**﴾[3]، فعند هذا الحد كان الملأ من قوم نوح قد يئسوا من مناهضة الحجة بالحجة؛ فإذا هم –على عادة طبقتهم– قد أخذتهم العزة بالإثم، واستكبروا أن تغلبهم الحجة، وأن يذعنوا للبرهان الفعلي والفطري، فإذا هم يتركون الجدل إلى التحدي: ﴿**قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾[4]، فقد استعجلوا نقمة الله وعذابه وسخطه لفرط عنادهم، أما نوح عليه السلام فلم يخرجه هذا التكذيب وهذا التحدي عن سمت النبي الكريم، ولم يقعده هذا التحدي عن بيان الحق لهم، وإرشادهم إلى الحقيقة التي غفلوا عنها وجعلوها في طلبهم من أن يأتيهم بما أوعدهم، وردهم إلى هذه الحقيقة، وهي أنه ليس سوى رسول، وليس له إلا البلاغ، أما العذاب فمن أمر الله، وهو الذي يدبر الأمر كله، ويقدر المصلحة في تعجيل العذاب وتأخيره، فلا يقعده عن إبلاغه وبيانه أن القوم يكذبونه ويتحدونه[5]..﴿**قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللّهُ إِن شَاء وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ * وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾[6]، يقول لهم: إن نصحي وإنذاري وإبلاغي لكم لا ينفعكم فأنتم لا تقبلونه مهما أردت ذلك وبالغت فيه إن كان الله جل جلاله يريد أن يغويكم لما فرط منكم من عناد وكفر

---

(1) سورة هود – الآية 34.

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – 187/4.

(3) سورة هود – الآية 31.

(4) سورة هود – الآية 32.

(5) انظر: في ظلال القرآن – سيد قطب – 1875/4.

(6) سورة هود – الآيتان 33–34.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبجاحة ومكابرة[1]، "فإذا كانت سنة الله تقتضي أن تهلكوا بغوايتكم، فإن هذه السنة ستمضي فيكم، مهما بذلت لكم من النصح، لا لأن الله سيبعدكم عن الانتفاع بهذا النصح، ولكن لأن تصرفكم بأنفسكم يجعل سنة الله تقتضي أن تضلوا، وما أنتم بمعجزين من أن ينالكم ما يُقدَّر لكم، فأنتم دائماً في قبضته، وهو المدبر، المقدر لأمركم كله؛ لا مفر لكم من لقائه وحسابه وجزائه"[2].

اللطائف والإشارات من دعوة نوح عليه السلام ونصحه في قومه:

1. مشروعية الجدال لإحقاق الحق وإبطال الباطل، بشرط الأسلوب الحسن، دل على ذلك قوله ﷻ ﴿...**قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا...**﴾[3]، وقوله ﷻ ﴿**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...**﴾[4].
2. إرادة الله ﷻ قبل كل إرادة، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.
3. لا ينفع نصح الناصحين ما لم يرد الله ﷻ الخير للمنصوح له.
4. إن مهمة الأنبياء والدعاة إلى الله ﷻ هي النصح للناس، وإرشادهم إلى طريق الخير، وإلى عبادة الله ﷻ، جاء في الحديث عن النبي ﷺ قال: **(الدين النصيحة، قلنا لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)**[5].
5. قوله ﷻ: ﴿**إِن كَانَ اللّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ**﴾[6] رد على المعتزلة[7] والقدرية[8] ومن وافقهما الذين زعموا أن الله ﷻ لا يريد أن يعصي العاصي، ولا يكفر الكافر، ولا يغوي الغاوي، وأنه يفعل ذلك، والله لا يريد ذلك، إذ الواقع أن الله هو الهادي والمضل، وإرادة الله يصح تعلقها بالإغواء، فالله ﷻ يبين للناس طريق الهداية وطريق الضلال، ويختار الإنسان ما يشاء مع إرادة الله[1].

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – 187/4، أيسر التفاسير – للجزائري – 541/2.

(2) في ظلال القرآن – سيد قطب – 1875/4.

(3) سورة هود – الآية 32.

(4) سورة النحل – الآية 125.

(5) صحيح مسلم – كتاب الإيمان (1) – باب بيان أن الدين النصيحة (23) – ص55 – حديث رقم 101.

(6) سورة هود – الآية 34.

(7) المعتزلة: فرقة من الفرق الإسلامية، يسمون أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقدرية، وبالعدلية، وأصول مذهبهم هي: التوحيد، والعدل، والوعد، والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، انظر (موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب والحركات الإسلامية – عبد المنعم الحنفي – ص605).

(8) القدرية: هم الذين نسبوا التقدير إلى أنفسهم لا إلى الصانع، بمعنى أن الطاعة والعصيان من أفعال العباد، وليست من القضاء والقدر، وكانت المعتزلة قدرية، فقالوا إن الله قد قدّر الخير والشر، ولكن لم يقض بأن نفعلها قسراً، انظر (موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب – عبد المنعم الحنفي – ص530).

(1) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – للألوسي – مج 4 – 47/12، التفسير المنير – للزحيلي – 64/12.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

6. كلام نوح عليه السلام مع قومه دليل على أنه ﷻ ما أغواهم، بل فوَّض الاختيار إليهم من وجهين:

الأول: لو أراد الله ﷻ إغوائهم، لما بقي في النصح فائدة، ولما أمر الله نوحاً بأن ينصح الكفار، وقد أجمع المسلمون على أن نبينا كغيره من الأنبياء مأمور بدعوة الكفار ونصيحتهم.

الثاني: لو ثبت الحكم عليهم بأن الله ﷻ أغواهم، أي خلقهم غاوين ضالين، لصار هذا عذراً لهم في عدم إيمانهم، ولصار عمل نوح لا داعي له، ولا فائدة منه، لأنه يسهل عليهم الاعتذار بذلك، والرد بعدم جدوى دعواه[1].

7. مذهب أهل السنة أن الله ﷻ قد يريد الكفر من الإنسان، ولكن لا يأمره بذلك، وإنما يأمره بالإيمان، وإذا أراد الكفر من العبد فإنه يمتنع صدور الإيمان منه، فالله ﷻ يريد الكفر خلقاً وإيجاداً، ولا يريده شرعاً وديناً، فهو لا يرضى لعباده الكفر[2].

المطلب الثالث: إرادة السعي للآخرة

إن من أفضل سعي الإنسان، سعيه في طاعة الله ﷻ وابتغاء رضاه، إذ إنه خلقه في هذه الدنيا لعبادته ﷻ، وطاعته، وذلك بإتباع شرعه، ولذلك فإن الناس ينقسمون في حياتهم الدنيا إلى قسمين: قسم شغلته الدنيا وألهته عن طاعة الله ﷻ، فكل همّه هو كيف يحصّل الدنيا ومتاعها من مال وجاه ومنصب ورياسة، وقسم آخر وهم الصالحون، الذين يريدون الله والدار الآخرة، وذلك بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، قال ﷻ: ﴿**مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا**﴾[3]، فقد جاءت هذه الآيات بعد بيان الله ﷻ للناس بأنهم ملزمون بتبعة أعمالهم، حيث قال: ﴿**وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا**﴾[4]، فقد وكل الله أمر العباد إلى أنفسهم، فالمسيء لا يضر بإساءته غيره، ولا يحملها عنه غيره، فلا تزر وازرة وزر أخرى، فكل إنسان يحاسب على أعماله، وجاءت أيضاً بعد إعذار الله ﷻ إليهم بأنه لا يأخذهم على غرَّة ولا يأخذهم إلا بسوء أعمالهم، قال ﷻ: ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً**﴾[1]، فجاءت هذه الآيات بعد هذا البيان

---

(1) انظر: التفسير الكبير – للرازي – 219/17، التفسير المنير – للزحيلي – 64/12.

(2) انظر: التفسير المنير – للزحيلي – 64/12.

(3) سورة الإسراء – الآية 18–19.

(4) سورة الإسراء – الآية 13.

(1) سورة الإسراء – الآية 15.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من الله ﷻ لتكشف للناس عن مقاصدهم من أعمالهم، فهم قسمان: قسم لم يرد إلا الحياة الدنيا، فكانت أعماله لمرضات شهواته معتقداً أن الدنيا هي قصارى مراتع النفوس لاحظ لها إلا ما حصّل لها في مدة الحياة؛ لأنه لا يؤمن بالبعث والحساب، فيقصر عمله على ذلك، وقسم آخر علم أن الفوز الحق هو فيما بعد هذه الدنيا، فعمل للآخرة مقتفياً ما هداه الله إليه من الأعمال الصالحة بواسطة رسله عليهم السلام، ولذلك فإن الله ﷻ قد عامل كل فريق بمقدار همته[1].

فالذين يريدون العاجلة ويريدون الحياة الدنيا وحدها دون غيرها، ولها يعملون دون إيمان بمعاد ولا حساب، فإن الله ﷻ يتفضل عليهم من منافعها بما يشاء، لمن أراد له ذلك، فقيَّد اللهﷻ المعجَّل بمشيئته، والمعجل له بإرادته، وهكذا الحال لمن أراد الدنيا وحدها، ترى كثيراً من هؤلاء يتمنون ما يتمنون، ولا يعطون إلا بعضاً منه، وكثيراً منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه، فاجتمع لهم فقر الدنيا والآخرة، فليس كل من طلب الدنيا وما فيها من النعيم يحصل له، بل إنما يحصل لمن أراد الله له ذلك[2]، جاء في الحديث عن النبي ﷺ قال: **(من كانت الآخرة همّه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا هَمَّه جعل الله فقره بين عينيه، وفرَّق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتب له)**[3]، ولذلك كانت عاقبة من أراد الدنيا وحدها وجعلها هي كل همّه وقصده أنه يصلى نار جهنم مذموماً على سوء قصده وصنيعه، ومطروداً من رحمة الله ﷻ، لأنه اختار الفاني على الباقي، يقول سعيد حوَّى: "فإذا كان المؤمن والكافر مستويين في كونهما يُعطيان بمشيئة الله، وللمؤمن أجره، فلم يكفر الكافرون بسبب الدنيا ووراء ذلك جهنم"[4].

وأما الذين أرادوا الآخرة، ولها يعملون، فإن الله ﷻ قد بارك سعيهم وشكرهم عليه، قال ﷻ: ﴿**وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا**﴾[5]، فالسعي المشكور هو المشكور ساعيه، وهو صاحبه الذي قام به، فوصفه به مجاز عقلي، إذ المشكور هو المرضي عنه، فالمقصود بذلك الإخبار عن جزاء عمل من أراد الآخرة وسعى لها سعيها[1]، وهنا قد اشترط الله ﷻ في كون السعي مشكوراً، ثلاث شرائط، وهي: إرادة الآخرة بأن يعقد بها همَّه ويتجافى عن دار الغرور، والسعي فيما كلف من الفعل والترك،

---

(1) انظر: تفسير التحرير والتنوير – ابن عاشور – مج7 – 58/15.

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – 40/5، الأساس في التفسير – سعيد حوى – 3049/6.

(3) سنن الترمذي – كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (35) – باب ما جاء في صفة أواني الحوض (15) – ص556 – حديث رقم 2465 – وقال الألباني: صحيح.

(4) الأساس في التفسير – 3049/6.

(5) سورة الإسراء – الآية 19.

(1) انظر: تفسير التحرير والتنوير – مج7، 61/15.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والإيمان الصحيح الثابت، فعن بعض المتقدمين ما لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله، إيمان ثابت، ونيَّة صادقة، وعمل مصيب، ولذا لا بد لطلاب الآخرة من ثلاث خصال، وهي إرادة الآخرة، والسعي الجميل لها، والإيمان[1].

يقول ابن عاشور[2]: "والاختلاف بين جملة: من كان يريد العاجلة، وجملة: ومن أراد الآخرة، بجعل الفعل مضارعاً في الأولى وماضياً في الثانية للإيماء إلى أن إرادة الناس العاجلة متكررة متجددة، وفيه تنبيه على أن أمور العاجلة منقضية زائلة، وجعل فعل إرادة الآخرة، ماضياً لدلالة المعنى على الرسوخ تنبيهاً على أن خير الآخرة أولى بالإرادة، ولذلك جُرِّدت الجملة من كان ومن المضارع، وما شرط في ذلك إلا أن يسعى للآخرة سعيها وأن يكون مؤمناً"[3].

فالسعي المشكور هو السعي للآخرة، وذلك بالإيمان الصحيح الذي لا يخالطه قادح، والعمل الصالح الموافق لما شرعه الله في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، وذلك بالإتيان بما أمر الله ﷻ والانتهاء عما نهى الله عنه.

يقول الألوسي[4]: "وفائدة اللام في (وسعى لها سعيها) سواء كانت للأجل أو للاختصاص اعتبار النيَّة والإخلاص لله ﷻ في العمل، ويكون في ذلك تحقيراً للدنيا وتعظيماً لشأن الآخرة ما لا يخفى على من تأمل"[5]، ولذلك ينبغي على الإنسان أن يوجه قصده وإرادته نحو الآخرة، فهي الدار الخالدة والباقية، فالله ﷻ يعطي الناس كلهم في هذه الدنيا، ويرزقهم جميعاً مؤمنهم وكافرهم، حيث قال: ﴿**كُلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا**﴾[1]، فكل الناس يتنعَّم في هذه الدنيا بنعيم الله ﷻ ورزقه، ولكن النعيم الحقيقي يوم القيامة هو لأهل الإيمان، الذين أطاعوا الله، وامتثلوا شرعه، وسعوا في مرضاته، فزادهم الله ﷻ من فضله، وجزاهم الجزاء الحسن على أعمالهم الصالحة، وتجاوز لهم عن سيء

---

(1) انظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل – الزمخشري – 443/2.

(2) هو الإمام محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتيين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونية وفروعه بتونس، له مصنفات كثيرة منها: مقاصد الشريعة الإسلامية، وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام، والتحرير والتنوير في تفسير القرآن؛ توفي في تونس سنة 1393 هجرية، انظر (الأعلام – للزركلي – 174/6).

(3) تفسير التحرير والتنوير – مج7 – 60/15.

(4) هو الإمام محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، شهاب الدين، أبو الثناء، الألوسي نسبة إلى جزيرة ألوس في وسط نهر العراق، كان مفسراً، ومحدثاً، وأديباً، ولد ببغداد وتوفي بها سنة 1270 هجرية، انظر (الأعلام – للزركلي – 176/7)

(5) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – للألوسي – مج5 – 47/15.

(1) سورة الإسراء – الآية 20.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أعمالهم برحمته وكرمه، قال ﷻ: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ**﴾[1].

الأسباب التي تصرف الإنسان عن إرادة الآخرة

أولاً: الترف والمال

يقول ﷻ: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ * وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ**﴾[2]، فهذه الآية فيها تسليةٌ للنبي ﷺ وقد لاقى من قومه العناد والكفر حين دعاهم إلى الله ﷻ، فبين الله له أن هذه عادة وطريقة السادة والكبراء والمترفين مع الرسل من قبله، فإن هؤلاء السادة والمترفين لما رأوا ما هم فيه من النعم والأموال والأولاد كفروا بالله ورسله ولم يؤمنوا بعذاب يوم الآخرة، إذ قالوا لو لم يكن الله راضياً على ما نحن عليه من الملَّة والعمل لم يخولنا الأموال والأولاد، ولم يبسط لنا في الرزق، وإنما أعطانا ما أعطانا لرضاه عنا، وعن أعمالنا، وآثرنا بما آثرنا على غيرنا لفضلنا[3]، فقد غرَّتهم أموالهم وأولادهم مما جعلهم يرفضون دعوة الرسل، ولذلك فقد أبطل اللهﷻ حسبانهم بأن الرزق فضل منه ﷻ يقسمه كما يشاء بين عباده على حسب ما يراه من المصالح، قال ﷻ: ﴿**قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[4]، فربما يوسع الله على العاصي ويضيِّق على المطيع، وربما يوسع على المطيع ويضيق على العاصي، فيضيِّق على من يشاء لا لمحبة فيمن يبسط له ذلك، ولا لبغض منه لمن ضيَّق عليه في رزقه، ولكنه يفعل ذلك محنة لعباده وابتلاء، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الله يفعل ذلك اختباراً وابتلاءً لعباده[5].

ثانياً: التقليد للآباء والأسلاف

فقد ذم الله ﷻ التقليد في كتابه حيث قال: ﴿**بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ * وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ**﴾[1]، فهنا يقول جل ثناؤه للنبي ﷺ فإنما سلك مشركوا قريش من قومك

---

(1) سورة الشورى – الآية 20.

(2) سورة سبأ – الآيتان 34، 35.

(3) انظر: جامع البيان – 2762/8، الكشاف – للزمخشري – 292/3.

(4) سورة سبأ – الآية 36.

(5) انظر: جامع البيان – 6764/8.

(1) سورة الزخرف – الآيات 22–24.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

منهاج من قبلهم من إخوانهم من أهل الشرك بالله في إجابتهم إياك بما أجابوك به، وردهم ما ردوا عليك من النصيحة، واحتجاجهم بما احتجوا به لمقامهم على دينهم الباطل، فجعلوا أنفسهم مهتدين بمجرد تقليد الآباء من غير حُجَّة ولا برهان[1].

يقول الرازي: "لو لم يكن في كتاب الله إلا هذه الآية لكفت في إبطال القول بالتقليد، وذلك لأنه ﷻ بيَّن أن هؤلاء الكفار لم يتمسكوا في إثبات ما ذهبوا إليه لا بطريق عقلي ولا بدليل نقلي؛ ثم بيَّن أنهم إنما ذهبوا إليه بمجرد تقليد الآباء والأسلاف، وإنما ذكر ﷻ هذه المعاني في معرض الذم والتهجين"[2].

ثالثاً: المعاصي والذنوب

يقول ﷻ: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا**﴾[3] فهذه الآية الكريمة تبيِّن سنة الله ﷻ في أهل المعاصي، فإن من توغل في الشر والظلم والفساد فإن الله ﷻ يجعل على قلبه كناناً يحيط به فيصبح لا يفقه شيئاً، ويجعل في أذنيه وقراً فلا يسمع الهدى ولا ينتفع به[4]، فلذلك لم ينتفعوا بآيات القرآن الكريم إذا ذكروا بها كما قال ﷻ: ﴿**لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾[5]، ولهذا قال ﷻ لنبيِّه ﷺ (**وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا**) أي فلن يكون منهم اهتداء البتَّة مدة التكليف و(إذاً) جزاء للشرط وجواب عن سؤال النبي ﷺ المدلول عليه بكمال عنايته بإسلامهم، كأنه قال ﷺ: مالي لا أدعوهم إلى الهدى؟ فقيل: وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبداً[6].

رابعاً: حُب الجاه والسلطان

يقول ﷻ: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَن لاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ * فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ**﴾[1]، فقد طعن قوم نوح عليه السلام في نبوته ورسالته بثلاث أنواع من الشبهات، وهي:

---

(1) انظر: جامع البيان – 7278/9، زاد المسير – 94/7.

(2) التفسير الكبير – الرازي – 206/27.

(3) سورة الكهف – الآية 57.

(4) انظر: أيسر التفاسير – 269/3.

(5) سورة الأعراف – الآية 179.

(6) انظر: تفسير أبو السعود – 389/3، الكشاف – 489/2، النسفي – 18/3.

(1) سورة هود – الآيات 25–27.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأولى: أنه بشر مثلهم.

الثانية: كونه ما اتبعه إلا الأراذل من القوم كالحياكة وأهل الصنائع الخسيسة، قالوا: لو كنت صادقاً لاتبعك الأكياس من الناس والأشراف منهم، ونظيره قوله ﷻ في سورة الشعراء ﴿**أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ**﴾[1]، فقد استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتأخرهم في الأسباب الدنيوية، فكان الأشرف عندهم من له مال وجاه[2].

الثالثة: أنهم لم يروا نوحاً وأتباعه على شيء من الفضل لا في العقل ولا في رعاية المصالح العاجلة ولا في قوة الجدل، ولذلك لم يعترفوا بنبوة نوح عليه السلام والإيمان به، نظراً لأن أتباعه هم الفقراء والضعفاء من الناس.

المطلب الرابع: إرادة النكاح واستبدال الأزواج

يقول الله عز وجل: ﴿**وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً * وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا**﴾[3]، ففي هذه الآية الكريمة ينهى الله عباده المؤمنين عن أخذ شيء من مهر المرأة إذا أرادوا طلاقها والتزوج بغيرها، فإن كان مهر هذه المرأة التي يريدون طلاقها قنطاراً من المال، فلا يحل لهم أن يأخذوا منه شيئاً.

فقد رُوِيَ أن الرجل قديماً كان إذا أراد التزوج بامرأة أخرى رمى زوجته بالفاحشة، حتى يلجئها إلى الافتداء منه بما أعطاها من مال ليصرفه على تزوُّج المرأة التي يريدها، ويرغب فيها[4]، ولذلك قال ﷻ: **(وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ)**، محذراً من ظلم المرأة، والإضرار بها، إذ الظلم قديم في الإنسان، وفي طبعه، والرجل الظالم يعتمد على قوته عادة، وعلى كون الطلاق بيده، وكان من ظلم الرجال للنساء أن الرجل إذا أراد تطليق امرأته، استرد ما دفعه من مهر، متذرعاً بوسائل كثيرة ومضايقات متنوعة، لدرجة الرمي بفاحشة الزنا، ولذلك نهى الله عن ذلك بقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَاء كَرْهًا وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾[1]، فلا يحل للزوج إذا كره

---

(1) سورة الشعراء – الآية 111.

(2) انظر: الكشاف – 265/2، تفسير البيضاوي – 454/1.

(3) سورة النساء – الآيتان 20،21.

(4) انظر: التفسير الكبير – الرازي – 13/10، التفسير المنير – الزحيلي – 303/4.

(1) سورة النساء – الآية 19.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

زوجته أن يضايقها ويضارها حتى تفتدي منه ببعض مهرها، إذ من معاني العضل المضايقة والمضارة، هذا ما لم ترتكب الزوجة فاحشة الزنا، أو تترفع على الزوج، وتتمرد عليه، وتبخسه حقه في الطاعة والمعاشرة بالمعروف، أما إذا أتت بفاحشة بيِّنة لا شك فيها أو نشزت نشوزاً بيِّناً فحينئذ للزوج أن يضايقها حتى تفتدي منه بمهرها أو بأكثر منه حتى يطلقها، يقول الإمام الفخر الرازي[1]: "اعلم أن سوء العشرة إما أن يكون من قِبل الزوج، وإما أن يكون من قِبل الزوجة، فإن كان من قِبل الزوج كُره له أن يأخذ شيئاً من مهرها؛ لأن قوله ﷻ: **(وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئًا)** صريح في أن النشوز إذا كان من قبله، فإنه يكون منهياً عن أن يأخذ من مهرها شيئاً، ثم إن وقعت المخالعة ملك الزوج بدل الخلع...، وإذا كان النشوز من قبل المرأة فهنا يحل أخذ بدل الخلع؛ لقوله ﷻ **(وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ)**"[2]، فإذا كره الرجل زوجته وأراد طلاقها واستبدالها بغيرها، فلا يحلُ له أن يأخذ من مهرها شيئاً، إن كان سبب الفراق مجرَّد إرادة استبدال زوجة بأخرى، يقول ابن عاشور عند تفسيره الآية: "لا جرم أن الكراهة تتبعها إرادة استبدال المكروه بضدِّه، فلذلك عطف الشرط على الذي قبله استطراداً واستيفاءً للأحكام"[3]، فإن لم يكن سبب الفراق إلا إرادة استبدال زوجة بأخرى فلا يجوز أن يلجئ التي يريد فراقها، حتى تخالعه، ليجد مالاً يعطيه مهراً للتي رغب فيها، لقوله ﷻ: ﴿**وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا**﴾[4]، فقد بيَّن ﷻ العلَّة في هذا النهي وهذا المنع وهي:

أولاً: أن هذا الأخذ يتضمن نسبة الزوجة إلى الفاحشة المبيِّنة، فكان ذلك بهتاناً وإثماً بيِّناً، لأن هذا المال حقها، فمن ضيَّق الأمر عليها ليتوصل بذلك التشديد والتضييق عليها إلى أخذ المال، فإن ذلك من أعظم الظلم والإثم البيِّن، وقد قال ﷻ: **(وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ)**، فالظاهر من حال المسلم أنه لا يخالف أمر الله ﷻ، فإذا أخذ منها شيئاً أشعر ذلك بأنه قد أتت بفاحشة بيِّنة، فإذا لم يكن الأمر كذلك في الحقيقة صح وصف ذلك الأخذ بأنه بهتان، من حيث يدل على إتيانها بالفاحشة مع أن الأمر ليس كذلك،

---

(1) هو الإمام محمد بن عمر بن الحسين بن علي التيمي البكري، الطبرستاني الأصل، الرازي المولد، الملقب بفخر الدين، المعروف بابن الخطيب، ولد سنة 543هجري بالري، وتوفي في مدينة هراة سنة 606 هجرية، انظر (وفيات الأعيان – لابن خلكان – 248/4).

(2) التفسير الكبير – 14/10.

(3) تفسير التحرير والتنوير – مج3 – 288/4.

(4) سورة النساء – الآية 21.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفيه تقرير آخر وهو أن أخذ المال طعن في ذاتها وأخذ لمالها، فهو بهتان من وجه، وظلم من وجه آخر، فكان ذلك معصية عظيمة من أمهات الكبائر[1].

ثانياً: أنكر الله ﷻ على الزوج أن يأخذ شيئاً من مهر زوجته، لا لذنب، ولا لتقصير في التزام حدود الله، وذلك بعد ما حدث بينهم من استمتاع أو جماع، أو إفضاء متبادل، وملامسة قد يتسبب منها إنجاب الولد، فكيف يقطعون هذه الصلة، ويهتكون ستر المرأة، ويسيئون إلى سمعتها، ظلماً وطمعاً في مالها.

ثالثاً: من الوجوه التي جعلها الله مانعاً من استرداد المهر قوله ﷻ: **(وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا)**، فقد قيل أن الميثاق الغليظ "هو قولهم زوجتك هذه المرأة على ما أخذه الله للنساء على الرجال، من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، ومعلوم أن الرجل إذا ألجأ زوجته لتختلع منه وتفتدي نفسها فما سرَّحَها بإحسان، بل سرَّحَها بالإساءة"[2].

الأحكام التشريعية في الآية الكريمة

1. دلَّ قوله ﷻ: **(وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا)** على جواز المغالاة في المهور، لأن الله ﷻ لا يمتِّلُ إلا بمباح، والقنطار هو المال الكثير الوزن، وقد فهم الناس ذلك من الآية بدليل قصة عمر ﷺ والمرأة، فقد خطب عمر ﷺ فقال: ألا لا تغالوا في صَدُقات النساء، فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله، لكان أولاكم بها رسول الله ﷺ ما أصدق امرأة من نسائه ولا بناته فوق اثنتي عشرة أوقية، فقامت إليه امرأة فقالت: يا عمر، يعطينا الله وتحرمنا! أليس الله ﷻ يقول: **(وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئًا)**، فقال عمر: أصابت امرأة وأخطأ عمر[3]، وقيل إن الآية لا تعطي جواز المغالاة في المهور، لأن التمثيل بالقنطار إنما هو على وجه المبالغة، كأنه قال: وآتيتهم هذا القدر العظيم الذي لا يؤتيه أحد[4].

ويرى الباحث: أن التمثيل بالقنطار إنما هو على وجه المبالغة، وليس المقصود من ذلك جواز المغالاة في المهور، بدليل حدث عمر ﷺ السابق الذي بين صداق أزواج النبي ﷺ وبناته.

2. قال أبو بكر الرازي: "ذكر الفرَّاء[1] أن الإفضاء هو الخلوة وإن لم يقع دخول، فإذا كان اسم الإفضاء يقع على الخلوة، فقد منعت الآية أن يأخذ منها شيئاً بعد الخلوة والطلاق؛ لأن قوله ﷻ: **(وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ)** قد أفاد الفرقة والطلاق، وسميت الخلوة إفضاء

---

(1) انظر: التفسير الكبير – 15/10.

(2) التفسير الكبير – الرازي – 16/10، وانظر: جامع البيان – الطبري – 2214/3.

(3) سنن الترمذي – كتاب النكاح (9) – باب ما جاء في مهور النساء (22) – ص264 – حديث رقم (1114) – قال الألباني: صحيح.

(4) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج – للزحيلي – 306/4.

(1) هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن منظور الديلمي، مولى بني أسد، أو بني منقر، معروف بالفرَّاء، وهو إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة والأدب، توفي سنة 207 هجرية، انظر (الأعلام – للزركلي – 145/8).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لزوال المانع من الوطء والدخول"[1]، ولذلك فإنه يفهم من كلام الرازي أنه استدل بهذه الآية على أن الخلوة الصحيحة تقرر المهر؛ لأن الله ﷻ منع الزوج أن يأخذ شيئاً من المهر، وهذا المنع مطلق، ترك العمل به قبل الخلوة، فوجب أن يبقى معمولاً به بعد الخلوة.

وقد اختلف الفقهاء في ذلك، فذهب الحنفية والحنابلة إلى أن المهر يتقرَّر بالخلوة، وذهب الشافعية والمالكية إلى أنه يتقرَّر بالجماع، لا بالخلوة، وحجتهم في ذلك أن الآية مختصة بما بعد الجماع بدليل قوله ﷻ **(وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ)** وإفضاء بعضهم إلى بعض هو الجماع، وقد رجَّح هذا الرأي الإمام الرازي في تفسيره الكبير وذكر الأدلة على ذلك[2].

صور أخرى من صور إرادة النكاح

(1) إرادة نكاح سيدنا موسى عليه السلام

قال ﷻ على لسان شعيب عليه السلام: ﴿**قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾[3]، فبعد أن توجه سيدنا موسى عليه السلام هارباً إلى أرض مدين من بطش فرعون، وطلبه له بعد حادثة قتل القبطي، ونصيحة مؤمن آل فرعون له بالخروج من البلاد، فحين ورد ماء مدين[4]، وهو بئر يسقي الناس منها مواشيهم، ووجد عليه جماعة من الناس يسقون أغنامهم ومواشيهم، ووجد من دونهم امرأتين –وهما بنتا شعيب عليه السلام تمنعان ماشيتهما من الاختلاط بمواشي الناس وأنعامهم، فلما سقى لهما ورجعت البنتان إلى أبيهما في أقرب ساعة، وأخبرتاه بخبر موسى عليه السلام وبعث إحداهما لدعوة سيدنا موسى ليجزيه أجر السقاية، فلما جاءه سيدنا موسى وقص عليه قصته مع فرعون وحاشيته، أمَّنه من خوفه، وهدأ من روعه، وعرض عليه نكاح إحدى ابنتيه، وذلك بعد أن عرف من ابنتيه عفتَّه وقدرته وأمانته، يقول سيد قطب رحمه الله: "وهكذا في بساطة وصراحة عرض الرجل إحدى ابنتيه من غير تحديد –ولعله كان يشعر كما أسلفنا– أنها محددة، وهي التي وقع التجاوب والثقة بين قلبها وقلب الفتى، عرضها من غير تحرُّج ولا التواء، فهو يعرض نكاحاً لا يخجل منه، يعرض بناء أسرة وإقامة بيت، وليس في هذا ما يخجل، ولا ما يدعو إلى التحرُّج والتردد والإيماء من بعيد، والتصنع والتكلف مما شاهد في البيئة التي تنحرف عن سواء الفطرة، وتخضع لتقاليد مصطنعة باطلة سخيفة، تمنع الوالد أو ولي الأمر

---

(1) أحكام القرآن – الرازي – 159/2.

(2) انظر: التفسير الكبير – 15/10.

(3) سورة القصص – الآية 27.

(4) مَدْيَن: هي مدينة على بحر القلزم محاذية لتبوك على نحو من ست مراحل، وهي أكبر من تبوك، وبها البئر الذي استقى منه موسى عليه السلام لسائمة شعيب عليه السلام، انظر (معجم البلدان – لياقوت الحموي – 92/5).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من التقدم لمن يرتضي خلقه ودينه وكفايته لابنته أو أخته أو قريبته؛ وتحتم أن يكون الزوج أو وليه أو وكيله هو الذي يتقدم، أولا يليق أن يجيء العرض من الجانب الذي فيه المرأة؛ ومن مفارقات مثل هذه البيئة المنحرفة أن الفتيان والفتيات يلتقون ويتحدثون ويختلطون وينكشفون بعضهم لبعض من غير ما خطبة ولا نيَّة نكاح، فأما حين تعرض الخطبة أو يذكر النكاح، فيهبط الخجل المصطنع، وتقوم الهوائل المتكلفة، وتمتنع المصارحة والبساطة والإبانة"[1].

وقد قبل موسى عليه السلام هذا العرض، وهذه الإجارة على عفة فرجه، قال ﷻ: ﴿**قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ**﴾[2]، يقول ابن عاشور: "وظاهر الآية أيضاً أن الإجارة المذكورة جُعلت مهراً للبنت، ويحتمل أن المشروط التزام الإجارة لا غير، وأما المهر فتابع لما يعتبر في شرعهم ركناً في النكاح، والشرائع قد تختلف في معاني الماهيات الشرعية، وإذا أخذنا بظاهر الآية كانت دالة على أنهما جعلا المهر منافع إجارة الزوج لشعيب، فيحتمل أن يكون ذلك برضاها لأنها سمعت، وسكتت بناءً على عوائد مرعية عندهم بأن ينتفع بتلك المنافع أبوها"[3].

ويرى أبو بكر الرازي أن منافع الحر لا تكون مهراً حيث يقول: "من الناس من يحتج بذلك في جواز عقد النكاح على منافع الحر؛ وليس فيه دلالة على ما ذكروا لأنه شَرَط منافعه لشعيب عليه السلام ولم يشرط لها مهراً، فهو بمنزلة من تزوَّج امرأة بغير مهر مسمَّى، وشرط لوليها منافع الزوج مدة معلومة، فهذا إنما يدل على جواز عقد النكاح من غير تسمية مهر، وشرطه للولي، ذلك يدل على أن عقد النكاح لا تفسده الشروط التي لا يوجبها العقد، وجائز أن يكون قد كان النكاح جائزاً في تلك الشريعة بغير بدل تستحقه المرأة، فإن كان كذلك فهو منسوخ بشريعة النبي، ويدل على أنه قد كان جائزاً في تلك الشريعة أن يشترط للولي منفعة"[4].

الأحكام التشريعية في الآية الكريمة

1. دل قوله ﷻ: (إني أريد أن أنكحك)، على جواز عرض الولي ابنته على الرجل لخطبتها، وهذه سنة شائعة قديمة، فقد عرض صالح مدين ابنته على صالح بني إسرائيل، وعرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابنته حفصة على أبي بكر وعثمان كما في صحيح البخاري، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (حين تأيمت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمي وكان من أصحاب رسول الله ﷺ قد شهد بدراً توفي بالمدينة قال عمر فلقيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة فقلت إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر قال سأنظر في

(1) في ظلال القرآن – 2688/5.

(2) سورة القصص – الآية 28.

(3) تفسير التحرير والتنوير – مج10 – 107/20.

(4) أحكام القرآن – للرازي – 509/3.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أمري، فلبث ليالي، فقال قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا، قال عمر فلقيت أبا بكر فقلت إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر فلم يرجع إليّ شيئاً فكنت عليه أوجد مني على عثمان، فلبثت ليالي، ثم خطبها رسول الله ﷺ، فأنكحتها إياه فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت عليَّ حين عرضت عليَّ حفصة فلم أرجع إليك، قلت نعم، قال فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت إلا أني قد علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ ولو تركها لقبلتها)[1].

2. دل قوله ﷻ: (أنكحك) على أن النكاح إلى الولي، لا للمرأة، لأن شعيب عليه السلام هو الذي تولى نكاح ابنته، وهو رأي جمهور العلماء[2].
3. دل ظاهر الآية الكريمة على جواز الزواج بمنفعة الإجارة، وهو أمر قد أقره شرعنا، بدليل ما روي من حديث المرأة التي وهبت نفسها للنبي ﷺ فظهر عليه أنه لم يقبلها، وأن رجلاً من أصحابه قال له: إن لم تكن لك بها حاجة فزوجنيها، قال: هل عندك ما تصدقها؟ إلى أن قال له ﷺ **(التمس ولو خاتماً من حديد)** قال: ما عندي ولا خاتم من حديد، فقال له النبي ﷺ ما معك من القرآن؟ قال: معي سورة كذا وكذا لسور يعددها، قال له: قد أملكناكها بما معك من القرآن[3]، وفي رواية أن النبي ﷺ أمره أن يعلمها عشرين آية مما معه من القرآن وتكون امرأته حيث قال: **(قم فعلمها عشرين آية وهي امرأتك)**[4]، فإن صحت هذه الزيادة كان الحديث جارياً على وفق ما في هذه الآية وكان حجة لصحة جعل الصداق إجارة على عمل[1].
4. دلت الآية على اجتماع عقدين هما الإجارة والزواج، وقد أجازه ابن العربي المالكي على الصحيح، لأن الآية تدل عليه، والمسألة أصلها من السنة النبوية حديث المرأة التي عرضت نفسها على النبي ﷺ فلم يتزوجها وزوجها من رجل كان حاضراً مجلسه، ولم يكن عنده ما يُصدقها، فزوجه إياها بما معه من القرآن، أي على أن يعلمها[2].

---

(1) صحيح البخاري – كتاب النكاح (67) – باب عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير (34) – 371/3 – حديث رقم 5122.

(2) انظر: التفسير المنير – الزحيلي – 89/20.

(3) صحيح البخاري – كتاب النكاح (67) – باب عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح (33) – 371/3 – حديث رقم 5121.

(4) سنن أبي داود – كتاب النكاح (6) – باب في التزويج على العمل يُعمل (31) – ص320 – حديث رقم 2112 – قال الألباني: ضعيف.

(1) انظر: تفسير التحرير والتنوير – ابن عاشور – مج10 – 108/20.

(2) انظر: أحكام القرآن – ابن العربي – 1476/3.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

5. دل قوله ﷻ: (وما أريد أن أشق عليك) على إرادة سيدنا شعيب عليه السلام الحسنة والحميدة، فإنه أراد تزويج موسى عليه السلام دون أن يشترط عليه ما فيه مشقة، وهذا من السماحة الواردة في حديث النبي ﷺ: **(رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى)**[1].

(2) إرادة نكاح النبي ﷺ

يقول الله عز وجل: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾**[2]، ففي هذه الآية يذكر الله ﷻ أنواع الأنكحة التي أحلها لرسوله ﷺ فذكر أربع فئات من النساء اللاتي أباح الله لنبيه الزواج بهن، ومن بين هذه الأصناف الأربعة المرأة الواهبة نفسها للنبي، وهي التي تجعل نفسها هبة له دون مهر، فقد رويَ أن خولة بنت حكيم كانت من اللائي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ فقالت عائشة: أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل[3]، وروي عن ثابت النباني[4] أنه قال: **(كنت عند أنس، وعنده ابنةٌ له، فقال أنس: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ تعرض عليه نفسها، قالت: يا رسول الله، ألك بي حاجةٌ؟ فقالت بنت أنس: ما أقل حياءها، واسوأتاه، واسوأتاه، قال: هي خيرٌ منك، رغبت في النبي ﷺ فعرضت عليه نفسها)**[1]، فمثل هذه النساء الواهبات أنفسهن للنبي ﷺ فإنه ﷺ مخيرٌ في نكاحهن لقوله ﷻ: **(وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ)**، فهذا الإحلال ليس بواجب عليه ﷺ بحيث يلزمه قبول ذلك، بل مقيداً بإرادته ﷺ فهو مخير في ذلك إن شاء النكاح؛ وإنما بيَّن ﷻ ذلك، وجعله قرآناً يتلى –والله أعلم– لأن من مكارم أخلاق نبينا ﷺ أن يقبل من الواهب هبته، ويرى الأكارم أن ردِّها هُجْنَةَ في العادة، ووصمة على الواهب، وإذاية لقلبه؛ فبيَّن الله ﷻ ذلك في حق رسوله ﷺ لرفع

---

(1) صحيح البخاري – كتاب البيوت (34) – باب السهولة والسماح والشراء والبيع ومن طلب حقاً فليطلبه في عفاف (16) – 79/2 – حديث رقم 2076.

(2) سورة الأحزاب – الآية 50.

(3) صحيح البخاري – كتاب النكاح (67) – باب هل للمرأة أن تهب نفسها لأحد؟ (30) – 370/3 – حديث رقم 5113.

(4) هو ثابت بن أسلم، أبو محمد البصري، من صغار التابعين، كان محدثاً من الثقات المأمونين، مات سنة سبع وعشرين عن ست وثمانين، انظر (طبقات الحفاظ – للسيوطي – ص56).

(1) صحيح البخاري – كتاب النكاح (67) – باب عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح (33) – 370/3 – حديث رقم 5120.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحرج عنه[1]، فقوله ﷻ: **(إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا)** جملة شرطية لدفع تَوَهُم أن يكون قبوله هبتها نفسها له واجباً عليه كما كان عرف أهل الجاهلية، وجوابه محذوف دل عليه ما قبله والتقدير: إن أراد أن يستنكحها فهي حلال له.

"وفائدة الاحتراز بهذا الشرط الثاني إبطال عادة العرب في الجاهلية، وهي أنهم كانوا إذا وهبت المرأة نفسها للرجل تعيَّن عليه نكاحها، ولم يجز له ردَّها، فأبطل الله هذا الالتزام بتخيير النبي ﷺ في قبول هبة المرأة نفسها له وعدمه، وليرفع التعيير عن المرأة الواهبة بأن الرد مأذون به"[2]، يقول الألوسي: "فهبتها نفسها منه ﷺ لا يوجب له حلها إلا بإرادته نكاحها وهذه الإرادة جارية مجرى قبول الهبة"[3].

وهذا النوع من النكاح خاصٌ بالنبي ﷺ فلا يحل لغيره من أمته لقوله ﷻ: (خالصة لك من دون المؤمنين) فهذا الإحلال خاصٌ بالنبي وحده دون غيره من المؤمنين، فإن من معنى الخلوص عدم المشاركة، فهذا الحكم خاصٌ به دون غيره من المؤمنين، ولذلك انتصبت (خالصة) على الحال من (امرأة) أي: أحللنا لك امرأة حالة كونها خالصة لك دون غيرك[4]، يقول الشوكاني: "وقد أجمع العلماء على أن هذا خاص بالنبي ﷺ وأنه لا يجوز لغيره، ولا ينعقد النكاح بهبة المرأة نفسها إلا ما روي عن أبي حنيفة، أو صاحبيه أنه يصحَّ النكاح إذا وهبت، وأشهد هو على نفسه بمهر، وأما بدون مهر فلا خلاف في أن ذلك خاص بالنبيﷺ"[5].

المطلب الخامس: إرادة الرضاع

يقول الله عز وجل: ﴿**وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُواْ أَوْلاَدَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾[1]، ففي هذه الآية إرشاد من الله ﷻ للوالدات أن يرضعن أولادهن كمال الرضاعة وهي سنتان، ثم بيَّن الله ﷻ أن على والد الطفل

---

(1) انظر: أحكام القرآن – ابن عربي – 1560/3.

(2) تفسير التحرير والتنوير – مج11 – 69/22.

(3) روح المعاني – مج8 – 58/22.

(4) انظر: فتح القدير – الشوكاني – 354/4، تفسير التحرير والتنوير – ابن عاشور – مج11 – 70/22.

(5) فتح القدير – 354/4.

(1) سورة البقرة – الآية 233.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الرضيع نفقة الوالدات، وكسوتُهن بالمعروف، أي بما جرت به عادة أمثالهن في بلدهن من غير إسراف ولا إقتار، بحسب قدرته في يساره، أو توسطه، أو إقتاره، لأن القاعدة العامة في الشريعة الإسلامية التكليف بقدر الوسع، ثم بيَّن الله عز وجل أنه لا يجوز للمرأة أن تدفع الولد عنها لتضر أباه بتربيته، كما لا يحل له انتزاعه منها لمجرد الضُر بها، وكما أن عدم الضرار واجب على الوالد، فكذلك الوارث، يجب عليه عدم الضرار بزوجة المتوفى، ثم يُبيِّن الله عز وجل أنه إذا اتفق والدا الطفل على فطامه، قبل الحولين، ورأيا في ذلك مصلحة له، وتشاورا في ذلك، وأجمعا عليه، فلا جناح عليهما في ذلك، ثم بيَّن الله عز وجل أنه إذا اتفقت الوالدة والوالد على أن يتسلم منها الولد إما لعذر منها، أو لعذر له، فلا جناح عليهما في بذله، ولا عليه في قبوله منها إذا سلَّمها أجرتها الماضية بالتي هي أحسن، واسترضع لولده غيرها، ثم أمرنا الله عز وجل أن نتَّقيه في جميع أحوالنا، وأن نعلم أنه لا يخفى عليه شيء من أحوالنا وأقوالنا[1].

ومناسبة هذه الآية لما قبلها من الآيات، أنه ﷻ لما ذكر جملة من الأحكام المتعلقة بالنكاح، والطلاق، والعدة، والرجعة، والعضل، ذكر في هذه الآية حكم الرضاع، لأن الطلاق يحصل به الفراق، فقد يطلِّق الرجل زوجته ويكون لها طفل ترضعه، وربما أضاعت الطفل أو حرمته الرضاعة انتقاماً من الزوج وإيذاءً له، لذلك وردت هذه الآية بمناسبة بيان أحكام الطلاق؛ لندب الوالدات المطلقات إلى رعاية جانب الأطفال والاهتمام بشأنهم[2].

فقوله ﷻ: **(وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ)**، خبر في معنى الأمر، أي وليرضع الوالدات أولادهن حولين كاملين، وهذا الأمر على وجه الندب، أو على وجه الوجوب إذا لم يقبل الصبي إلا ثدي أمه، أو لم توجد له ظئراً ترضعه، أو كان الأب عاجزاً عن الاستئجار[1]، وقوله ﷻ: **(لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ)**، بيان لمن توجه إليه الحكم، أي هذا الحكم لمن أراد إتمام الرضاعة، فهو خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هذا الحكم لمن أراد أن يتم الرضاعة[2].

يقول النسفي[3]: "والحاصل أن الأب يجب عليه إرضاع ولده دون الأم، وعليه أن يتخذ له ظئراً، إلا إذا تطوَّعت الأم بإرضاعه، وهي مندوبة إلى ذلك، ولا تجبر عليه، ولا يجوز استئجار الأم ما دامت زوجة، أو معتدة"[4].

---

(1) انظر: الأساس في التفسير – سعيد حوى – 547/1.

(2) انظر: روائع البيان في تفسير آيات الأحكام – الصابوني – 248/1، أيسر التفاسير – الجزائري – 221/1.

(1) انظر: الأساس في التفسير – سعيد حوَّى – 547/1.

(2) انظر: تفسير التحرير والتنوير – ابن عاشور – مج2 – 431/2، فتح القدير – الشوكاني – 319/1.

(3) هو الإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات، نسبته إلى نسف ببلاد السند، فقيه حنفي، ومفسر، توفي سنة 710 هجرية، انظر (الأعلام – للزركلي – 67/4).

(4) تفسير النسفي – 117/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد جعل الله الرضاع حولين كاملين، رعياً لكونها أقصى مدة يحتاج فيها الطفل للرضاع إذا عرض له ما اقتضى زيادة إرضاعه، فأما بعد الحولين فليس في نمائه ما يصلح له الرضاع بعد، ولما كان خلاف الأبوين في مدة الرضاع لا ينشأ إلا عن اختلاف النظر في حاجة مزاج الطفل إلى زيادة الرضاع، جعل الله القول لمن دعا إلى الزيادة، احتياطاً لحفظ الطفل.

يقول الشيخ محمد أبو زهرة: "وهذه المدة هي حد لثلاثة أمور عند جمهور الفقهاء:

أولها: أجرة الرضاعة التي تستحقها الأم، والتي دل عليها قوله ﷻ من بعد **(وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ)**.

وثانيتها: على نهاية الوجوب الذي أوجبه الشارع على الأم عند القائلين بأنه يجب عليها قضاءً إرضاع ولدها؛ وعلى نهاية الوجوب الديني عند الذين لا يفرضون عليها إلا الوجوب الديني دون القضائي.

وثالثهما: أن الإرضاع المحرِّم الذي يكون موجباً لصلة تكون الأنثى فيه حراماً كالنسب تماماً في كل أحوال التحريم لا يكون إلا في هذين الحولين؛ أما بعد ذلك فالرضاع لا يحرِّم؛ وعلى ذلك الرأي جمهور الفقهاء"[1].

وقد ذكر الله ﷻ رخصتين في الإرضاع:

الرخصة الأولى: إن أراد الأبوان فطام الولد قبل عامين فإن لهما ذلك بعد التشاور في ذلك وتقدير مصلحة الولد من هذا الفطام المبكر، قال ﷻ: **(فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا)**، فقد تبين في سابق النص الكريم أن الحد بالحولين من حيث وجوب الإرضاع ووجوب الإنفاق ليس حداً لازماً بل هو للكمال لمن أراد أن يتم الرضاعة كما صرَّح النص الحكيم؛ ولذلك كان للأب والأم مجتمعين غير منفرد أحدهما عن الآخر أن يفطما الطفل قبل هذه المدة، ولذا سيقت الجملة السامية **(فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا)** لرفع الإثم والحرج عن الأبوين إن فعلا ذلك بعد التشاور، والإرادة الحُرَّة الصريحة الواجبة والرضا الكامل من كل منهما.

يقول ابن عاشور: "وعن في قوله: **(عَن تَرَاضٍ)** متعلقة بأرادا أي إرادة ناشئة عن التراضي، إذ قد تكون إرادتهما صورية أو يكون أحدهما في نفس الأمر مُرغماً على الإرادة، بخوف، أو اضطرار"[1] ولذلك اعتبر ﷻ في الفصال أمرين:

الأول: التشاور فيه بأن يفحص الأبوان حال الطفل من حيث قوته وقدرته على الاستغناء عن لبن الأم، وسلامة جسمه ونموِّه، وقد أوجب ﷻ التشاور عند الفطام؛ لأن ذلك سيؤثر على

---

(1) زهرة التفاسير – 806/2.

(1) تفسير التحرير والتنوير – مج2 – 438/2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

صحة الطفل، بل ربَّما أثر في أعصابه، وإن لذلك خطره وشأنه فوجب التشاور فيه، والشورى واجبة في كل أمر ذي شأن وخطر.

وثاني الأمرين الذي لا بد من وجودهما عند الفطام: أن يكون الفطام بإرادة حُرَّة صريحة واضحة ورضاً كامل من كل منهما؛ ولذلك أكد الرضا من كل منهما بالذكر مرتين: أولهما أنه قال: **(فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً)**، فأوجب تحقُق إرادتهما، وثانيهما أنه قال: **(عَن تَرَاضٍ)**، أي إرادة حرَّة صريحة صادرة عن تراضٍ صحيح، ليس فيه شائبة إكراه[1].

الرخصة الثانية: إن أراد المولود له وهو الأب أن يسترضع لولده مرضعاً غير أمه فله ذلك إن طابت نفس الأم، قال ﷻ: **(وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُواْ أَوْلاَدَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ)**، أي إذا أردتم حين عجز الأم، أو إبائها أن تسترضعوا المراضع لأولادكم، فلا إثم عليكم إذا سلمتم هذه المراضع ما أردتم إيتاءه لهنَّ من الأجرة بالمعروف الذي هو طيب النفس، من غير مماطلة لهن، أو حط ببعض ما هو لهن من ذلك، فإن عدم توفير أجرهن يبعثهن على التساهل في أمر الصبي، وعدم الاهتمام بشأنه[2].

الأحكام التشريعية المستنبطة من الآية الكريمة:

1. جاءت هذه الآية في سياق آيات الطلاق، فإذا فهمناها من خلال السياق، فإن الآية تكون حديثاً عن موضوع لا بد من حلِّه، وهو موضوع الولد من حيث رضاعه، وتربيته، فإن الأم المطلَّقة من شأنها أن ترضع ولدها حولين كاملين، وفي مقابل ذلك لها النفقة، وهذه النفقة تجب لها إذا كانت زوجة، أو معتدة بحكم الزوجية، أما بعد انفصام الزوجيَّة، فبحكم قيامها على تربية الطفل، وانحباسها من أجل مصلحته، والشورى والرغبة في المصالحة هما الأصل في العلاقة من أجل الطفل، وهذا يدل على مقدار عناية الإسلام بالرضاعة، ومقدار عنايته بتربية الأطفال، وتغذيتهم، وعنايته بأجسامهم، وسلامة دمهم، فإن لبن الأم هو الغذاء الطبيعي لولدها، ينمو بنموِّه، ويسير من حيث كم الغذاء مع تقدم سن الطفل شهراً بعد شهر، وهو غذاؤه في بطن أمه، فيكون هو غذاؤه بعد ولادته، وإن تعرُّضَ الطفل للمراضع يُعرِّضه للأدواء الوراثية فتنتقل إليه؛ بل يعرِّضه للأدواء النفسية، والعقلية التي تؤثر فيه؛ فإن المرضع تحمل إليه مع اللبن ما في جسمها من عيوب وراثية، وما في نفسها وعقلها من عيوب أيضاً؛ وقد أثبتت التجربة أن العيوب النفسية في المرضع تسري إلى من ترضعه، وتنتشر بها نفسه؛ بل تتكون منها طباعه، كما تكوَّن منها جسمه[1]، يقول

---

(1) انظر: زهرة التفاسير – محمد أبو زهرة – 812/2.

(2) انظر: فتح القدير – الشوكاني – 321/1، الأساس في التفسير – سعيد حوَّى – 549/1.

(1) انظر: تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار – محمد رشيد رضا – 416/2، زهرة التفاسير – محمد أبو زهرة – 807/2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سيد قطب رحمه الله: "وتُثبتُ البحوث الصحية والنفسية اليوم أن فترة عامين ضرورية لينمو الطفل نموًّا سليماً من الوجهتين الصحية والنفسية، ولكن نعمة الله على الجماعة المسلمة لم تنتظر بهم حتى يعلموا هذا من تجاربهم، فالرصيد الإنساني من زخيرة الطفولة لم يكن ليترك يأكله الجهل كل هذا الأمد الطويل، والله رحيم بعباده، وبخاصة بهؤلاء الصغار الضعاف المحتاجين للعطف والرعاية"[1].

2. دل قوله ﷻ: **(فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ)**، على وجوب تحقيق إرادة الأبوين، فلا بد أن يكون الفطام بإرادة حُرَّة صريحة واضحة، ورضاً كامل من كل منهما، وفي ذلك فوق ما فيه من رعاية مصلحة الطفل احترام إرادة المرأة فيما يتعلق بطفلها وأنها ليست كماً مهملاً في البيت، بل لها الرأي بجوار الرجل في أخطر الأمور وأشدها أثراً[2].

3. يقول ابن عاشور: "وقد دل قوله: **(وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُواْ أَوْلاَدَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ)**، على أنه ليس المراد بقوله (يرضعن) تشريع وجوب الإرضاع على الأمهات، بل المقصود تحديد مدة الإرضاع، وواجبات المرضع على الأب، وأما إرضاع الأمهات فموكول إلى ما تعارفه الناس، فالمرأة التي في العصمة، إذا كان مثلها يُرضع، يعتبر إرضاعها أولادها من حقوق الزوج عليها في العصمة، إذ العرف كالشرط، والمرأة المطلقة لا حق لزوجها عليها، فلا ترضعه له إلا باختيارها، ما لم يعرض في الحالتين مانع أو موجب، مثل عجز المرأة في العصمة عن الإرضاع لمرض، ومثل امتناع الصبي من رضاع غيرها، إذا كانت مطلَّقة بحيث يخشى عليه، والمرأة التي لا يرضع مثلها وهي ذات القدر، قد علم الزوج حينما تزوجها أن مثلها لا يرضع، فلم يكن له عليها حق الإرضاع"[1].

4. دلت الآية على أن المطلقات اللاتي لهن أولاد من أزواجهن أحق برضاع أولادهن من الأجنبيات لأنهن أحنى، وأرق، وانتزاع الولد الصغير من والدته إضرار بها وبه، وهذا يدل على أن الولد وإن فطم، فالأم أحق بحضانته لفضل حنوها وشفقتها، ما لم تتزوج بزوج آخر باتفاق العلماء لقوله ﷺ لامرأة –فيما رواه أبو داود في سننه– **(أنت أحق به ما لم تنكحي)**[2].

---

(1) في ظلال القرآن – 254/1.

(2) انظر: زهرة التفاسير – محمد أبو زهرة – 812/2.

(1) تفسير التحرير والتنوير – مج2 – 439/2.

(2) سنن أبي داود – كتاب الطلاق (7) – باب من أحق بالولد؟ (35) – ص346 – حديث رقم 2276 – قال الألباني: حسن.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

5. دل قوله ﷻ: **(يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ)**، على أن مدة الرضاع المحرِّم أي التي يحرِّم الرضاع فيها المصاهرة كما يَحرُمُ بالنسب هي حولان فقط، فإذا لم يقع الرضاع فيهما لا يحرِّم، وهذا مذهب مالك والشافعي وأحمد بخلاف أبي حنيفة، فقد ذهب إلى أن مدة الرضاع ثلاثون شهراً[1]، إذا فرَّق رحمه الله بين مدة الرضاعة التي تجب فيها الأجرة، ومدة الرضاعة المحرِّمة، فاعتبر الأولى حولين كاملين كنص الآية الكريمة، واعتبر الثانية ثلاثين شهراً، بقوله ﷻ: ﴿**...وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا...**﴾[2]، إذ فهم منها أن مدة الفصال الذي ينتهي بانتهاء الرضاعة تحتمل أن تكون ثلاثين شهراً، فللاحتياط أعمل ذلك الاحتمال في التحريم بالرضاع[3].
6. دل قوله ﷻ: **(...فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً...)**، على جواز الاجتهاد في الأحكام بإباحة الله ﷻ للوالدين التشاور فيما يؤدي إلى صلاح الصغير، وذلك موقوف على غالب ظنونهما، لا على الحقيقة واليقين، وإذا أرشد القرآن إلى التشاور في أدنى الأعمال لتربية الولد، فهو مطلوب بالأولى في أجلِّ الأعمال خطراً وأعظمها فائدة، وهي مشورة الحكام في مصالح الأمة، لذا أمر الله رسوله بمشاورة أصحابه بقوله: ﴿**...وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ...**﴾[4]، ومدح المؤمنين بقوله: ﴿**...وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ...**﴾[5].

المطلب السادس: إرادة التحصُّن

يقول الله عز وجل: ﴿**وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[1]، ففي هذه الآية الكريمة ينهى الله ﷻ عن إكراه الإماء على البغاء، وهو طلب الزنا، فالبغاء مصدر باغت الجارية، إذا تعاطت الزنا بالأجر حرفة لها، وهو مشتق من البغي بمعنى الطلب، وتسمى المرأة المحترفة له بغياً[2]، وقد روى مسلم في صحيحه عن جابر ﷺ **(أن جارية لعبد الله بن أبيٍّ بن سلول يقال لها: مُسَيْكَةَ،**

---

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن – القرطبي – 139/2.
(2) سورة الأحقاف – الآية 15.
(3) انظر: زهرة التفاسير – محمد أبو زهرة – 807/2.
(4) سورة آل عمران – الآية 159.
(5) سورة الشورى – الآية 38.
(1) سورة النور – الآية 33.
(2) انظر: تفسير التحرير والتنوير – ابن عاشور – مج9 – 222/18.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأخرى يقال لها أُمَيْمَة، فكان يُكرهُهُما على الزنا، فشكتا ذلك إلى النبي ﷺ فأنزل الله هذه الآية)[1].

وقيل: كانت لعبد الله بن أبيٍّ بن سلول ست إماء، كان يُكرهِّن على البغاء ويأخذ أجورهن، فجاءته إحداهن ذات يوم بالدينار، وأخرى بِبُرْد فقال لهما إرجعا فازنيا، فقالتا: والله لا نفعل ذلك وقد جاءنا الله بالإسلام، وحرَّم الزنا، فأتتا رسول الله ﷺ وشكتا له ذلك فأنزل الله الآية[2]، لينهى عن ذلك، كما كانت عادة أهل الجاهلية قبل الإسلام، إذ كانوا يكرهون فتياتهم على الزنا، لأجل الحصول على عرض الدنيا ومال قليل سريع الزوال.

فقوله ﷻ: (...**إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا**...)، مبالغة في اللوم والتأثيم، إذ التحصُّن إرادة حصن العفة يتحصَّن به، ولا يجعلن أنفسهن متاعاً يستفرشه الرجال في حرام، وليس معنى التعليق أنهن إذا كن يبغين البغاء يُكرهن، وإنما الشرط لتحقيق معنى الإكراه، فهو لا يكون إلا حيث تكون إرادة التحصُّن، وهو توبيخ لمالك الأَمَة التي تفعل، فإن الأَمَة تأبى أن تكون بغياً، وهو الذي يريدها بغياً[3].

يقول الزمخشري: "فإن قلت: لم أقحم قوله (...**إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا**...)؟ قلت: لأن الإكراه لا يتأتى إلا على إرادة التحصن، وآمر الطيِّعة المواتية للبغاء لا يسمى مكرهاً، ولا أمره إكراهاً، وكلمة "إن" وإيثارها على "إذا" إيذان بأن المساعيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن"[4].

ويرى الباحث: أن فائدة ذلك والله أعلم، أن يُبشِّع عند المخاطب الوقوع فيه لكي يتيقظ أنه كان ينبغي له أن يأنف من هذه الرذيلة، وإن لم يكن زاجر شرعي، ووجه التبشيع عليه أن مضمون الآية النداء عليه بأن أمته خير منه لأنها آثرت التحصن عن الفاحشة، وهو يأبى إلا إكراهها عليها، ولو أبرز مكنون هذا المعنى لم يقع الزاجر من النفس موقعه.

ولذلك فإن قوله ﷻ: (...**إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا**...) ليس لتخصيص النهي بصورة إرادتهن التعفف عن الزنا وإخراج ما عداها من حكمه كما إذا كان الإكراه بسبب كراهتهن الزنا بخصوص الزاني أو لخصوص الزمان، أو لخصوص المكان، أو لغير ذلك من الأمور المصححِّة للإكراه في الجملة بل هو للمحافظة على عادة من نزلت فيهم الآية، حيث كانوا يكرهونهن على البغاء والزنا وهن يُردْن التعفف عنه مع وفور شهوتهن الآمرة بالفجور والزنا[1].

---

(1) صحيح مسلم – كتاب التفسير (54) – باب في قوله: (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء) (3) – ص1480 – حديث رقم 7447.

(2) انظر: أسباب النزول – للواحدي – ص182.

(3) انظر: روح المعاني– الألوسي– مج6– 157/18، زهرة التفاسير– محمد أبو زهرة– 5191/10.

(4) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل – 66/3.

(1) انظر: روح المعاني – الألوسي – مج6 – 157/18.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد تمسك جمع بهذه الآية لإبطال القول بالمفهوم فقالوا: إنه لو اعتُبر يلزم جواز الإكراه عند عدم إرادة التحصن، والإكراه على الزنا غير جائز بحال من الأحوال إجماعاً، وقد أجيب عن ذلك:

أولاً: أنه خرج مخرج الأغلب إذ الغالب أن الإكراه عند إرادة التحصن ولا مفهوم في مثله.

ثانياً: أن المفهوم اقتضى ذلك وقد انتفى لمعارض أقوى منه وهو الإجماع[1].

ولذلك فإن مثل هذه الإماء المكرهات على البغاء، فإن الله ﷻ من بعد إكراههن غفور رحيم لهن لأنهنَّ لم يكنَّ يفعلنه إلا من بعد الإكراه، ولم تكن عندهن رغبة وإرادة في الفجور والزنا.

(1) انظر: روح المعاني – الألوسي – مج6 – 157/18، تفسير التحرير والتنوير – ابن عاشور – مج9 – 226/18.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

الإرادة الإنسانية في ميادين الشر

ويشتمل على أحد عشر مطلباً:

- المطلب الأول: إرادة الإضلال.
- المطلب الثاني: إرادة الخداع.
- المطلب الثالث: إرادة السوء.
- المطلب الرابع: إرادة الخيانة.
- المطلب الخامس: إرادة نقض العهود.
- المطلب السادس: إرادة الفجور.
- المطلب السابع: إرادة القتل والجبروت.
- المطلب الثامن: إرادة الكيد.
- المطلب التاسع: إرادة الفرار من الواجب.
- المطلب العاشر: إرادة الإلحاد.
- المطلب الحادي عشر: إرادة ولاية الكافرين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

الإرادة الإنسانية في ميادين الشر

بين يدي المبحث

لقد جُبل الإنسان بطبعه على فعل الخير وفعل الشر، فإن النفس الإنسانية فيها مادة الصلاح ومادة الفساد، قال ﷻ: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾[1]، وقال: ﴿**وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾[2]، أي طريق الخير وطريق الشر، فالإنسان بطبعه قابل ومستعد لفعل الخير وفعل الشر، وفي هذا يقول صاحب الظلال: "إن هذا الكائن مخلوق مزدوج الطبيعة، مزدوج الاستعداد، مزدوج الإتجاه، ونعني بكلمة مزدوج على وجه التحديد أنه بطبيعة تكوينه (من طين ومن نفخة الله فيه من روحه) مزود باستعدادات متساوية للخير والشر، والهدى والضلال، فهو قادر على التمييز بين ما هو خير وما هو شر، كما أنه قادر على توجيه نفسه إلى الخير وإلى الشر سواء: وأن هذه القدرة كامنة في كيانه، يعبر عنها القرآن بالإلهام تارة: **(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا)** ..، ويعبر عنها بالهداية تارة **(وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ)** ..، فهي كامنة في صميمه في صورة استعدادات ..، والرسالات والتوجيهات والعوامل الخارجية إنما توقظ هذه الاستعدادات وتسخرها وتوجهها هنا أو هناك، ولكنها لا تخلقها خلقاً، لأنها مخلوقة فطرة، وكائنة طبعاً، وكامنة إلهاماً"[3]، ويقول رحمه الله: "وهناك إذن تبعة مترتبة على منح الإنسان هذه القوة الواعية القادرة على الاختيار والتوجيه، توجيه الاستعدادات الفطرية القابلة للنمو في حقل الخير وفي حقل الشر سواء، فهي حرية تقابلها تبعة، وقدرة يقابلها تكليف، ومنحة يقابلها واجب ..."[4].

وفي هذا المبحث سنتحدث عن توجه الإنسان وإرادته لفعل الشر وذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول: إرادة الإضلال

وقد تمثلت إرادة الإضلال في اليهود، وذلك بعد أن عرفوا صفة النبي ﷺ ونعته في التوراة التي جاءهم بها موسى عليه السلام قال ﷻ: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ**

---

(1) سورة الشمس – الآيتان 7، 8.

(2) سورة البلد – الآية 10.

(3) في ظلال القرآن – 3917/6.

(4) المرجع السابق – 3918/6.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ السَّبِيلَ﴾[1]، فقد كتم اليهود صفة النبي ﷺ لما جاء من غيرهم، وقد كانوا من قبل بعثته عليه السلام يقولون للعرب إن نبيًّا قد أظل زمانه، وسوف نؤمن به، ونقاتلكم، ثم ننتصر عليكم، فلما جاءهم ما عرفوا من صفته ﷺ كفروا به[2]، قال ﷻ: ﴿**وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ * بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ بَغْياً أَن يُنَزِّلُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ فَبَآؤُواْ بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ**﴾[3].

فقد قبَّح الله سلوكهم وصنيعهم حيث إنهم باعوا أنفسهم رخيصة، باعوها بالكفر فلم يؤمنوا بالقرآن ونبيه ﷺ حسداً أن يكون من العرب نبي يُوحى إليه، ورسول يُطاع ويتبع، ولذلك فإنهم باؤوا بغضب على غضب من الله ﷻ، إذ إنهم كفروا بعيسى عليه السلام أولاً، ثم كفروا بمحمدٍ ﷺ ثانياً لما جاء من العرب، فباؤوا بغضب من الله مع ما لهم من العذاب المهين في الدنيا والآخرة[4]، وذلك لأنهم اشتروا الضلالة بالهدى، واستبدلوا الضلالة وهي البقاء على اليهودية بعد وضوح الحجة على صحة نبوة محمد ﷺ وصحة الدين الإسلامي ولم يكتفوا بذلك، بل أرادوا لأهل الإسلام أن يضلوا السبيل، قال ﷻ: **(وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ السَّبِيلَ)**، فيريد هؤلاء اليهود الذين وصفهم الله جل ثناؤه بأنهم أوتوا نصيباً من الكتاب أن يضل أصحاب محمد ﷺ المصدقين به عن طريق الحق، ويكذبوا بمحمد ﷺ ويكونوا ضلالاً مثلهم لئلا يمتازوا عليهم ويفضلوهم بالاهتداء والإيمان، كما قال ﷻ: ﴿**وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[5].

ووصفهم "بلفظ أوتوا نصيباً من الكتاب بدلاً من آتيناهم الكتاب، إبعاد لهم عن هذا المقام الكريم، مقام الخطاب من الله رب العالمين، لأنهم –وقد فعلوا ما فعلوا من المنكرات– ليسوا أهلاً أن يوجه لهم خطاب من الله رب العالمين..، فوجَّه إليهم الخطاب مجهول الجهة التي تخاطبهم، حتى لكأنهم في مواجهة الوجود كله، يطلُعُ عليهم من كل أفق منه مَنْ يستنكر ما هم فيه من ضلال، ويحمِّق موقفهم من رسول الله وكتابه، فكأن ألسنة الخلق كلها تنادي

---

(1) سورة النساء – الآية 44.

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – 151/1، التفسير الكبير – الرازي – 180/3، أسباب النزول– للسيوطي – ص27.

(3) سورة البقرة – الآيتان 89، 90.

(4) انظر: أيسر التفاسير – الجزائري – 82/1.

(5) سورة البقرة – الآية 109.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مشيرة إلى هذا الضلال والسَّفه الذي يركب هؤلاء الحمقى السفهاء من الناس، إذ يشترون الضلالة بالهدى، والباطل بالحق، والشر بالخير"[1].

ولهذا فإن الله ﷻ يُطمئن نفوس المؤمنين بنصره لهم وكفايتهم من أعدائهم، إذ يقول: ﴿**وَاللّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللّهِ نَصِيرًا**﴾[2]، فإن الإخبار عن عداوة اليهود وحسدهم وإرادتهم إضلال المؤمنين من شأنه أن يلقي الرعب والخوف في قلوب المسلمين، وقد كان اليهود المجاورين للمسلمين ذوي عَدَدٍ وعُدَد، ومعهم الأموال،وهم مبثوثون في المدينة وما حولها من قينقاع وقريظة والنضير وخيبر، فعداوتهم وسوء نواياهم ليسا بالأمر الذي يستهان به، فكان قوله ﷻ: **(وَكَفَى بِاللّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللّهِ نَصِيرًا)** مناسباً لقوله **(وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ السَّبِيلَ)** لما فيه من تطمين نفوس المؤمنين وكفاية الله ونصره لهم[3].

صور أخرى من صور إرادة الإضلال في القرآن الكريم

1. إرادة الإحسان عند المنافقين

وقد تمثلت هذه الإرادة في موقفين للمنافقين، زعموا أنهم ما قاموا بهما إلا من أجل الإحسان والتوفيق، ولكن الله ﷻ بيّن في كتابه كذبهم ونفاقهم، وإرادتهم الفاسدة، وخباياهم السيئة، فأهل النفاق في كل زمان ومكان هدفهم هو الطعن على المسلمين، وتربص الدوائر بهم، ولذلك أمر الله ﷻ نبيَّه ﷺ بجهادهم والغلظة في قتالهم، قال ﷻ: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾[4].

أ- تحاكم المنافقين إلى الطاغوت

يقول ﷻ: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا * فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآؤُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا**﴾[5] ففي هذه الآيات ينكر الله ﷻ على المنافقين موقفهم، حيث يزعمون الإيمان بما أنزل على رسول الله ﷺ والأنبياء الأقدمين، وهم مع ذلك يريدون التحاكم في فصل

---

(1) التفسير القرآني للقرآن – عبد الكريم الخطيب – مج2 – 805/5.

(2) سورة النساء – الآية 45.

(3) انظر: تفسير التحرير والتنوير – ابن عاشور – مج3 – 72/5.

(4) سورة التوبة – الآية 73.

(5) سورة النساء – الآيات 60-62.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخصومات إلى غير كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ[1]، فقد قيل أن سبب نزول هذه الآية: أنها نزلت في رجل من المنافقين ورجل من اليهود كان بينهما خصومة، فقال اليهودي: أحاكمك إلى أهل دينك لأني أعلم أنهم لا يقبلون الرشوة، وقال المنافق أحاكمك إلى اليهود منهم كعب بن الأشرف، لأنه علم أنهم يقبلون الرشوة، فاصطلحا أن يتحاكما إلى كاهن من جهنية[2]، فأنزل الله ﷻ : ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ**﴾[3]، فهنا يعجب الله ﷻ من حالهم، كيف يزعمون الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ وبما أنزل إليه، ومع ذلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت، والحال أنهم قد أمروا أن يكفروا به، فكيف يجتمع هذا والإيمان؟ فإن الإيمان يقتضي الانقياد لشرع الله وتحكيمه في كل ما أمر به من الأمور، قال ﷻ: ﴿**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا**﴾[4]، ولكن الشيطان قد أضل هؤلاء المنافقين فلا يقبلون الانقياد لحكم الله ﷻ، بل إنهم حين يدعون إلى كتاب الله، وإلى رسوله ليحكم بينهم فإنهم يصدون عنه صدوداً، بخلاف المؤمنين الذين قال الله فيهم: ﴿**إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[5]، ولذلك فإن الله ﷻ قد اعتبر هذا الصدود نفاقاً، كما اعتبر إرادتهم التحاكم إلى الطاغوت خروجاً من الإيمان –بل وعدم دخول فيه ابتداء– ومع هذا فهو يوجه نبيه ورسوله الكريم ﷺ إلى نصحهم وموعظتهم، مع الترغيب لهم في الانقياد إلى حكم الله ﷻ[6].

ثم بيَّن الله ﷻ حال المنافقين إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم من المعاصي والذنوب ومنها تحكيم الطاغوت، فإنهم يأتون النبي ﷺ معتذرين لما صدر منهم، ويقولون: ﴿**إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا**﴾[7]، أي ما قصدنا وما أردنا بذهابنا إلى غيرك والاحتكام إلى أعداءك إلا الإحسان والتوفيق، أي المداراة والمصانعة، لا اعتقاد منا بصحة تلك الحكومة[8]، فهم في ذلك كَذَبَةٌ؛ فإن الإحسان كل الإحسان بتحكيم الله ورسوله في كل الأمور، قال ﷻ ﴿**أَفَحُكْمَ**

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – 209/2، النكت والعيون – للماوردي – 501/1.

(2) انظر: أسباب النزول – للواحدي – ص90.

(3) سورة النساء – الآية 60.

(4) سورة النساء – الآية 65.

(5) سورة النور – الآية 51.

(6) انظر: في ظلال القرآن – سيد قطب – 693/2.

(7) سورة النساء – الآية 62.

(8) انظر: تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – 209/2، تيسير كلام الرحمن في تفسير كلام المنان – للسعدي – ص149.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [1]، ولكنهم كما أخبر الله ﷻ عنهم في قوله: **﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾**[2]، فهذه حال المنافقين المخزية؛ حين يعودون شاعرين بما فعلوا، غير قادرين على مواجهة الرسولﷺ بحقيقة دوافعهم، وفي الوقت ذاته يحلفون كاذبين: أنهم ما أرادوا بالتحاكم إلى الطاغوت إلا الرغبة في الإحسان والتوفيق، وهي دائماً دعوى كل من يحيدون عن الاحتكام إلى منهج الله وشريعته، إنهم يريدون اتقاء الإشكالات والمتاعب، التي تنشأ من الاحتكام إلى شريعة الله! ويريدون التوفيق بين العناصر المختلفة والاتجاهات المختلفة، والعقائد المختلفة، فهذه حجة الذين يزعمون الإيمان –وهم غير مؤمنين– وحجة المنافقين الملتوين.

ب– بناء المنافقين مسجد الضرار

يتعلل المنافقون دائماً بعلل كاذبة ظاهرها الصلاح وباطنها من قبله العذاب؛ فيظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، فقد بنى المنافقون مسجداً، وتعللوا بذي العلة والحاجة والليلة المطيرة، وطلبوا من النبي ﷺ أن يصلي فيه، فاعتذر بسبب خروجه إلى غزوة تبوك[3]، ونقل ابن كثير "أنهم بنوا هذا المسجد بأمر زعيم لهم يقال له أبو عامر الراهب، حيث قال لهم أبو عامر: ابنوا مسجداً واستعدوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح، فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم، فآتي بجند الروم، وأخرج محمداً وأصحابه"[4].

وقد هتك القرآن الكريم أستار المنافقين وكشف خباياهم وخداعهم ببنائهم مسجد الضرار، فنزل قول الله ﷻ: **﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ * أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْاْ رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾**[5].

---

(1) سورة المائدة – الآية 50.

(2) سورة المائدة – الآية 52.

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – 125/4، السيرة النبوية – ابن هشام – 409/4.

(4) تفسير القرآن العظيم – 226/4.

(5) سورة التوبة – الآيات 107–110.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقد بيّن الله ﷻ أهداف المنافقين ومقاصدهم من بناء هذا المسجد، فقد كان لـه أربـع صفات كما أخبر الله ﷻ، فإنهم قد بنوه من أجل الإضرار بالمسلمين، وكفراً بـالنبي ﷺ وبمـا جاء به، وتفريقاً بين المؤمنين، وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وهـو أبـو عـامر الراهب[1]، "كان قد تنصر في الجاهلية وقرأ علم أهل الكتاب، وكان فيه عبادة فـي الجاهليـة، وله شرف في الخزرج كبير، فلما تقدم رسول الله ﷺ مهاجراً إلى المدينة، واجتمع المسـلمون عليه، وصارت للإسلام كلمة عالية وأظهرهم الله يوم بدر، شَرِقَ[2] اللعين أبو عـامر بريقـه، وبارز بالعداوة وظاهر فيها؛ وخرج فارّاً إلى كفار مكة من قريش فألَّبهم على حـرب رسـول الله ﷺ"[3]، فلما عاد النبي ﷺ من تبوك وعلم بشأن هذا المسجد، بعث مالك بن الدُّخشم أخا بني سالم بن عوف ومعن بن عدي أو أخيه عاصماً أخا بني العجلان فقال: انطلقا إلى هذا المسـجد الظالم أهله فاهدماه وحرقاه، فخرجا مسرعين فهدماه وحرقاه[4]، فلما حُرِّق وهدم وانفضح أمر المنافقين، حلفوا ما أرادوا ببنائه إلا الحالة التي هي حسنى لا سوء فيها، إذ قالوا بنيناه لأجـل ذي العلة والليلة المطيرة، فأكذبهم الله ﷻ، وشهد عليهم بالكذب، ثم بين الله ﷻ صفات المسجد الذي ينبغي أن تقام الصلاة فيه، وهو المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم لقولـه ﷻ: ﴿**لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ**﴾ [5]، فهذا هو مسجد قباء الذي أسس على إخلاص الدين لله ﷻ، وإقامة ذكره وشعائره، وهو المسجد الذي ظهر فيه الإسلام، وهو المسجد الفاضل الذي ينبغـي أن يُتعبد فيه ويُذكر الله ﷻ فيه، فهو فاضل وأهله فضلاء، ولهذا مدحهم الله ﷻ بأنهم يحبـون أن يتطهروا من الذنوب، والنجاسات، والأحداث[6]، وهنا نجد الله ﷻ قد فاضل بين المسـجدين بحسب مقاصد أهلها وموافقتها لرضاه، فقال ﷻ: ﴿**أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْـوَى مِـنَ اللّـهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللّهُ لاَ يَهْـدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [7]، ولذلك فإن مسجد الضرار لما كان مقصد أهله وإرادتهم ببنائه متجهة نحو

---

(1) انظر: التفسير الكبير – للرازي – 193/16، أيسر التفاسير – للجزائري – 56/2.

(2) الشَرَق: الشجى والغصّة، يقال شَرِقَ فلان بريقه وكذا غُصّ بريقه، ويقال أخذته شَرْقة فكاد يموت. انظر (لسان العرب – لابن منظور – 177/10).

(3) تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – 124/4.

(4) انظر: أيسر التفاسير – للجزائري – 425/2، أسباب النزول – للواحدي – ص145.

(5) سورة التوبة – الآية 108.

(6) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – السعدي – ص308.

(7) سورة التوبة – الآية 109.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفساد والشر والكفر بالله ﷻ، والإضرار بالمسلمين، وذلك بإيقاع الفرقة بينهم، كانت نهايته الدمار والانهيار بأصحابه في نار جهنم.

ولذلك فإن العمل المبني على الإخلاص والمتابعة لله ورسوله، هو العمل المؤسس على التقوى، الموصل لعامله إلى جنات النعيم، والعمل المبني على سوء القصد وعلى البدع والضلالات، هو العمل المؤسس على شفا جرف هار، فانهار به في نار جهنم، والله لا يهدي القوم الظالمين.

2، إرادة التفريق بين الله ورسله

وقد تمثل ذلك في اليهود والنصارى، حيث فرقوا بين الله ورسله في الإيمان، فآمنوا ببعض الأنبياء وكفروا ببعض، تعصباً وتمسكاً بالموروث، واعتصاماً بالأهواء والشهوات، فاليهود آمنوا بالأنبياء كلهم إلا عيسى ومحمداً عليهما السلام، والنصارى آمنوا بالأنبياء كلهم وكفروا بخاتمهم وأشرفهم محمد ﷺ ولهذا وصفهم الله بالكفر؛ لأن الإيمان الحق يقتضي الإيمان بالله ﷻ وجميع أنبيائه ورسله، قال ﷻ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * أُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا**﴾[1]، ففي تصدير الآية الكريمة بهذا الوصف للذين يقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ما يشير إلى أن الإيمان كلٌ لا يتجزأ، وأن الكفر ببعض رسل الله هو كفر برسل الله جميعاً، وأن الكفر برسل الله هو كفر بالله ﷻ[2].

ولذلك فإن إيمان هؤلاء الذين يؤمنون بالله ويكفرون برسله أو ببعض رسله، هو إيمان غير مقبول، لأنه قائم على الشك في الله، إذ لو خلا من هذا الشك، لانسحب إيمانهم بالله إلى إيمانهم برسل الله، وكتبه، وملائكته، وبالبعث والجزاء والجنة والنار، وكل ما أخبر به الرسل من غيبيات كما قال ﷻ: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾[3] فمسلك أهل الإيمان هو الإيمان بالله ﷻ وجميع رسله، أما مسلك الذين يريدون أن يفرقوا بين الله ورسله فهو مسلك أهل النفاق، فالمنافقون هم من يأخذون من الإيمان شيئاً ومن الكفر شيئاً، فيسلكون طريقاً وسطاً بين الإيمان والكفر، ودينا مبتدعاً بين الإسلام واليهودية، ولذلك وصفهم الله ﷻ بالكفر، فقال: ﴿**أُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا**

---

(1) سورة النساء – الآيتان 150، 151.

(2) انظر: التفسير القرآني للقرآن – عبد الكريم الخطيب – مج2 – 957/5، تفسير التحرير والتنوير – ابن عاشور – مج4 – 11/6.

(3) سورة البقرة – الآية 285.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مُّهِينًا﴾[1]، فأولئك الموصوفون بهذه الصفات هم الكافرون حقاً، الكاملون في الكفر، فلا عبرة بما يدعونه من الإيمان، فقد أعد الله لهم عذاباً مهيناً **(وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا)** فقد وضع المظهر مكان المضمر ذماً لهم وتذكيراً لوصفهم، فسجَّل عليهم الكفر ثلاث مرات، الأولى بقوله: **(إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ)** والثانية بقوله **(أُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا)** والثالثة بقوله: **(وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا)** حيث لم يقل واعتدنا لهم فأظهر في موضع الإضمار لتسجيل الكفر عليهم وللإشارة إلى علة الحكم وهي الكفر[2].

ثم بيَّن الله ﷻ صفة أهل الإيمان الحقيقي، وذلك بعد أن حكم بالكفر على اليهود والنصارى، وبالعذاب المهين لهم، فقال: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَـئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾[3].

3، إرادة تبديل كلام الله

وقد تمثلت هذه الإرادة في الأعراب المنافقين من أهل البادية، الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في عمرة الحديبية، قال ﷻ: ﴿**سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾[4]، وذلك أن الله ﷻ بعد صلح الحديبية وما نال أهلها من آلام نفسية، أكرمهم الله بنعمٍ كثيرة، منها أنه واعدهم بغنائم خيبر، بأن يتم لهم فتحها ويغنمهم أموالها، وكانت أموالاً عظيمة، فلما عادوا إلى المدينة وأعلن الرسول ﷺ عن الخروج إلى خيبر جاء هؤلاء المخلفون من الأعراب –وهم من مزنية وجهنية وغفار وأشجع– يطالبون بالسير معهم لأجل الغنيمة لا غير، وكانوا قد تخلفوا عن وقت محاربة الأعداء ومجالدتهم ومصابرتهم، فأمر الله رسوله ﷺ ألا يأذن لهم في ذلك، معاقبة لهم من جنس ذنبهم، فإن الله ﷻ قد وعد أهل الحديبية بمغانم خيبر وحدهم، لا يشركهم فيها غيرهم من الأعراب المتخلفين، فلا يقع غير ذلك شرعاً ولا قدراً[5]، ولهذا قال ﷻ: **(يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ)** وهو الوعد الذي وعد به أهل الحديبية، وذلك أن الله ﷻ جعل لهم غنائم خيبر عوضاً عن فتح مكة[6]، ولذا أمر الله رسوله أن يقول لهم لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل، أي قد أخبرنا الله ﷻ بحالكم ومقالكم هذا قبل أن تقولوه وتكنوا به.

---

(1) سورة النساء – الآية 151.

(2) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم – أبو السعود – 601/1، أيسر التفاسير – الجزائري– 566/1.

(3) سورة النساء – الآية 152.

(4) سورة الفتح – الآية 15.

(5) انظر: تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – 226/7، أيسر التفاسير – الجزائري – 102/5.

(6) انظر: أيسر التفاسير – الجزائري – 102/5.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4، إرادة الانحراف والميل العظيم

يقول ﷻ: ﴿**وَاللّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيمًا**﴾[1] فقد جاءت هذه الآية بعد بيان الله ﷻ المحرَّمات والمحلَّلات من المناكح، فإن الله ﷻ لما حرَّم ما حرَّم من المناكح وأباح ما أباح منها علل ذلك بأنه ما شرع ذلك إلا لأنه يريد أن يبين لعباده ما هو نافع مما هو ضار، فيأخذوا النافع، ويجتنبوا الضار، كما يريد أن يهديهم طرائق الصالحين من الأنبياء والمؤمنين الصالحين، ليسلكوها، ويسعدوا في حياتهم، قال ﷻ ﴿**يُرِيدُ اللّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾[2] فيريد الله ﷻ من هذا البيان أن يرجع المؤمنون من ضلال الجاهلية إلى هداية الإسلام فيعيشوا على الطهر والصلاح[3]، وذلك بخلاف الذين يتبعون الشهوات فإنهم كما قال ﷻ: ﴿**وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيمًا**﴾[4] أي يريدون أن تكونوا زناة مثلهم، تزنون كما يزنون[5].

فقد قيل أن هذه الآية نزلت في اليهود والنصارى لاستحلالهم الأخوات لأب وبنات الأخ وبنات الأخت، فلما حرمَّهن الله قالوا: فإنكم تحلون بنت الخالة والعمة، والخالة عليكم حرام، فانكحوا بنات الأخت والأخ فنزلت[6]، "فإنهم يريدون من المؤمنين أن ينحرفوا مثلهم فينغمسوا في الملذات والشهوات البهيمية حتى يصبحوا مثلهم لا فضل لهم عليهم، وحينئذ لا حق لهم في قيادتهم أو هدايتهم"[7].

ولهذا فإن القرآن الكريم يكشف عن نفسية الإنسان، إذ الزناة يرغبون في كون الناس كلهم زناة، والمنحرفون يودون أن ينحرف الناس مثلهم، وهكذا كل منغمس في خبيث أو شر أو فساد، يود أن يكون كل الناس مثله، كما أن الطاهر يود أن يطهر الناس، ويصلح كل الناس.

5، إرادة آلهة الإفك

وقد تمثلت إرادة الإفك في قوم إبراهيم عليه السلام، فقد اتخذوا أصناماً آلهة من دون الله ﷻ يعبدونها ويتقربون إليها قال ﷻ: ﴿**وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاء رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ * إِذْ قَالَ**

---

(1) سورة النساء – الآية 27.

(2) سورة النساء – الآية 26.

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – 160/2، أيسر التفاسير – الجزائري – 464/1.

(4) سورة النساء – الآية 27.

(5) انظر: جامع البيان – للطبري – 2254/3، تفسير النسفي – أحمد بن محمود النسفي – 221/1.

(6) انظر: جامع البيان – للطبري – 2255/3، تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – 160/2، زاد المسير – ابن الجوزي – 112/2.

(7) أيسر التفاسير – الجزائري – 464/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ * أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1]، فهنا يخبر الله ﷻ بأن إبراهيم عليه السلام من أشياع نوح عليه السلام الذين هم على ملته ومنهجه، فقد جاء ربه بقلبٍ سليمٍ من الشرك والشك والالتفات لغير الله ﷻ[2]، ولهذا نصح الخلق في الله ﷻ، وبدأ بأبيه وقومه، فقال منكراً عليهم: **(أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ)** أي: أتعبدون من دون الله آلهة كذباً، ليست بآلهة، ولا تصلح للعبادة، فما ظنكم برب العالمين، أن يفعل بكم وقد عبدتم معه غيره؟ وهذا ترهيبٌ لهم بالجزاء بالعقاب إذا أقاموا على شركهم وبقوا على عبادة الأصنام والأنداد[3].

المطلب الثاني: إرادة الخداع

يقول ﷻ: ﴿**وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ**﴾[4]، فقد جاءت هذه الآيات بعد أمر الله ﷻ عباده المؤمنين بإعداد القوة لإرهاب الأعداء، حيث قال: ﴿**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ**﴾[5]، فإن الله ﷻ يأمر نبيه ﷺ بعد توافر الإعداد الحربي والاستعداد التام للجهاد بالصلح القائم على العزة والكرامة، إذا رأى ميلاً من العدو إلى طلب الصلح، ورأى منهم جنوحاً عن الحرب إلى السلم فالحكم أن يقبل السلم، ويفوِّض الأمر إلى الله، ولا يخف غدرهم وخداعهم، فالله هو السميع لما يقولون، العليم بما يفعلون، فلا يخفى عليه ما يأتمرون به من الكيد والخداع[6]، ولذلك قال ﷻ: ﴿**وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[7] فإن يريد هؤلاء الأعداء بهذا الصلح خديعة ليتقووا ويستعدوا فالله يكفيك أمرهم وينصرك عليهم، فهو كافيك وحده "وهذا دليل واضح على إيثار السلم وتفضيله على الحرب؛ لأن الإسلام دين السلام والهداية والمحبة، ولا يلجأ في شرعه إلى القتال إلا عند وجود

---

(1) سورة الصافات – الآيات 83–87.

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – 15/7، أيسر التفاسير – الجزائري – 415/4.

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – 15/7، تيسير الكريم الرحمن – السعدي – ص651.

(4) سورة الأنفال – الآيتان 61، 62.

(5) سورة الأنفال – الآية 60.

(6) انظر: تفسير المراغي – أحمد مصطفى المراغي – 26/4، التفسير المنير – الزحيلي – 55/10.

(7) سورة الأنفال – الآيتان 62، 63.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الظروف القاهرة؛ والضرورات الملجئة"[1]، ولهذا لما طلب المشركون عام الحديبية الصلح، ووضع الحرب بينهم وبين رسول الله ﷺ عشر سنين، أجابهم إلى ذلك مع ما اشترطوا من شروط مجحفة في حق المسلمين.

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن قوله ﷻ: ﴿**وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ**﴾[2] منسوخ بآية القتال في سورة براءة، وهو قوله ﷻ: ﴿**قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ**﴾[3]، قال ابن كثير: (وفيه نظر أيضاً؛ لأن آية براءة فيها الأمر بقتالهم إذا أمكن ذلك، فأما إن كان العدو كثيفاً فإنه يجوز مهادنتهم كما دلت عليه هذه الآية الكريمة، وكما فعل النبيﷺ يوم الحديبية، فلا منافاة ولا نسخ ولا تخصيص)[4]، وقال الزمخشري: (والصحيح أن الأمر موقوف على ما يرى فيه الإمام صلاح الإسلام وأهله، من حرب أو سلم، وليس بحتم أن يقاتلوا أبداً، أو يجابوا إلى الهدنة أبداً)[5].

وقد لخص الألوسي الاتجاهات في شأن هذه الآية، فقال: (والآية قيل مخصوصة بأهل الكتاب فإنها –كما قال مجاهد والسدي– نزلت في بني قريظة، وهي متصلة بقصتهم، بناءً على أنهم المعنيون بقوله ﷻ: ﴿**الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لاَ يَتَّقُونَ**﴾[6] الخ، والضمير في (وأعدوا لهم) لهم، قيل: هي عامة في الكفار، لكنها منسوخة بآية السيف؛ لأن مشركي العرب ليس لهم إلا الإسلام أو السيف، بخلاف غيرهم فإنه تقبل منهم الجزية، وروى القول بالنسخ عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وصحح أن الأمر فيمن تقبل منهم الجزية على ما يرى الإمام صلاح الإسلام وأهله من حرب أو سلم، وليس بحتم أن يقاتلوا أبداً أو يجابوا إلى الهدنة أبداً، وادعى بعضهم أنه لا يجوز للإمام أن يهادن أكثر من عشر سنين اقتداءً برسول الله ﷺ فإنه صالح أهل مكة هذه المدة، ثم أنهم نقضوا قبل انقضائها)[7]، ولذلك فإن الله ﷻ، يذكر نبيه ﷺ نعمته عليه بما أيده بنصره وبالمؤمنين حتى لا يأبه بمكر أعدائه وخديعتهم إن أرادوا بطلبهم الصلح المكر والخديعة بالمسلمين، فإن الله ﷻ قد أيده بنصره وأيده بالمؤمنين إذ جعلهم أمة واحدة متآلفة على الإيمان، ونصرة النبي ﷺ قال ﷻ: ﴿..**هُوَ**

---

(1) التفسير المنير – الزحيلي – 56/10.

(2) سورة الأنفال – الآية 61.

(3) سورة التوبة – الآية 29.

(4) تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – 49/4.

(5) الكشاف عن حقائق التنزيل – 166/2.

(6) سورة الأنفال – الآية 56.

(7) روح المعاني – مج4 – 27/10.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ..﴾[1]، فكان التأييد للنبي ﷺ على قسمين: تأييد مباشر من الله من غير توسط أسباب معلومة، وذلك بإنزال الملائكة كما حدث في غزوة بدر، وتأييد معتمد على أسباب معتادة معلومة وذلك بتوحيد صفوف المؤمنين وجعلهم أمة واحدة متآلفة متعاونة في نصرة النبي ﷺ وذلك بعد التفرق والتعادي الذي كان إثر حروب طويلة وضغائن موروثة كما كان بين الأوس والخزرج من الأنصار[2]، قال ﷻ: ﴿**وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّـهُ عَزِيـزٌ حَكِيمٌ**﴾[3].

وهذا دليل واضح على أن من أهم أسباب النصر هو التآلف واتحاد الكلمة.

المطلب الثالث: إرادة السوء

وقد تمثلت إرادة السوء في امرأة عزيز مصر حين راودت يوسف عليه السلام عن نفسه، وذلك وقت أن أوحى إليها العزيز بإكرام يوسف عليه السلام حتى بادرت إلى ذلك بإطعامه فأحسنت طعامه وشرابه ولباسه وفراشه، ونظراً إلى ما تجلبه الخلوة بين الرجل والمرأة من إثارة الغريزة الجنسية لا سيما إذا طالت المدة، وأمن الخوف وقلت التقوى حتى راودته بالفعل عن نفسه، فقد طلبت منه نفسه ليواقعها بعد أن اتخذت الأسباب المؤمنة حيث غلَّقت الأبواب وقالت تعال إليَّ، قال ﷻ: ﴿**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَـوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ * وَاسْتَبَقَا الْبَـابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[4] فقد رد يوسف عليه السلام عليها رداً قاطعاً للطمع حيث قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي، فقد رفض طلبها وإرادتها السوء والفحشاء، إذ كيف يليق أن يرتكب المعصية ويخون ربه الذي أحسن تربيته وتولاه بالرعاية في قصره، وكيف يخون الله ﷻ بعد أن حفظه من كيد إخوته "فقد ذكر وصف الرب على الاحتمالين لما يؤذن به من وجوب طاعته وشكره على نعمة الإيجاد بالنسبة إلى الله، ونعمة التربية بالنسبة لمولاه العزيز"[5].

---

(1) سورة الأنفال – الآيتان 62، 63.

(2) انظر: تفسير المراغي – مصطفى المراغي – 27/4، التفسير المنير – الزحيلي – 57/10.

(3) سورة الأنفال – الآية 63،

(4) سورة يوسف – الآيات 23–25،

(5) تفسير التحرير والتنوير – مج6 – 252/12.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقوله إنه لا يفلح الظالمون تعليل ثانٍ فالظلم بوضع الشيء في غير موضعه يجعله يخيب في سعيه: يقول ابن عاشور: "وجملة إنه لا يفلح الظالمون تعليل ثانٍ للامتناع، والضمير المجعول اسماً لأن ضمير الشأن يفيد أهمية الجملة المجعولة خبراً عنه لأنها موعظة جامعة، وأشار إلى أن إجابتها لما راودته ظلم، لأن فيها ظلم لكليهما نفسه بارتكاب معصية مما اتفقت الأديان على أنها كبيرة، وظلم سيده الذي آمنه على بيته، وآمنها على نفسها إذ اتخذها زوجاً وأحصنها"[1]، ولكن امرأة العزيز كانت جادة في طلبها ومراودتها ليوسف عليه السلام فإنه رفض طلبها وفر هارباً نحو الباب فإذا بها تلحق به وتقد قميصه من خلف، قال تعالى: ﴿**وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[2] فقد فر يوسف مسرعاً يريد الباب وأسرعت هي وراءه لتمنعه من الخروج وهنا صادفا بعلها يريد أن يدخل، فلما رأته احتالت لتبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة، ولتخويف يوسف طمعاً في أن يواطئها خيفة منها ومن مكرها[3]، قالت: **(قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)** فقد اتهمت يوسف عليه السلام بإرادة السوء وابتدرت العزيز بهذا الكلام إمعاناً في البهتان بحيث لم تتلعثم، تُخيل إليه أنها على الحق، وأخرجت الكلام في قالب كلي ليأخذ صيغة القانون، وليكون قاعدة لا يعرف المقصود منها فلا يسع المخاطب إلا الإقرار لها والتصديق لكلامها[4]، يقول سعيد حوَّى: "ولم تصرِّح بذكر يوسف وأنه أراد بها سوءاً لأنها قصدت العموم، أي كل من أراد بأهلك سوءاً فحقٌّ أن يُسجن أو يعذَّب، لأن ذلك أبلغ فيما قصدت من تخويف يوسف"[5].

وهنا رد يوسف عليه السلام قائلاً: هي راودتني عن نفسي؛ ليدفع التهمة عن نفسه وليبرأ ساحته، قال تعالى: ﴿**وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ * وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ * فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ**﴾[6] فقد برأ الله تعالى نبيه يوسف عليه السلام من اتهامها وإرادتها للفاحشة حيث شهد شاهد من أهلها على نزاهته وبراءته، فهو من عباد الله تعالى المخلصين الذين اصطفاهم الله لعبادته ولحمل رسالته.

وقد تمثلت إرادة السوء أيضاً في قوم لوط عليه السلام، وهم أهل سدوم في الأردن[7]، فقد كان من عادتهم إتيان الذكور بدلاً من النساء قال تعالى في شأنهم على لسان لوط عليه السلام: ﴿**أَتَأْتُونَ**

---

(1) تفسير التحرير والتنوير – مج6 – 252/12.

(2) سورة يوسف – الآية 25،

(3) انظر: تفسير النسفي – 218/2، أيسر التفاسير – 605/2.

(4) انظر: تفسير التحرير والتنوير – مج6 – 256/12.

(5) الأساس في التفسير – 2647/5.

(6) سورة يوسف – الآيات 26–28،

(7) انظر: تفسير القرآن العظيم – 197/4، التفسير المنير – 114/12.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾[1] فلما تمادوا في معصيتهم وأراد الله ﷻ إهلاكهم بسبب عدوانهم وفسادهم أرسل الله ﷻ ملائكته إلى لوط عليه السلام في صورة شبان حسان الوجوه ابتلاءً من الله ﷻ لقومه وحتى يقيم الحجة عليهم لهلاكهم فله الحجة البالغة[2]، فانطلق الملائكة من عند إبراهيم عليه السلام لإهلاك قرية لوط، وذلك بعد ما أخبروا إبراهيم عليه السلام بهلاكهم وكان قد دار بينهم وبين إبراهيم عليه السلام جدال بشأن قرية لوط عليه السلام قال ﷻ: **﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ* إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ * يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاء أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾**[3]، فلما جاءت الملائكة لوطاً عليه السلام ضاقت نفسه بهم وساءه مجيئهم، لأنه ظن أنهم من الإنس فخاف عليهم خبث قومه، وخشي إن لم يضيفهم أن يضيفهم أحد من قومه فينالهم بسوء، يقول ابن كثير: "خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط فبلغوا نهر سدوم نصف النهار ولقوا بنت لوط تسقي، فقالوا: يا جارية هل من منزل؟ فقالت: مكانكم حتى آتيكم، وخافت عليهم من قومها فأتت أباها فقالت: يا أبتاه أدرك فتياناً على باب المدينة ما رأيت وجوه قوم أحسن منهم لا يأخذهم قومك، وكان قومه نهوه أن يضيف رجلاً، فقالوا: خل عنا فلنضيف الرجال، فجاء بهم، فلم يعلم بهم أحد إلا أهل بيته، فخرجت امرأته فأخبرت قومها، فجاءوا يهرعون إليه"[4]، قال ﷻ: **﴿وَلَمَّا جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ * وَجَاءهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاء بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَلاَ تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾**[5]، فقد أرشدهم نبيُّهم لوط عليه السلام إلى تزوج البنات فهو أنفع لهم في الدنيا والآخرة، وأرشدهم إلى تقوى الله حتى لا يفضحوه في قومه وأضيافه، ولكنهم رفضوا نصيحته عليه السلام وأعلنوا عن إرادتهم الفاسدة وقصدهم السيئ، فقالوا: **﴿...لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾**[6]، فكانت إرادتهم إرادة فاسدة مخالفة لشرع الله ودينه وإرادته الشرعية الدينية التكليفية التي يحاسب الناس عليها، والتي هي مناطُ التكليف، فإنهم كما قيل: "لما اتخذوا إتيان الذكور مذهباً وديناً لتواطئهم عليه، كان عندهم أنه هو الحق، وأن نكاح الإناث من الباطل، فلذلك قالوا لسيدنا لوط عليه السلام ما لنا في بناتك من حق، وذلك لأن نكاح الإناث أمر خارج عن مذهبهم الذي

---

(1) سورة الشعراء – الآيتان 165، 166،

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم – 196/4.

(3) سورة هود – الآيات 74–76.

(4) تفسير القرآن العظيم – 197/4، وانظر: زاد المسير – ابن الجوزي – 106/4.

(5) سورة هود – الآيتان 77، 78.

(6) سورة هود – الآية 79.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هم عليه، فإرادتهم متجهة نحو الذكور دون الإناث"[1]، فلما لم يجد فيهم النصح، وخشي لوط عليه السلام على ضيفه، قالت الملائكة: ﴿...**يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُواْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ**﴾[2] فقد أهلك الله هذه القرية وجعل عاليها سافلها، وأمطر عليهم حجارة من سجيل فلم يتبق منهم أحدٌ غير لوط عليه السلام وأهله، وجعل الله هذه القرية آية لمن خاف عذابه تعالى، حيث قال ﷻ ﴿**فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ * وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ**﴾[3].

جاء في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **(من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به)**[4]، فقد ذهب الإمام الشافعي في قول عنه وجماعة من العلماء إلى أن اللائط يقتل سواء كان محصناً أو غير محصن عملاً بهذا الحديث، وذهب الإمام أبو حنيفة أنه يلقى من شاهق ويتبع بالحجارة كما فعل الله بقوم لوط، والله ﷻ أعلم[5].

المطلب الرابع: إرادة الخيانة

يقول الله عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ اللّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾[6] فقد روي أن هذه الآيات نزلت في أسرى بدر حين أعلموا رسول الله ﷺ أن لهم ميلاً إلى الإسلام، وأنهم إن رجعوا إلى قومهم سعوا في جلبهم إلى الإسلام[7]، قال ابن عباس رضي الله عنه الأسرى في هذه الآية عباس وأصحابه[8]، أي العباس عمّ النبي ﷺ وذلك أنه بعد أن وقع في الأسر أسلم وأظهر إسلامه، وطلب من النبي ﷺ أن يرد عليه ما أخذ من فدية، فأبى عليه رسول الله ﷺ[9] فأنزل الله ﷻ: **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي**

---

(1) الكشاف عن حقائق التنزيل – الزمخشري – 283/2.

(2) سورة هود – الآية 81.

(3) سورة الذاريات – الآيات 35–37.

(4) سنن الترمذي – كتاب الحدود عن رسول الله (15) – باب ما جاء في حد اللوطي (24) – ص345 – حديث رقم 1456 – قال الألباني: صحيح.

(5) انظر: تفسير القرآن العظيم – 199/4.

(6) سورة الأنفال – الآيتان 70، 71.

(7) انظر: المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – ابن عطيَّة – 554/2، الجواهر الحسان في تفسير القرآن – الثعالبي – 32/2.

(8) انظر: أسباب النزول – للواحدي – ص228، أسباب النزول – للسيوطي – ص204.

(9) انظر: أيسر التفاسير – 331/2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) أي إن يعلم الله في قلوبكم إسلاماً حقيقياً يؤتكم خيراً مما أُخذ منكم، وهو عزاءٌ ومواساةٌ من الله ﷻ لهؤلاء الأسرى، الذين أصيبوا في أهليهم، حين قُتل منهم في بدر، وها هم أولاء يُصابون في أموالهم بما يُؤخذُ منهم من فدية، ففي هذا العزاء ما يذهب بكثير مما في نفوسهم من أسىً ومرارة، وما في قلوبهم من ضغينة وحقد على الإسلام والمسلمين، وأن اللهﷻ ليس ربَّ المسلمين وحدهم، بل هو ربهم، وربُّ العباد جميعاً، وربُّ كل شيء، وخالق كل شيء، وأن الإسلام ليس حظ هؤلاء المسلمين الذين آمنوا بالله ورسوله، وكان لهم من الله هذا النصر الذي رأوه بأعينهم رأي العين في بدر – بل إنه حظ مشاعٌ بين الناس جميعاً من سبق منهم ومن لم يسبق، وأن الناس جميعاً مدعوُّون إليه في كل وقت إلى يوم القيامة[1].

فإن يعلم الله في قلوب هؤلاء الأسرى إسلاماً حقيقياً يؤتهم مالاً خيراً مما أخذ منهم من الفداء، ويغفر لهم ذنوبهم التي كانت كفراً بالله ورسوله، وحرباً على الله ورسوله[2]، ولذلك فإن قولهﷻ: **(..يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)** هو "وعدٌ كريم لمن ينظر لنفسه من هؤلاء الأسرى، ويخلص بها إلى الله، ويدخل في دين الإسلام، فعندئذٍ سيشارك المسلمين فيما سيفتح الله به عليهم، وما يقع في أيديهم من غنائم، فإن الله ﷻ سيقبلهم في المقبولين من عباده، ويغفر لهم ما كان من عداوة للإسلام وأذىً للمسلمين"[3] ولذلك قال ﷻ: **﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ اللّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾**[4]، أي إن يريد هؤلاء الأسرى الذين أُخذَ منهم الفداء ونطقوا بالشهادتين مظهرين إسلامهم خيانتك أيها النبي والغدر بك بإظهار إسلامهم، ثم إذا عادوا إلى ديارهم عادوا إلى كفرهم، فلا تبالِ بهم، ولا ترهب جانبهم، فإنهم قد خانوا الله من قبل بكفرهم وشركهم، فأمكن منهم المؤمنين، وجعلهم في قبضتهم وتحت قهرهم، ولو عادوا لعاد الله ﷻ، فسلط المؤمنين عليهم، وأمكنهم منهم؛ فالله ﷻ عليم بنيَّات القوم وتحركاتهم، حكيم فيما يحكم به عليهم[5].

يقول ابن عطية: "والمعنى إن أخلصوا فُعل بهم كذا، وإن أبطنوا خيانة ما رغبوا أن يؤتمنوا عليه من العهد فلا يسُرهم ذلك، ولا يسكنوا إليه، فإن الله بالمرصاد لهم الذي خانوه قبل بكفرهم وتركهم النظر في آياته، وهو قد بيَّنها لهم إدراكاً يحصِّلونها به، فصار كعهد

---

(1) انظر: التفسير القرآني للقرآن – عبد الكريم الخطيب – مج3 – 680/9.

(2) انظر: البحر المحيط – أبي حيان – 516/4، أيسر التفاسير – 331/2.

(3) التفسير القرآني للقرآن – عبد الكريم الخطيب – مج3 – 681/9.

(4) سورة الأنفال – الآية 71.

(5) انظر: البحر المحيط – 517/4، أيسر التفاسير – 331/2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

متقرر، فجعل جزائهم على خيانتهم إياه أن أمكن منهم المؤمنين، وجعلهم أسرى في أيديهم"[1]، وفي هذا وعيدٌ لأولئك الذين لم يستجيبوا لهذا النداء الكريم، وهذا الصفح الجميل من رب العالمين، فأمسكوا على ما في قلوبهم من عداوة وضغينة وطووا صدورهم على الثأر والانتقام –فهؤلاء إن يخونوا الرسول، فإنهم قد خانوا الله من قبل بأن كفروا به، وهو ربهم، وخالقُهم، ورازقُهم، فإذا خانوا الرسول بعد ذلك، فليس ذلك بالشيء الغريب عليهم، فكفرهم بنعم المنعم عليهم طبيعة فيهم، وهم بهذه الخيانة لله ﷻ قد جنوا على أنفسهم، فأمكن الله منهم، وانتقم منهم، بأن ساقهم إلى ما هم فيه من الأسر، ولو أنهم لم يخونوا الله، واستجابوا لدعوة الإيمان لعافاهم الله من هذا البلاء ولأعطاهم خيراً مما أُخذ منهم[2]، يقول ابن عاشور: "وجواب الشرط محذوف دلَّ عليه قوله: **(فَقَدْ خَانُواْ اللّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ)** وتقديره: فلا تضرك خيانتهم، أو لا تهتم بها، فإنهم إن فعلوا أعادهم الله إلى يدك كما أمكنك منهم من قبل"[3].

روي أن العباس ﷺ أُسِرَ يوم بدر ومعه عشرون أوقيَّة من الذهب، كان خرج بها معه إلى بدر ليطعم بها الناس، وكان أحد العشرة الذين ضمنوا إطعام أهل بدر، ولم يكن بلغته التوبة حتى أُسر، فأُخذت منه وأخذها رسول الله ﷺ منه، قال: فكلَّمت رسول الله ﷺ أن يجعل لي العشرين الأوقية من الذهب التي أخذها مني من فدائي، فأبى عليَّ وقال: أمَّا شيءٌ خرجت تستعينُ به علينا فلا، وكلَّفني فداء ابن أخي عقيل ابن أبي طالب عشرين أوقية من فضة، فقلت له: تركتني والله أسأل قريشاً بكفي والناس ما بقيت، قال: فأين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل مخرجك إلى بدر، وقلت لها: إن حدث بي حدث في وجهي هذا فهو لك ولعبد الله والفضل وقثم، قال: قلت وما يدريك؟ قال: أخبرني الله بذلك، قال: أشهد أنك لصادق، وإني قد دفعت إليها ذهباً، ولم يطَّلع عليه أحدٌ إلا الله، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، قال العباس: فأعطاني الله خيراً مما أخذ مني، كما قال: عشرين عبداً، كلهم يضرب بمال كبير مكان العشرين أوقية، وأنا أرجو المغفرة من ربي[4].

المطلب الخامس: إرادة نقض العهود

وقد تمثلت إرادة نقض العهود في المنافقين، قال ﷻ: ﴿**سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوَاْ إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُواْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوَاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَـئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا**﴾[1]

---

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – 555/2.

(2) انظر: التفسير القرآني للقرآن – مج 3 – 681/3.

(3) تفسير التحرير والتنوير – مج6 – 82/10.

(4) انظر: أسباب النزول – للواحدي – ص134، البحر المحيط – لأبي حيان – 516/4.

(1) سورة النساء – الآية 91.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقد روى البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت ﷺ قال: (رجع ناس من أصحاب النبي ﷺ من أحد، وكان الناس فيهم فرقتين، فريق يقول اقتلهم، وفريق يقول لا، فنزلت **(فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ)**، قال: إنها طيبة تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة)[1]، فلما اختلف الصحابة واشتد الخلاف في شأنهم أنزل الله ﷻ هذه الآيات: ﴿**فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُواْ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ اللّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً * وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء فَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَاء حَتَّىَ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتَّمُوهُمْ وَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا * إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىَ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَآؤُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُونَكُمْ أَوْ يُقَاتِلُواْ قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً * سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوَاْ إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُواْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّواْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَـئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا**﴾[2] فهنا يُبيِّن الله ﷻ للمؤمنين أنه لا ينبغي لهم أن يشتبهوا بهؤلاء المنافقين ولا يترددوا فيهم، بل أمرهم واضح غير مُشكل، فإنهم منافقون قد تكرر كفرهم، وودوا مع ذلك كفركم أيها المؤمنون حتى تكونوا مثلهم، ولهذا نهى الله عن موالاتهم حتى يهاجروا في سبيل الله[3]، فالظاهر من السياق القرآني أن هؤلاء المنافقين كانوا في مكة، لأن الهجرة إلى المدينة تقطع صلاتهم بدار الكفر فيفتر عزمهم ويرجعوا إلى الصدق في إيمانهم، فإن لم يهاجر هؤلاء المنافقون وتولوا عن الهجرة في سبيل الله، فإن حكمهم هو أخذهم وقتلهم في أي وقت وأي مكان؛ لأنهم بإرتكاسهم ورجوعهم إلى الكفر لا خير فيهم ولا يُعوَّل عليهم[4].

وقد استثنى الله ﷻ صنفين من هؤلاء المنافقين المذكورين فلا يؤخذون أسرى ولا يقاتلون: الصنف الأول: الذين يتصلون بقوم معاهدين للمسلمين ويلجئون إلى أهل عهدهم بمهادنة أو عقد صلح، فينضمون إلى عهدهم، فحكم هؤلاء كحكم المعاهدين، قال أبو بكر الرازي[1]: "إذا عقد الإمام عهداً بينه وبين قوم من الكفار، فلا محالة يدخل فيه من كان في

---

(1) صحيح البخاري – كتاب التفسير (65) – باب (فما لكم في المنافقين فئتين) (15) – 211/3 – حديث رقم 4589.

(2) سورة النساء – الآيات 88–91.

(3) انظر: تيسير الكريم الرحمن – للسعدي – ص155.

(4) انظر: أيسر التفاسير – 521/1، التفسير المنير – 193/5.

(1) هو الإمام أبو بكر أحمد بن علي الرازي، المشهور بالجصاص، ولد سنة 305 هجرية، انتهت إليه رياسة العلم لأصحاب أبي حنيفة، انظر (الأعلام – 171/1، معجم المؤلفين – عمر كحالة – 7/2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حيِّزهم ممن ينسب إليهم بالرحم أو الحلف أو الولاء، بعد أن يكون في حيزهم ومن أهل نصرتهم؛ وأما من كان من قوم آخرين فإنه لا يدخل في العهد ما لم يشترط، ومن شرط من أهل قبيلة أخرى دخوله في عهد المعاهدين، فهو داخل بينهم إذا عقد العهد على ذلك كما دخلت كنانة في عهد قريش"[1]،

والصنف الثاني: المحايدين الذين جاءوا المسلمين وقد ضاقت صدورهم بقتالهم وأبغضوا أن يقاتلوهم، وفي نفس الوقت يهون عليهم أيضاً أن يقاتلوا قومهم مع المسلمين، بل هم محايدون لا يقاتلون المسلمين بمقتضى العهد الذي بينهم، ولا يقاتلون قومهم، حفاظاً على أصل الرابطة العرقية أو الجنسية.

فحكم هذين الفريقين وأمثالهم أنهم لا يقاتلون ولا يؤخذون أسرى ما داموا قد اعتزلوا المسلمين، وألقوا إليهم المسالمة وكفوا أيديهم عن قتالهم، فهؤلاء كالجماعة الذين خرجوا يوم بدر من بني هاشم مع المشركين، فحضروا القتال وهم كارهون[2] يقول الزمخشري: "فقرَّر أن كفهم عن القتال أحد سببي استحقاقهم لنفي التعرض لهم والإيقاع بهم"[3] ولذلك فإن استثناء هؤلاء الفريقين من جملة المنافقين الذين أمر الله ﷻ بقتالهم وأسرهم إذا تولوا عن الهجرة هو استثناء يرجع إلى القتل لا إلى الموالاة، لأن مولاة الكفار والمنافقين لا تجوز بحال من الأحوال[4]، وقد ذكر الله ﷻ الحكمة في ترك قتال هذين الصنفين من المنافقين إذ أنه لو شاء الله ﷻ لسلطهم على المؤمنين فقاتلوهم، مما يجعل المؤمنين ينشغلون بهم، وفي هذا لطف ورحمة من الله ﷻ بعباده المؤمنين إذ كف عنهم هؤلاء المنافقين وجعلهم مسالمين لهم ولم يلهمهم قتالهم[5].

ثم بيَّن الله ﷻ حكم جماعة أخرى من المنافقين وهم قوم يريدون مصلحة أنفسهم، فلا سعي لهم إلا في خويصتهم، ولا يعبأون بغيرهم، فهم يظهرون المودة للمسلمين ليأمنوا غزوهم، ويظهرون الود لقومهم ليأمنوا غائلتهم، وما هم بمخلصين الود لأحد الفريقين، ولذلك وصفوا بإرادة أن يأمنوا من المؤمنين ومن قومهم، فلا همَّ لهم إلى حظوظ أنفسهم، فيلتحقون بالمسلمين في قضاء حاجات لهم فيظهرون الإيمان، ثم يرجعون إلى قومهم فيرتدون إلى الكفر والشرك بالله[1] قال ﷻ فيهم: ﴿**سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوَاْ**

---

(1) أحكام القرآن – 311/2.

(2) انظر: التفسير المنير – للزحيلي – 194/5.

(3) الكشاف عن حقائق التنزيل – 551/1.

(4) انظر: معالم التنزيل في التفسير والتأويل– للبغوي – 76/2.

(5) انظر: تيسير الكريم الرحمن – ص156، التفسير المنير – 194/5.

(1) انظر: تفسير التحرير والتنوير – لابن عاشور – مج3 – 154/5.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُواْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوَاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَـئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾[1] فعن ابن عباس ﷺ أنهم قوم من بني أسد وغطفان، كانوا إذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين، وإذا رجعوا إلى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم وعادوا إلى قتال المسلمين، وكان الرجل منهم يقول له قومه بماذا أسلمت؟ فيقول آمنت بهذا القرد وهذا العقرب والخنفساء، وإذا لقوا أصحاب النبي ﷺ قالوا إنا معكم وعلى دينكم، يريدون بذلك الأمن من الفريقين[2].

ولذلك أمر الله ﷻ المؤمنين بقتالهم وأسرهم حيثما وجدوا وفي أي مكان إن لم يعتزلوا المؤمنين، ويكفوا أيديهم عن القتال، ويلقوا إليهم السلام، فقد جعل الله للمؤمنين حجة واضحة على جواز قتلهم وأخذهم حيثما تمكنوا منهم وعلى أي حال.

المطلب السادس: إرادة الفجور

وقد تمثلت إرادة الفجور في الإنسان الكافر المكذب بالبعث والحساب يوم القيامة، يقول ﷻ: **﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ * أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُسَوِّيَ بَنَانَهُ * بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ * يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾**[3] ففي هذه الآيات يقسم الله ﷻ بيوم القيامة وبالنفس اللوامة أن يجمع العظام بعد بلاها ويعيد الإنسان كما خلقه أول مرة للبعث والحساب[4]، يقول القرطبي: "نزلت في عمر بن ربيعة[5]، قال للنبي ﷺ يا محمد حدثني عن يوم القيامة متى يكون، وكيف أمرها وحالها؟ فأخبره رسول الله ﷺ بذلك فقال عمر: لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك أو يجمع الله العظام[6]، فنزل قوله ﷻ: **(أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ)** فالمعنى أيحسب هذا الإنسان الكافر أنا لن نقدر على جمع عظامه وإعادته من جديد كما خلقناه أول مرة، فالاستفهام هنا استفهام توبيخ وإنكار على هذا الإنسان الكافر الذي ينكر البعث والحساب يوم القيامة[7]، وذِكْرُ العظام كناية عن الجسد كله، وإنما خصت بالذكر هنا لحكاية أقوالهم كما قال ﷻ: **﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾**[1] وقوله ﷻ: **﴿وَقَالُواْ أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا**

---

(1) سورة النساء – الآية 91.

(2) انظر: معالم التنزيل في التفسير والتأويل – للبغوي – 77/2، الكشاف – للزمخشري – 552/1.

(3) سورة القيامة – الآيات 1–6.

(4) انظر: فتح القدير – للشوكاني – 406/5، تفسير التحرير والتنوير – مج14 – 338/29.

(5) هو أبو ربيعة الإيادي، أحد التابعين، روى عن الحسن البصري، وابن بريدة، وروى عنه الحسن، وعلي ابنا صالح، وثقه يحيى بن معين. انظر (الجرح والتعديل – لابي حاتم الرازي – 135/6).

(6) انظر: الجامع لأحكام القرآن – 80/10، أسباب النزول – للواحدي – ص247.

(7) انظر: تفسير البحر المحيط – 376/8، تفسير التحرير والتنوير – مج14 – 339/29.

(1) سورة يس – الآية 78.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾[1] فهم احتجوا باستحالة قبول العظام للإعادة بعد البلى، على أن استحالة إعادة اللحم والعصب والفؤاد بالأولى، فإثبات إعادة العظام اقتضى أن إعادة بقية الجسم مساوٍ لإعادة العظم، وفي ذلك كفاية من الاستدلال مع الإيجاز[2]، فقد أخبر ﷻ عن قدرته على جمع العظام بعضها إلى بعض وردها كما كانت مع لطافتها وصغرها، فنبه ﷻ بالبنان، وهي الأصابع على بقية الأعضاء وأن الاقتدار على بعثها وإرجاعها كما كانت أولى في القدرة من إرجاع الأصابع الصغيرة اللطيفة المشتملة على المفاصل والأظافر والعروق اللطاف والعظام الدقاق[3]، فالله ﷻ قادر على إعادة الإنسان بعد موته وفنائه وتفرقه في الأرض، وقادر على أعظم من ذلك، وهو تسوية بنانه أي أصابعه بأن يجعلها كخف البعير أو حوافر الحمير فيصبح يتناول الطعام بفمه كالكلب والبغل والحمار[4].

ولذلك قال ﷻ: ﴿**بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ**﴾[5] أي أن هذا الإنسان الملحد الكافر لايجهل قدرة خالقه على إعادة خلقه، ولكنه يريد أن يواصل فجوره مستقبله كله، فلا يتوب من ذنوبه، ولا يؤوب من معاصيه؛ لأن شهواته مستحكمة فيه[6]، يقول السعدي[7]: "وليس إنكاره لقدرة الله ﷻ قصوراً بالدليل الدال على ذلك، وإنما وقع ذلك منه أن قصده وإرادته أن يكذب بما أمامه من البعث"[8]، ولذلك فإنه يسأل عن يوم القيامة سؤال استبعاد واستنكار وتسويف للتوبة مع مواصلة الفجور من زنا وشرب للخمور، مخالفاً لشرع الله وإرادته الدينية، التي تقتضي من الإنسان عبادة الله ﷻ وشكره وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، يقول سيد قطب – رحمه الله–: "وقد كانت المشكلة الشعورية عند المشركين هي صعوبة تصوُّرهم لجمع العظام البالية، الذاهبة في التراب، المتفرقة في الثرى، لإعادة بعث الإنسان حياً! ولعلها لا تزال كذلك في بعض النفوس إلى يومنا هذا! والقرآن يرد على هذا الحسبان بعدم جمع العظام مؤكداً وقوعه: (بلى قادرين على أن نسوي بنانه) والبنان أطراف الأصابع؛ والنص يؤكد عملية جمع العظام، بما هو أرقى من مجرد جمعها، وهو تسويته البنان، وتركيبه في موضعه كما كان!

---

(1) سورة الإسراء – الآية 49.

(2) تفسير التحرير والتنوير – مج14 – 340/29.

(3) انظر: فتح القدير – 406/5.

(4) انظر: أيسر التفاسير – 475/5.

(5) سورة القيامة – الآية 5.

(6) انظر: جامع البيان – للطبري – 8323/10، أيسر التفاسير– لأبي بكر الجزائري – 475/5.

(7) هو الإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي، النجدي، مفسر، محدث، فقيه، أصولي، متكلم، واعظ، ولد في عنيزة القصيم بنجد، توفي سنة 1376 هجرية، انظر (معجم المؤلفين – عمر كحالة – 396/13).

(8) تسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – السعدي – ص832.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهي كناية عن إعادة التكوين الإنساني بأدق ما فيه، وإكماله بحيث لا تضيع منه بنان ولا يختل عن مكانها، بل تُسوَّى تسوية، لا ينقص معها عضو ولا شكل هذا العضو، مهما صَغُر ودق، ويكتفي هنا بهذا التقرير المؤكد، وسيجيء في نهاية السورة دليل آخر من واقع النشأة الأولى، إنما يخلص هنا إلى الكشف عن العلة النفسيَّة في هذا الحسبان، وتوقع عدم جمع العظام.، إن هذا الإنسان يريد أن يفجر، ويمضي قُدماً في الفجور، ولا يريد أن يصده شيء عن فجوره، ولا أن يكون هناك حساب عليه وعقاب، ومن ثم فهو يستبعد وقوع البعث، ويستبعد مجيء يوم القيامة"[1].

المطلب السابع: إرادة القتل والجبروت

وقد تحدث القرآن الكريم عن هذه الإرادة في سياق الحديث عن سيدنا موسى عليه السلام حين دخل مدينة مُنْفُ عاصمة المملكة الفرعونية بعد أن غاب عنها فترة من الزمن[2]، قال ﷻ: **﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ * قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ * فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ * فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾**[3] فقد وجد سيدنا موسى عليه السلام حين دخل المدينة في وقت القيلولة رجلين يتنازعان، أحدهما إسرائيلياً على دين موسى عليه السلام، والآخر قبطياً على دين فرعون، فاستغاث الإسرائيلي بموسى عليه السلام فضرب سيدنا موسى عليه السلام ذلك القبطي بجمع كفه حتى يصرفه عن الإسرائيلي فقتله، ولم يكن قصده عليه السلام إلا صرف ذلك القبطي عن العدوان فقط، فلم يكن قصده القتل، ولذلك اعترف عليه السلام بظلم نفسه، وأن ضربه للقبطي كان بسبب تهيج الشيطان لغضبه عليه السلام، ولذا استغفر واعترف بخطئه وقال: **(رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ)** فكأنه أقسم عليه السلام بما أنعم الله عليه من المغفرة أن لا يظاهر مجرماً، ويجوز أن تكون هذه الباء هي باء السببية متعلقة بمحذوف، أي اعصمني بحق ما أنعمت علي بالمغفرة ويكون في ذلك استعطافاً لله ﷻ وتوصل إلى إنعامه بإنعامه[1].

---

(1) في ظلال القرآن – 3768/6.

(2) انظر: محاسن التأويل – للقاسمي – مج8 – 99/13، أيسر التفاسير – 59/4.

(3) سورة القصص – الآيات 15–19.

(1) انظر: فتح القدير – 198/4، محاسن التأويل – مج8 – 99/13.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول ابن عاشور: "وقد دل هذا النظم على أن موسى أراد أن يجعل عدم مظاهرته للمجرمين جزاءً على نعمة الحكمة والعلم بأن جعل شكر تلك النعمة الانتصار للحق، وتغيير الباطل؛ لأنه إذا لم يغير الباطل والمنكر، وأقرهما فقد صانع فاعلهما، والمصانعة مظاهرة"[1]، وهنا أصبح سيدنا موسى عليه السلام بعد قتل القبطي خائفاً مما قد يترتب على قتله القبطي، ويترقب الأحداث ماذا تسفر عنه؟ فإذا الذي استنصره بالأمس، وهو الإسرائيلي يستصرخه، ويستغيثه بأعلى صوته، فنظر إليه موسى وأقبل عليه ليخلِّصه من هذا القبطي قائلاً: إنك لغويٌ مبين، أي ذو غواية بيِّنة؛ لأنه أمس قاتل قبطياً، واليوم يقاتل قبطياً آخر، فلما أراد أن يبطش بالقبطي ويُخلِّص الإسرائيلي، قال الإسرائيلي: ﴿..**يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ**﴾[2] قال ذلك لجبنه وضعفه فقد ظن أن موسى عليه السلام يريده ويقصده بالقتل، إذ المعنى: لو أردت الإصلاح لحلت بيني وبينه من غير قتل أحد[3].

يقول الزمخشري: "الجبار الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل والظلم، لا ينظر في العواقب ولا يدفع بالتي هي أحسن"[4] فلما سمع القبطي ما قاله الإسرائيلي نقل ذلك إلى القصر الفرعوني وكان من عماله، فاجتمع رجال القصر برئاسة فرعون يتداولون القضية وينظرون في ظروفها ونتائجها، وكان من جملة رجال المؤتمر مؤمن آل فرعون، وكان مؤمناً يكتم إيمانه، فجاء لموسى مسرعاً يخبره بما يتم حياله، وينصحه بالخروج من البلاد، قال ﷻ: ﴿**وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ**﴾[5].

المطلب الثامن: إرادة الكيد

تحدث القرآن الكريم عن هذه الإرادة بعد أن ردَّ الله ﷻ على مزاعم قريش من أن محمداً ﷺ كاهن أو شاعر أو مجنون، ذكر الله ﷻ الدليل من الأنفس والآفاق على صدقه، وإبطال تكذيبهم لرسالته، وإنكارهم للخالق ﷻ، وإثبات التوحيد بخلقهم، وخلق السماوات والأرض، ثم طمأن الله نبيَّه ﷺ بأن كيدهم له لا يضره شيئاً، وأن الله ﷻ ناصره، ومظهر دينه، ولو كره الكافرون، قال ﷻ: ﴿**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ * أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ * أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ * أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم**

---

(1) تفسير التحرير والتنوير – مج10 – 93/20.

(2) سورة القصص – الآية 19.

(3) انظر: تيسير الكريم الرحمن – السعدي – ص563، فتح القدير – الشوكاني – 199/4.

(4) الكشاف – 160/3.

(5) سورة القصص – الآية 20.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ * أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ * أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ)[1]، ففي هذه الآيات يقول الله ﷻ لهؤلاء الكفار المشركين من قريش: إن كنتم تعلمون الغيب فأنتم كاذبون بهذا الإدِّعاء؛ وإن كنتم تظنون أنكم تقدرون على رسول الله ﷺ فأنتم غالطون، فإن الله ﷻ يصونه وينصره عليكم، وإن كنتم تريدون تدبيراً أو مكراً أو خديعة برسوله لإهلاكه وموته فالكافرون هم الممكور بهم، المجزيون بكيدهم فلا يحيق المكرُ السيئُ إلا بأهله[2].

فقوله ﷻ: **(أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ)** انتقال من نقض أقوالهم وإبطال مزاعمهم إلى إبطال نواياهم وعزائمهم من التبييت للرسول ﷺ وأصحابه من الإضرار والإخفاق، وذلك حين اجتمعوا في دار الندوة يتشاورون في أمر النبي ﷺ وشأن دعوته[3]، فقد أخرج ابن جرير الطبري من طريق عبيد الله بن عمير[4] عن المطلب بن أبي وداعة[5] أن أبا طالب قال للنبي ﷺ ما يأتمرُ بك قومك؟ قال يريدون أن يسجنوني، أو يقتلوني، أو يخرجوني، قال: من حدثك هذا؟ قال: ربي، قال: نعم الربُّ ربُّك، فاستوصى به خيراً، قال: أنا أستوصي به بل هو يستوصي بي، فنزل قوله ﷻ: ﴿**وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾[6][7] وذلك أنه لما بويع رسول الله ﷺ ليلة العقبة، وأمر أصحابه أن يلحقوا بالمدينة، أشفقت قريش أن يعلو أمرُه، وقالوا: والله لكأنكم به، عليكم بالرجال، فاجتمع جماعة من أشرافهم ليدخلوا دار الندوة فيتشاوروا في أمره، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ كبير، فقالوا: من أنت؟ قال: أنا شيخ من أهل نجد، سمعت ما اجتمعتم له، فأردت أن أحضركم، ولن تُعدموا في رأيي نُصحاً، فقالوا: ادخل، فدخل معهم، فقالوا: انظروا في أمر هذا الرجل، فقال بعضهم: إحبسوه في وثاقه، وتربصوا به ريب المنون، فقال

---

(1) سورة الطور – الآيات 35–42.

(2) انظر: التفسير الكبير – للرازي – 266/28، التفسير المنير – للزحيلي – 81/27.

(3) انظر: زاد المسير في علم التفسير – ابن الجوزي – 223/7، روح المعاني – للألوسي – مج9 – 38/27.

(4) هو عبيد الله بن عمير بن قتادة الليثي، يكنى أبا عاصم، لأبيه صحبة، وذكر البخاري أن عبيد الله بن عمر رأى النبي ﷺ، وقال مسلم أنه ولد على عهد النبي ﷺ. انظر (الإصابة في تمييز الصحابة – لابن حجر – 47/5).

(5) مطلب بن أبي وداعة، أسلم يوم الفتح، ثم نزل الكوفة، ثم تحول إلى المدينة، وكان أبوه وداعة قد أُسر يوم بدر، ففداه ابنه المطلب بأربعة آلاف درهم، فكان أول أسير فدي من بدر. انظر (أُسد الغابة في معرفة الصحافة – لابن الأثير – 183/5).

(6) سورة الأنفال – الآية 30.

(7) انظر: جامع البيان – الطبري – 3823/5، أسباب النزول – للسيوطي – ص197.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إبليس: ما هذا برأي، يوشك أن يثب أصحابه فيأخذوه من أيديكم، فقال قائل: أخرجوه من بين أظهركم، فقال: ما هذا برأي، يوشك أن يجمع عليكم، ثم يسير إليكم، فقال أبو جهل: نأخذ من كل قبيلة غلاماً، ثم نعطي كل غلام سيفاً فيضربوه به ضربة رجل واحد، فيتفرق دمَّه في القبائل، فلا أظن أن هذا الحي من قريش يقوى على حرب قريشٍ كلِّها، فيقبلون العقل ونستريح، فقال إبليس: هذا والله الرأي، فتفرَّقوا عن ذلك، وأتى جبريل رسول الله ﷺ وأمره أن لا يبيت في مضجعه، وأخبره بمكر القوم، فلم يبت في فراشه تلك الليلة، وأمر علياً ﷺ فبات في فراشه، وبات المشركون يحرسونه، فلما أصبح رسول الله ﷺ أذن الله له في الخروج إلى المدينة، وجاء المشركون لما أصبحوا، فرأوا علياً، فقالوا: أين صاحبك؟ فقال: لا أدري، فاقتصُّوا أثره حتى بلغوا الجبل، فمروا بالغار، فرأوا نسج العنكبوت، فقالوا: لو دخله لم يكن عليه نسج العنكبوت[1].

وهكذا حفظ الله نبيّه ﷺ من كيد المشركين ومكرهم، وردَّ كيدهم في نحورهم إذ قال ﷻ: ﴿**أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ**﴾[2] فقد جعل ﷻ الكافر مكيداً في مقابلة كفره لا في مقابلة إرادته الكيد، ولو قال: أم يريدون كيداً فهم المكيدون، كان يفهم منه أنهم إن لم يريدوه لم يكونوا مكيدين، فوَضْع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بما في حيّز الصلة من الكفر وتعليل الحكم به[3]، وفي تنكير كلمة (كيدا) حيث لم يقل: أم يريدون كيدك أو الكيد أو غير ذلك فائدة، وهي الإشارة إلى وقوع العذاب بهم من حيث لا يشعرون فكأنه قال: يأتيهم بغتة ولا يكون لهم به علم، أو يكون ذلك إيراداً لعظمته تبارك وتعالى[4] يقول ابن عاشور: "وحذف متعلق (كيداً) ليعم كل ما يستطيعون أن يكيدوه فكانت هذه الجملة بمنزلة التتميم لنقض غزلهم والتذييل بما يعم كل عزم يجري في الأغراض التي جرت فيها مقالاتهم"[5]، وإطلاق اسم الكيد على ما يجازيهم الله به من كيدهم إطلاق على وجه المشاكلة والمقابلة، وذلك بتشبيه إمهال الله إياهم في نعمه إلى أن يقع بهم العذاب بفعل الكائد لغيره[1]، وفي هذا تهديد صريح لهم كما قال ﷻ: ﴿**إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا * فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ**

---

(1) انظر: زاد المسير – ابن الجوزي – 236/3، السيرة النبوية – ابن هشام – 350/2، أسباب النزول – للسيوطي – ص197.

(2) سورة الطور – الآية 42.

(3) انظر: التفسير الكبير – الرازي – 267/28، روح المعاني – للالوسي – مج9 – 39/27.

(4) انظر: التفسير الكبير – الرازي – 267/28.

(5) تفسير التحرير والتنوير – مج13 – 77/27.

(1) انظر: التفسير الكبير – للرازي – 266/28، تفسير التحرير والتنوير – ابن عاشور – مج13 – 78/27.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾[1] فكان من مظاهر هذا التهديد ما حل بالمشركين يوم بدر من هزيمة على يد المسلمين على غير ترقُب منهم، فرد الله ﷻ كيد الكافرين في نحورهم ونصر عباده المؤمنين[2] ولذا فقد حفظ الله رسولهﷺ من كيد المشركين كما حفظ إبراهيم عليه السلام من كيد أعدائه حين أرادوا أن يحرقوه في النار، فجعلها الله برداً وسلاماً عليه إذ قال: ﴿**قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ**﴾[3] فإن سنة الله جارية في نصر رسله وعباده المؤمنين، وإبطال كيد المشركين والكافرين.

المطلب التاسع: إرادة الفرار من الواجب

وقد تمثَّلت إرادة الفرار من الواجب في المنافقين حين طلبوا الإذن من النبي ﷺ في غزوة الأحزاب بالعودة إلى بيوتهم بدعوى أن بيوتهم عورة، ومكشوفة أمام العدو، وأنهم لا يأمنون عليها، قال ﷻ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا * وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا * وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا**﴾[4] ففي هذه الآيات يذكِّر الله ﷻ عباده المؤمنين بنعمته عليهم، المتمثلة في دفع أكبر خطر قد حاق بهم وهو اجتماع جيوش عدة على غزوهم في عقر دارهم، وهي جيوش قريش وأسد وغطفان وبني قريظة من اليهود، فلما بلغ النبي ﷺ خبرهم أمر بحفر الخندق تحت سفح جبل سَلْع غربي المدينة، وذلك بإشارة سلمان الفارسي رضي الله عنه إذ كانت له خبرة حربية علمها من ديار قومه في فارس[5]، ففي تلك الغزوة ابتلي المؤمنون ابتلاءً شديداً واختبروا بالخوف والقتال والجوع والحصار والنزال؛ ليتبين المؤمن من المنافق، لدرجة أن أبصارهم قد شخصت من فرط الهول والحيرة، وبلغت قلوبهم الحناجر، فقد ارتفعت من أماكنها لشدة الخوف والفزع[1]، ولذلك قال المنافقون في ذلك الموقف ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً، حيث قطعوا بأن الغلبة واقعة على المسلمين، ولذلك قالت طائفة منهم:

---

(1) سورة الطارق – الآيات 15-17.

(2) انظر: زاد المسير – ابن الجوزي – 223/7، روح المعاني – الألوسي – مج9 – 39/27.

(3) سورة الأنبياء – الآيات 68-70.

(4) سورة الأحزاب – الآيات 9-13.

(5) انظر: أيسر التفاسير – الجزائري – 248/4.

(1) انظر: فتح القدير – الشوكاني – 320/4.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا) أي: لا وجه لإقامتكم في سفح الجبل عند الخندق فارجعوا إلى منازلكم داخل المدينة ليكون ذلك أسلم لكم من القتل، أو ليكون لكم عند هذه الأحزاب يد، ومرادهم بذلك أمرهم بالفرار من القتال، ولكنهم عبروا عنه بالرجوع ترويجاً لمقالتهم، وإيذاناً بأنه ليس من قبيل الفرار المذموم[1].

فهذه الطائفة من المنافقين هي شرُ الطوائف وأضرها، فهي تُخذِّل عن الجهاد، وتُبيّنُ للناس أنهم لا قوة لهم في قتال العدو، ويأمرونهم بترك القتال والرجوع إلى المدينة، قال ﷻ: **(...وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا)** وهذا فريق آخر من المنافقين وطائفة أخرى، وهم بنو حارثة وبنو سلمة، أصابهم الخوف والجزع، وأحبَّوا أن يرجعوا إلى بيوتهم، فجعلوا يعتذرون بالأعذار الباطلة حيث قالوا: إن بيوتنا عورة، أي ضائعة ليست بحصينة ولا ممتنعة من العدو، بل هي مكشوفة للعدو، وهم لا يأمنون عليها[2]، يقول ابن عاشور: "والتأكيد بحرف إن في قولهم **(إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ)** تمويه لإظهار قولهم **(بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ)** في صورة الصدق، ولما علموا أنهم كاذبون وأن النبي ﷺ يعلم كذبهم جعلوا تكذيبه إياهم في صورة أنه يشك في صدقهم فأكدوا الخبر"[3]، ولكن الله ﷻ كذَّبهم فيما قالوه، وبيَّن سبب استئذانهم وما يريدونه به، فقال: **(إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا)** أي: ما يريدون بهذا الاستئذان إلا الهرب من القتال ونصرة المؤمنين، وقيل: المراد ما يريدون إلا الفرار من الدين والعودة إلى الشرك والكفر كما كانوا من قبل[4]، ولهذا قال ﷻ: ﴿**وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا* وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُولًا**﴾[5] فلو دخلت عليهم المدينة من جميع جوانبها من شرق وغرب وشمال وجنوب، ثم طلب منهم العدو الغازي الذي دخل عليهم المدينة الردة والعودة إلى الشرك لأعطوها فوراً وما تلبثوا بها إلا يسيراً حتى يرتدوا عن الإسلام ويرجعوا كما كانوا مشركين، فليس لهم منعة ولا تصلُب على الدين، بل بمجرد ما تكون الدولة للأعداء، يعطونهم ما طلبوا، ويوافقونهم على كفرهم[1]، هذه حالهم، والحال أنهم **(عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُولًا)**، فإنهم ليس لهم إرادة في القتال، ولا رغبة في الخروج للجهاد؛ لأنهم منافقون لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، ولذا أرادوا الفرار، وطلبوا الإذن من

---

(1) انظر: روح المعاني – الألوسي – مج7 – 160/21، فتح القدير – الشوكاني – 321/4.

(2) انظر: فتح القدير – الشوكاني – 322/4، أيسر التفاسير – الجزائري – 251/4.

(3) تفسير التحرير والتنوير – مج10 – 287/21.

(4) انظر: روح المعاني – الألوسي – 161/7.

(5) سورة الأحزاب – الآيتان 14، 15.

(1) انظر: فتح القدير – الشوكاني – 322/4، تيسير الكريم الرحمن – السعدي – ص608.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النبي ﷺ، بعد أن عاهدوا الله لا يولون الأدبار، فإن من شأن المؤمنين الصادقين أنهم لا يستأذنون وقت القتال والحرب، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ * وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً وَلَـكِن كَرِهَ اللّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُواْ مَعَ الْقَاعِدِينَ**﴾[1]، ولذا أخبر ﷻ أن الفرار من القتال لا يزيد في الآجال، حيث قال: ﴿**قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾[2] وهذا أمر للنبي ﷺ بأن يقول لهؤلاء القاعدين والمنخذلين عن القتال، لن ينفعكم الفرار والهروب من الموت أو القتل؛ لأن الآجال محدودة، ومن لم يمت بالسيف مات بغيره، فلا معنى للفرار من القتال والجهاد إذا وجب، فإذا فررْتم من القتال فإنكم لا تمتعون بالحياة إلا قليلاً من الزمن، ثم تموتون عند نهاية أعماركم، وهي فترة قليلة، فالفرار لا يطيل أعماركم، والقتال لا ينقصها، فلو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم[3].

المطلب العاشر: إرادة الإلحاد

يقول الله عز وجل: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاء الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾[4] ففي هذه الآية يخبر الله ﷻ عن شناعة ما عليه المشركون الكافرون بربهم، حيث جمعوا بين الكفر بالله ورسوله وبين الصد عن سبيل الله، ومنع الناس من الإيمان، والصد أيضاً عن المسجد الحرام، الذي ليس ملكاً لهم ولا لآبائهم، بل الناس فيه سواء في العبادة، المقيم فيه، والطارئُ عليه، والحال أن هذا المسجد من حرمته وعظمته، أن من يرد فيه بإلحاد بظلم يذقه الله من عذاب أليم[5].

قال ابن عباس ﷺ: "بعث النبي ﷺ عبد الله ابن أنيس مع رجلين أحدهما مهاجري والآخر من الأنصار، فافتخروا في الأنساب، فغضب عبد الله بن أنيس، فقتل الأنصاري، ثم ارتد عن الإسلام، وهرب إلى مكة، فنزلت فيه: **(وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ)**"[1].

والمراد بالإلحاد العدول عن القصد وأصله إلحاد الكافر، فقيل: إنه الشرك، وقيل: الإلحاد في الحرم منع الناس من زيارته، وقيل: هو قول الرجل في المبايعة لا والله وبلى والله، وقيل: إنه الاحتكار، وقيل غير ذلك[2]، فإن من أراد شيئاً من هذه الذنوب في الحرم فإن الله ﷻ

---

(1) سورة التوبة – الآيتان 45-46.

(2) سورة الأحزاب – الآية 16.

(3) انظر: زاد المسير – ابن الجوزي – 187/6، تيسير الكريم الرحمن – السعدي – ص608.

(4) سورة الحج – الآية 25.

(5) انظر: تيسير الكريم الرحمن – السعدي – ص486، أيسر التفاسير – الجزائري – 466/3.

(1) أسباب النزول – للسيوطي – ص278.

(2) انظر: الكشاف عن حقائق التنزيل – الزمخشري – 10/3، التفسير الكبير – الرازي – 25/23.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قد توعده بالعذاب الأليم على إرادته وهمه وقصده، يقول السعدي: "فمجرد إرادة الظلم والإلحاد في الحرم، موجب للعذاب، وإن كان غيره لا يعاقب العبد عليه إلا بعمل الظلم، فكيف بمن أتى فيه أعظم الظلم من الكفر والشرك، والصد عن سبيله، ومن يريده بزيارة؟"[1].

ومفعول (يُردْ) محذوف ليتناول كل متناول، كأنه قال: ومن يرد فيه مراداً ما عادلاً عن القصد ظالماً نذقه من عذاب أليم[2]، ولذلك فإن الواجب على من كان في الحرم أن يضبط نفسه ويسلك طريق السداد والعدل في جميع ما يهم به ويريده، جاء في الحديث عن النبي ﷺ قال: **(ليؤمَّنَّ هذا البيت جيشُ يغزونه حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض يُخسفُ بأوسطهم، وينادي أوَّلُهم وآخرهم، ثم يُخسَفُ بهم، فلا يبقى إلا الشريد الذي يُخبرُ عنهم)**[3].

فهذه الآية تدل على أن المرء يستحق العذاب بإرادته الظلم كما يستحقه على عمل جوارحه، مما يدل على وجوب احترام الحرم، وشدة تعظيمه، والتحذير من إرادة المعاصي فيه، فعن ابن مسعود ﷺ قال: لو أن رجلاً بعدن هَمَّ بأن يعمل سيئة عند البيت أذاقه الله عذاباً أليماً"[4].

المطلب الحادي عشر: إرادة ولاية الكافرين

لقد نهى الله عن ولاية الكافرين واتخاذهم أولياء من دون المؤمنين في غير موضع من كتابه العزيز فقال ﷻ: ﴿**لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً**﴾[1]، وقال ﷻ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ...**﴾[2]، وقال ﷻ في شأن اليهود والنصارى: ﴿**...وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[3]، فهذه الآيات كلها تحذر المؤمنين من اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين إذ إن اتخاذ الكافرين أولياء يجلب عقوبة الله ﷻ ويوجبها لقوله ﷻ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا**﴾[4]،

---

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – ص486.

(2) انظر: التفسير الكبير – الرازي – 25/23.

(3) صحيح مسلم – كتاب الفتن وأشراط الساعة (52) – باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت (2) – ص1410 – حديث رقم 7136.

(4) انظر: التفسير الكبير – الرازي – 25/23.

(1) سورة آل عمران – الآية 28.

(2) سورة الممتحنة – الآية 1.

(3) سورة المائدة – الآية 51.

(4) سورة النساء – الآية 144.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول الطبري رحمه الله: "وهذا نهي من الله لعباده المؤمنين أن يتخلقوا بأخلاق المنافقين، الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، فيكونوا مثلهم في ركوب ما نهاهم عنه من موالاة أعدائه، يقول لهم جلا ثناؤه: يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله، لا توالوا الكفار فتؤازروهم من دون أهل ملتكم ودينكم من المؤمنين، فتكونوا كمن أوجبت له النار من المنافقين"[1].

فقوله ﷻ: (أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً)، أي "حجة ظاهرة في العذاب، وفيه دلالة على أن الله ﷻ لا يعذب أحداً بمقتضى حكمته إلا بعد قيام الحجة عليه، ويشعر بذلك كثير من الآيات، وقيل: أتريدون بذلك أن تجعلوا له تعالى حجة بينة على أنكم منافقون فإن موالاة الكافرين أوضح أدلة النفاق"[2]، وقد ذكر الرازي وجهين في تفسير الآية الكريمة فيقول: "اعلم أنه تعالى لما ذمَّ المنافقين بأنهم مرة إلى الكفرة ومرة إلى المسلمين من غير أن يستقروا على أحد الفريقين نهى المسلمين في هذه الآية أن يفعلوا مثل فعلهم فقال: يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين، والسبب فيه أن الأنصار بالمدينة كان لهم في بني قريظة رضاع وحلف ومودة، فقالوا لرسول الله ﷺ من نتولى؟ فقال: المهاجرين، فنزلت هذه الآية.

والوجه الثاني: ما قاله القفَّال[3] رحمه الله: وهو أن هذا نهي للمؤمنين عن موالاة المنافقين، يقول: قد بينت لكم أخلاق المنافقين ومذاهبهم فلا تتخذوا منهم أولياء، ثم قال ﷻ: (أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبينا)"[1]، ثم يقول الرازي بعد أن ذكر هذين الوجهين في معنى الآية الكريمة: "فإن حملنا الآية على أنه تعالى نهى المؤمنين عن موالاة الكفار كان معنى الآية أتريدون أن تجعلوا لله سلطاناً مبيناً على كونكم منافقين، والمراد أتريدون أن تجعلوا لأهل دين الله وهم الرسول وأمته... وإن حملنا الآية الأولى على المنافقين كان المعنى: أتريدون أن تجعلوا لله عليكم في عقابكم حجة بسبب موالاتكم المنافقين"[2]، وقد ذكر ابن عاشور أيضاً أوجهاً في تفسير الآية فقال: "وقوله: (أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبينا) استئناف بياني، لأن النهي عن اتخاذ الكافرين أولياء مما يبعث الناس على معرفة جزاء هذا الفعل مع ما ذكرناه من قصد التشهير بالمنافقين والتسجيل عليهم، أي أنكم إذا استمررتم على موالاة

---

(1) جامع البيان – 2606/4.

(2) روح المعاني – للألوسي – مج2 – 177/5.

(3) هو الإمام محمد بن إسماعيل القفّال، الشاشي الشافعي (أبو بكر)، فقيه، محدث، ومفسر، ولد في الشاش، ورحل في طلب الحديث إلى خراسان والعراق والحجاز والشام والثغور، وانتشر عنه المذهب الشافعي في ما وراء النهر، وتوفي بالشاش في ذي الحجة. انظر (معجم المؤلفين – لعمر كحالة – 308/10).

(1) التفسير الكبير – 86/11.

(2) المرجع السابق – 86/11.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكافرين جعلتم لله عليكم سلطاناً مبينا، أي حجة واضحة على فساد إيمانكم، فهذا تعريض بالمنافقين... وهذا السلطان هو حجة للرسول عليهم بأنهم غير مؤمنين فتجرى عليهم أحكام الكفر، لأن الله عالم بما في نفوسهم لا يحتاج إلى حجة عليهم، أو أريد حجة افتضاحهم يوم الحساب بموالاة الكافرين، كقوله: ﴿...**لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**...﴾[1]، ومن هنا يجوز أيضاً أن يكون المراد من الحجة قطع حجة من يرتكب هذه الموالاة والإعذار إليه"[2].

فهذه الأوجه التي ذكرها المفسرون في معنى الآية كلها أوجه محتملة وتصب في معنى الآية الكريمة، فإن إرادة ولاية الكافرين دليل على النفاق، وعدم صحة الإيمان، وحجة ظاهرة في العذاب، ولهذا أنكر الله تعالى هذه الإرادة وحذر منها لأنها توجب سخطه وعقابه، وفي هذا يقول الألوسي رحمه الله: "وتوجيه الإنكار إلى الإرادة دون متعلقها بأن يقال: أتجعلون ... للمبالغة في إنكاره وتهويل أمره ببيان أنه لا يصدر عن العاقل بإرادته فضلاً عن صدور نفسه"[3].

---

(1) سورة النساء – الآية 165.

(2) تفسير التحرير والتنوير – مج3 – 243/5.

(3) روح المعاني – مج2 – 177/5.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني

العوامل المؤثرة في الإرادة الإنسانية

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: خضوع الإرادة الإنسانية لمشيئة الله وإرادته.
- المبحث الثاني: اتباع الإرادة الإنسانية لوساوس الشيطان.
- المبحث الثالث: اتباع الإرادة الإنسانية لشهوات الدنيا والنفس والهوى.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

خضوع الإرادة الإنسانية لمشيئة الله وإرادته

ويشتمل على مطلبين:

- المطلب الأول: إرادة إطفاء نور الله.
- المطلب الثاني: إرادة الخروج من النار.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

خضوع الإرادة الإنسانية لمشيئة الله وإرادته

بين يدي المبحث

إن مذهب السلف وأئمة الأمة أن الله ﷻ خالق كل شيء ومليكه، وما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا يندُّ شيء عن التعلُّق بإرادته ﷻ، وهذا بخلاف فرقة المعتزلة المبتدعة، التي قصرت الإرادة على الخير والنفع والطاعة، حيث قالوا إن المعاصي، والشرور، والآثام، كلها حادثة بغير إرادة الله، بل هو كاره لها[1]، واقتضى ما ذهبوا إليه أن يكون ما يكرهه -أي كراهة عقلية لا شرعية- أكثر ممَّا يريده، لأن نسبة المعاصي أكبر من نسبة الطاعات، وفُسِّرت الكراهة بالعقلية لأن الكراهة الشرعية التي هي النهي عن المعاصي والآثام- ممَّا أجمع عليه المسلمون قاطبة، فالله ﷻ لا يرضى لعباده الكفر، ولا يأمر بالفحشاء، وكره لنا أموراً: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال، وإن كان هذا كلُّه واقعٌ بمشيئته وإرادته ﷻ لكنه لا يحبه، ولا يرضاه، بل يبغضه، ويذم أهله، ويعاقب عليه[2]، ولهذا أخرجت المعتزلة أفعال الإنسان الاختيارية عن التعلّق بالإرادة الإلهية؛ إذ ظنُّوا أن كون كل شيء بمشيئة الله ﷻ يقتضي أن يكون الإنسان مجبوراً على ما يقوم به من أعمال صالحة وطالحة، ما دام أن ما يقوم به لا يخرج عن المشيئة[3].

وتجلية هذه الحقيقة العقدية تتأتى من أنه لا تعارض بين كون كل شيء بمشيئة الله ﷻ وكون الإنسان مختاراً فيما كلِّف به، ويحاسب عليه، أو لا تلازم بين الجبر وتعلُّق الإرادة، ويكفي دليلاً على أن الإنسان مختار فيما كُلِّف به توجه الشرع إلى الإنسان بالتكليف - بأن يفعل، ولا يفعل- مع ترتُّب الثواب والعقاب على الاستجابة وعدمها، فقوله ﷻ: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾[4]، يُبيِّن أن الله ﷻ لا يظلم أحداً، فالإنسان يُحاسب على أعماله إن كانت خيراً فخير وإن كانت شراً فشر، يقول صاحب الظلال عند تفسير هذه الآية: "لقد جاءت هذه الرسالة تعلن رشد البشرية، وتضع على كاهلها عبء

---

(1) انظر: شرح المقاصد - للتفتازاني - 4/274-275، وانظر: شرح العقائد النسفية - للتفتازاني - ص57.

(2) انظر: شرح جوهرة التوحيد - عبد الكريم تتان وآخرون - 1/343.

(3) انظر: المرجع السابق - 1/343.

(4) سورة فصلت - الآية 46.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاختيار، وتعلن مبدأ التبعية الفردية، ولمن شاء أن يختار، وما ربك بظلام للعبيد"[1]، ولذلك فإن قوله ﷻ: ﴿**وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾[2]، يثبت الاختيار الإنساني، وذلك بإسناد المشيئة إليه بالفعل (تشاؤون) ويثبت إطلاق مشيئة الله ﷻ وعموم تعلقها[3].

يقول الميداني: "وفي مجال خلق الإنسان توجهت إرادته ﷻ أن يجعل هذا المخلوق في أحسن تقويم كما أخبرنا في كتابه المجيد؛ وذلك بأن يمنحه الأداة التي يستطيع بها أن يعلم بعض حقائق الأشياء، وقد وجدنا ذلك في أنفسنا؛ وبأن يمنحه وسائل المعرفة، وهذه أيضاً ظاهرة فينا، وبأن يُعطيه الإرادة الحُرَّة ليمتحِن اختياره، وهذه الإرادة الحرَّة، نشعر بها في داخلنا، وبأن يجعل بين يدي إرادته الحرَّة مقداراً يسيراً من القدرة، لتستعمله في محاولة تنفيذ بعض ما تُريد، مسترشدة بالحقائق العلمية والوصايا الربانية التي اكتسبتها أداة المعرفة عنده بالأدلة الإنسانية الثابتة، وهذه القدرة جزءً منا ونشعر بها جميعاً، وحول هذه الهبات والمنح الربانية تدور دائرة التكليف الإلهي لعباده"[4]، فإن المتدبر لمهمة الإنسان فوق هذه الأرض يتجلى له بوضوح أنها تقتضي الاختيار، والاختيار يتطلب توجيهاً، ومن هنا نزلت الشرائع توجه الإنسان لأداء المهمة المنوطة به، ومنطلق هذا التوجيه (افعل) و (لا تفعل) وكل المناهج التي جاءت بها الرسل –عليهم السلام– لا تخرج عن التكليف بهما، فقد درَّب الله ﷻ منذُ بدء الخليقة– آدم عليه السلام– وحوَّاء، على هذه المهمة بافعل ولا تفعل، المتمثلة بقوله ﷻ: ﴿**..وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا..**﴾[5]، وفيه معنى حرِّية الفعل، وعمارة الأرض كما دُرِّبا كذلك على المهمة بلا تفعل المتمثلة بقوله ﷻ: ﴿**..وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ..**﴾[6]، وفيه معنى حدود الحرية المعطاة للمكلَّف، وحتى لا تفسد الحياة، فيتضح من هذا أن مجال الاختيار مفتوح بأن يأكل مما أذن له بأكله، ويمتنع عما نُهيَ عنه[7].

وفي هذا المبحث سنتحدث عن إرادتين للكافرين، جاءتا بمعنى التمني والقصد، ولكن الله ﷻ لم يحقق مرادهم بهما نكالاً بهم، وتهديداً لهم.

---

(1) في ظلال القرآن – سيد قطب – 3128/5.

(2) سورة التكوير – الآية 29.

(3) انظر: شرح جوهرة التوحيد – عبد الكريم تتان – 344/1.

(4) العقيدة الإسلامية وأسسها – ص751.

(5) سورة البقرة – الآية 35.

(6) سورة البقرة – الآية 35.

(7) انظر شرح جوهرة التوحيد – عبد الكريم تتان – 344/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول: إرادة إطفاء نور الله

يقول الله عز وجل في شأن اليهود والنصارى: ﴿**يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾[1]، فأهل الكتاب من اليهود والنصارى لا يقفون عند حد الانحراف عن دين الحق، وعبادة أرباب من دون الله ﷻ، وعدم الإيمان بالله واليوم الآخر وفق المنهج الصحيح للإيمان بالله واليوم الآخر- إنما هم كذلك يعلنون الحرب على دين الحق؛ ويريدون إطفاء نور الله في الأرض المتمثل في دين الإسلام، ودعوته التي تنطلق في الأرض، وفي منهجه الذي يصوغ على وفقه حياة البشر، يقول الطبري: "يريد هؤلاء المتخذون أحبارهم ورهبانهم، والمسيح ابن مريم أرباباً (أن يطفئوا نور الله بأفواههم) يعني: أنهم يحاولون بتكذيبهم بدين الله الذي ابتعث به رسوله وصدهم الناس عنه بألسنتهم أن يبطلوه، وهو النور الذي جعله الله لخُلقه ضياء"[2].

فهنا يصور الله ﷻ حال أهل الكتاب من اليهود والنصارى في محاولة تكذيب النبي ﷺ وصد الناس عن إتباع الإسلام، وإعانة المناوئين للإسلام بالقول والإرجاف، والتحريض على المقاومة والقتال، والانضمام إلى صفوف الأعداء في الحروب بحال من يحاول إطفاء النور بنفخ فمه عليه، يقول ابن عاشور: "فهذا الكلام مركّب مستعمل في غير ما وضع له على طريق تشبيه الهيئة بالهيئة، ومن كمال بلاغته أنه صالح لتفكيك التشبيه بأن يُشبه الإسلام وحده بالنور، ويشبه محاولو إبطاله بمريدي إطفاء النور، ويشبه الإرجاف والتحريض والتكذيب بالنفخ، ومن الرشاقة أن آلة النفخ وآلة التكذيب واحدة وهي الأفواه"[3]، ولهذا قال ﷻ: **(يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ)** فجاء التعبير بالفعل يريدون الذي يفيد الاستمرار والتجدد، فإرادتهم إطفاء نور الله، وصد الناس عن دين الإسلام مستمرة ومتجددة، وغير متوقفة أبداً، وفي هذا إثارة لغيظ المسلمين على أهل الكتاب، بكشف ما يضمرونه للإسلام من الممالأة والتأليب على مناوأة الدين بدافع الحسد، وخشية انتشاره، وظهور فضله على دينهم[4].

فإن هؤلاء المشركين والكتابيين يعاندون الله ﷻ، إذ يريدون إطفاء نوره، ولكن الله ﷻ غالب عليهم فهم لا يعجزونه، ولذا قال: **(وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)** فهم يريدون، والله ﷻ يأبى عليهم كل أهوائهم، فالإباء والإباية: الامتناع عن الفعل، وهذا تمثيل لإرادة الله ﷻ إتمام ظهور الإسلام، وانتشار نوره بحال من يحاول على فعل وهو يمتنع منه،

---

(1) سورة التوبة – الآية 32.

(2) جامع البيان – 3965/5.

(3) تفسير التحرير والتنوير – مج6 – 171/10.

(4) المرجع السابق – مج6 – 171/10.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لأنهم لما حاولوا طمس الإسلام كانوا في نفس الأمر محاولين إبطال مراد الله ﷻ فكان حالهم، في نفس الأمر، كحال من يحاول من غيره فعلاً وهو يأبى أن يفعله، والاستثناء في قوله: **(وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ)** استثناء مُفرَّغ وإن لم يسبقه نفي، لأنه أجرى فعل يأبى مجرى نفي الإرادة كأنه قال: ولا يريد الله إلا أن يتم نوره، ذلك أن فعل (أبى) ونحوه فيه جانب نفي لأن إباية الشيء جحد له، فقويَ جانب النفي هنا لوقوعه في مقابلة قوله **(يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ)** فكان إباء ما يريدونه في معنى نفي إرادة الله ما أرادوه، فهم يريدون الإطفاء والله لا يريد إلا أن يتم نوره، ويُعمَّ الوجود الإنساني، وإرادة الله ﷻ هي النافذة، لأن إرادتهم ظلمة، والنور كاشف الظلمة، ولو كره الكافرون، لأن ستر الحقائق والتمويه والتضليل لا يدوم مهما طال الزمان[1].

وجيء بهذا التركيب هنا لبيان شدة مماحكة أهل الكتاب، وعداوتهم، وتصلّبهم في دينهم، ولم يُجأ به في سورة الصف إذ قال: ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾[2]، لأن المنافقين كانوا يكيدون للمسلمين خُفية وفي لين وتملُّق[3].

ولذلك فإن قوله ﷻ **(وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ)**، "إشارة مضيئة إلى مستقبل الإسلام، وأنه نور الله الذي يريد المشركون، والكافرون، والمنافقون، أن يطفئوه بأفواههم"[4]، جاء في الحديث عن النبي ﷺ قال: **(إن الله زوى لِيَ الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ مُلكها ما زُوِيَ لي منها...)**[5].

المطلب الثاني: إرادة الخروج من النار

يقول الله عز وجل: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُواْ بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ**﴾[6]، ففي هذه الآية الكريمة يصف الله ﷻ حال الكافرين، وما يلاقونه من عذاب أليم، وعذاب دائم في نار جهنم، والحال أنهم **(يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ)**، أي يتمنون الخروج مما هم فيه من شدة العذاب، وما هم بخارجين منها،

---

(1) انظر: روح المعاني – الألوسي – مج4 – 85/10، زهرة التفاسير – محمد أبو زهرة – 3286/6.

(2) سورة الصف – الآية 8.

(3) انظر: تفسير التحرير والتنوير – ابن عاشور – مج6 – 172/10.

(4) التفسير القرآني للقرآن – عبد الكريم الخطيب – مج3 – 744/9.

(5) صحيح مسلم – كتاب الفتن وأشراط الساعة (52) – باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض (5) – ص1413 – حديث رقم 7152.

(6) سورة المائدة – الآيتان 36، 37.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فلهم عذاب دائم مستمر لا خروج لهم منه، ولا محيد لهم عنه، كما قال ﷻ: ﴿**كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا**﴾[1]، فإن إرادتهم ورغبتهم في الخروج مستمرة ومتجددة؛ ولكن الله ﷻ قضى عليهم بالخلود والبقاء في عذاب جهنم.

يقول الطبري: "يريد هؤلاء الذين كفروا بربهم يوم القيامة أن يخرجوا من النار بعد ما دخلوها، **(وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)** يقول: لهم عذاب دائم ثابت لا يزول عنهم ولا ينتقل أبداً"[2]، فقد صوَّر الله ﷻ حالهم بهذا النص الكريم، وهو أنهم اجتمع لهم العذاب الشديد المؤلم، والرغبة في الخروج منه، ولكن هذا العذاب لازم لهم غير قابل للإنفصال عنهم، فهم يريدون راغبين، ملحِّين أن يخرجوا من النار وعذابها الشديد، وكلما نضجت جلودهم بدلَّهم الله جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب، وهم يريدون الخروج منها ولو بالموت والفناء كما قال ﷻ: ﴿**وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ**﴾[3]، فقد عبر ﷻ عن رغبتهم بالفعل **(يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ)**، أي أنهم يريدون أن يقع لهم الخروج على أي صورة كانت، فهم يطلبون الخروج من العذاب، ولو كان بعده الموت، ولكن اللهﷻ ينفي الخروج بنفي الوصف، لا بنفي الفعل، فقال: **(وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا)**، فليس من شأنهم أن يخرجوا، ولا يصح أن يثبت لهم وصف الخروج، لأن العذاب هو الجزاء الحق الوفاق لما ارتكبوا، فلا يسوغ أن يقع الخروج منه أبداً[4].

يقول الشيخ المنصوري[5]: "فإيثار الجملة الاسمية لبيان سوء حالهم، باستمرار عدم خروجهم منها **(وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)** أي دائم، فصرَّح بعدم تناهي مدته، بعد بيان شدته، وهذه الآية كما ترى في حق الكفار، فلا تنافي القول بالشفاعة لعصاة المؤمنين في الخروج، كما لا يخفى على من له أدنى إيمان"[6]، فهذا العذاب الأليم الدائم، هو الجزاء لمن فرَّط في أمر دنياه، وجعلها رجساً وفسوقاً، فقد اشترى هذه الحياة الفانية، بالحياة الباقية، فكان حقاً أن يجعل الله ﷻ جزاءه أن يحرمه من كل ما في الحياة الآخرة من الخير، ويذيقه وبال أمره جزاءاً وفاقاً لما قدمت يداه، واجترح من سيئات، اللهم اكتب لنا التوبة، واغفر لنا وارحمنا إنك أنت الغفور الرحيم.

---

(1) سورة الحج – الآية 22.

(2) جامع البيان – 2866/4.

(3) سورة الزخرف – الآية 77.

(4) انظر: زهرة التفاسير – محمد أبو زهرة – 2166/4.

(5) هو: الشيخ مصطفى بن ميمش بن الحسين، ولد في مدينة حصن المنصور واسمها الآن "آدي يامان" مركز الولاية في الأناضول سنة 1307 هجرية، كان عالماً فاضلاً، ومرجعاً في علم الفقه، انظر (المقتطف من عيون التفاسير – المنصوري – 7/1).

(6) المقتطف من عيون التفاسير – 35/2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثانـي

اتباع الإرادة الإنسانية لوساوس الشيطان

ويشتمل على مطلبين:

- **المطلب الأول: إرادة الشيطان في إضلال الإنسان.**
- **المطلب الثاني: إرادة الشيطان في إيقاع العداوة والبغضاء.**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

اتباع الإرادة الإنسانية لوساوس الشيطان

بين يدي المبحث

الوسوسة والوسواس: الصوت الخفي من الريح، والوسواس: صوت الحلي، وقد وسوس وسوسة ووسواساً: بالكسر، والوسوسة والوسواس: حديث النفس، يقال: وسوست إليه نفسه، والوسواس بالفتح مثل الزِّلزال والزَّلزال، والوسواس بالفتح: هو الشيطان، ووسوس الرجل: كلمه كلاماً خفيًّا، وسوس: إذا تكلَّم بكلام لم يبينه[1].

وقد وردت لفظة الوسوسة مقترنة بالشيطان في القرآن الكريم ثلاث مرات، ثنتان منها في قصة إبليس مع آدم، وثالثة في وسوسة الشيطان العامة مع البشر، يقول ﷻ: ﴿**فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى**﴾[2]، ففي هذا النص يذكر اللهﷻ وسوسة الشيطان لآدم عليه السلام- وما حملته تلك الوسوسة لآدم، وهو قوله: (**هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى**)، وقد حُذِف هذا القول في موضع الأعراف حيث يقول ﷻ: ﴿**فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا...**﴾[3]، فلام التعليل في قوله (ليبدي) جاءت لتبين علة الوسوسة ومراد الشيطان من تلك الوسوسة، وهي كشف سوأة آدم وزوجته، أما الموضع الثالث الذي ذُكرت فيه الوسوسة فهو قوله ﷻ: ﴿**مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ**)[4]، فقوله ﷻ (**يُوَسْوِسُ**) يدل على أن الوسوسة صفة ملازمة للشيطان، يرسل بها ما يريد من كلام وخواطر إلى الصدر، ولذا سُمي بـ (**الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ**) كما وصفه ﷻ في سورة الناس، يقول ابن عباس في تفسير الآية: "الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا سهي وغفل وسوس، وإذا ذكر الله خنس"[5].

هذا وقد أسهب علماء علم النفس الإسلامي في وصف وساوس الشيطان، ومراده من تلك الوساوس والخواطر التي يلقيها في نفس الإنسان، فمما يورده الأستاذ حسن الشرقاوي: "الخاطر هو خطاب يرد على النفس، شيطاناً كان أو ملاكاً ..، إذ إن سبب غلبة الخواطر المذمومة إنشغال النفس بحظوظها وشهواتها وأهوائها فترد عليها الوساوس الشيطانية التي

---

(1) لسان العرب – لابن منظور – 254/6، 255.

(2) سورة طه – الآية 120.

(3) سورة الأعراف – الآية 20.

(4) سورة الناس – الآية 5، 6.

(5) الدر المنثور في التفسير بالمأثور – للسيوطي – 694/8.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تحجبها عن الحقائق وتُحسِّن لها الأعمال والأفعال المستقبحة..."[1]، ويقول عبد الرحمن حبنَّكة الميداني: "وقد وُصفَ الشيطان بأنه خناس؛ لأنه يخنس كلما ذكر العبد ربه، فإذا غفل أو نسي عاد الشيطان فوسوس في صدره، فإذا ذكر الله خنس، وهكذا دواليك وسواس خناس، وكذلك يفعل شياطين الإنس، بل شياطين الإنس أشد خطراً وأعظم ضرراً من شياطين الجن، فشيطان الإنس يوسوس بالأقوال التي تمر عن طريق الفكر، حتى تصل إلى مراكز الانفعالات والعواطف والشهوات والأهواء في الصدر، وحين يستجيب الإنسان بإرادته إلى هذه الوساوس فإنها تُنتج سلوكاً منحرفاً يجلب الشر والضر للإنسان"[2].

الوسوسة وعلاقتها بإرادة الإنسان:

يرى علماء النفس الحديث أن: "الوسواس تطلق على فكرة أو مجموعة أفكار تفرض نفسها على لا شعور المريض مخالفة إرادته ورغبات نفسه، حتى إن المريض النفسي يستطيع أن يتعرف على شذوذ هذه الفكرة بل ربما يشكو منها..، ويصف علماء النفس حالة المريض المصاب بالوسواس بأنه تستبد به أفكار وخواطر تلازمه كالظل، فلا يستطيع منها فكاكاً، مهما بذل من الجهد والطاقة أو حاول إقناع نفسه بالبعد عنها بالعقل والمنطق، إذ إنها تحاصره وتضيق عليه، فلا يستطيع أن يتخلص منها بأي صورة مهما حاول إقناع نفسه بفسادها..."[3]، ويعلِّق الأستاذ حسن الشرقاوي على ذلك فيقول: "فالوسواس بهذا المعنى عند علماء النفس حالة نفسية قهرية تبدو في صورة فكرية متصلبة أو شعور مُتسلط أو اندفاع إجباري للقيام بعمل معيَّن"[4].

ولذا فقد حارب علماء علم النفس الإسلامي هذه الفكرة الشيطانية التي تجعل الإنسان مقهوراً ومنقاداً للشيطان، وبينوا أن الوسواس لم يكن أبداً ليقهر الإنسان، ويسيطر على تصرفاته، أو يسلب إرادته، يقول الميداني: "والإنس والجن لهم آثار ذات شر، وهم يتحركون ويتصرفون في الكون بإرادات حرَّة مختارة منحهم الله عز وجل- إياها، ومكنهم من تنفيذ بعض مراداتهم مما يدخل ضمن استطاعة قدراتهم، فيما سخر لهم في كونه، فالإنس قد يمكرون ويكيدون ويوسوسون بأسباب خفية أو ظاهرة، لإنزال الشر أو الضر أو الأذى، فيمن يكيدونه، وهذا من لوازم التخيير والتسخير، للابتلاء في ظروف الحياة الدنيا، والجن قد يفعلون مثل ذلك، بأسباب خفية مكّنهم الله منها، وسخر لهم، غير أسباب الإنس، وهذا من لوازم التخيير، والتمكين والتسخير، والشياطين وهم كفرة الجن ومردتهم قد يوسوسون، ويغرون،

---

(1) نحو علم نفس إسلامي – ص59.

(2) معارج التفكر ودقائق التدبر – 41/2.

(3) نحو علم نفس إسلامي – ص91.

(4) المرجع السابق – ص91.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويسوِّلون إطماعاً بالباطل، لدفع الناس بوساوسهم، وإغراءاتهم وتسويلاتهم إلى الكفر والفسوق والعصيان، وهذا من لوازم التخيير والتمكين والتسخير"[1].

وقد بيَّن الأستاذ حسن الشرقاوي علاقة الوسواس بالإرادة الإنسانية من وجهة النظر الإسلامية فيقول: "ينظر أئمة الإسلام إلى الوسوسة إلى أنها نتاج حديث النفس وأمانيها وأحلامها في الشهوات واللذات، توقد نارها الغفلة ونسيان الحق، ويزيد سعيرها الشيطان، وذلك بتحسين الأفعال والأعمال، وما يفتأ يزيد لهيبها حتى ينحرف الموسوس إلى الغواية والضلال، ويرتكب أفحش الأعمال ويسقط في النهاية صريع الفتنة، وإذا اعتاد الإنسان على الغفلة أصبحت الوسوسة طبعه الغالب واستمرأ ذلك الطريق..."[2]، فالشيطان يُزين للعبد طريق الضلال والانحراف ويخدعه بوساوسه، إلا أنه لا يستطيع أن يقهر الإنسان أو يسلبه إرادته، وقد أفصح اللعين عن هذه الحقيقة التي تخبط فيها الكثير من الناس، فينقل عنه رب العزة قوله يوم القيامة ﴿...**وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم**...﴾[3]، فهذا براء صريح من وجود أي سلطان أو قوة قهرية لإبليس وجنوده على الإنسان مهما كثُرت عليه الوساوس، بل الإنسان هو من يُسلم نفسه للشيطان ووساوسه بالابتعاد عن حياض الله ﷻ والعوذ به، يقول الزمخشري عند تفسير هذه الآية: "وهذا دليل على أن الإنسان هو الذي يختار الشقاوة أو السعادة ويحصِّلها لنفسه، وليس من الله إلا التمكين، ولا من الشيطان إلا التزيين، ولو كان الأمر كما تزعم المجبرة لقال: فلا تلوموني ولا أنفسكم، فإن الله قضى عليكم الكفر وأجبركم عليه"[4]، وقد بيّن النبي ﷺ هذه الحقيقة حيث روى أبو داود في سننه: **أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله "إن أحدنا يجد في نفسه يُعرِّض بالشيء لأن يكون حُمَمَةً[5] أحبَّ إليه من أن يتكلم به! فقال: (الله أكبر الله أكبر الله أكبر الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة)**[6].

---

(1) معارج التفكر – 2/46-47.

(2) نحو علم نفس إسلامي – ص94.

(3) سورة إبراهيم – الآية 22.

(4) الكشاف عن حقائق التأويل – 2/374.

(5) الحُمَم: الرماد والفحم وكل ما احترق من النار، الواحدة حُمَمَة. انظر (المعجم الوسيط – لإبراهيم أنيس وآخرون – 1/200).

(6) سنن أبي داود – كتاب الأدب (35) – باب في رد الوسوسة (118) – ص766 – حديث رقم 5112 – قال الألباني: صحيح.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

علاج الوسوسة:

إن موقف العبد المؤمن تجاه نفسه، هو حمايتها ووقايتها مما قد يتجه نحوه بشر أو ضُر أو أذى، من المخلوقات غير ذات المسؤولية عما تحدُث بها من أحداث، وكذلك من المخلوقات ذوات المسؤولية عما يحدث بإرادتها من أحداث، فهو الاستعاذة بالله من شر كل ذي شر، ومن ضر كل ذي ضر، ومن أذى كل ذي أذى، وقد اشتملت سورة الناس على الاستعاذة بالله من شر الوسواس الخناس الذي يجلب الشر والضر للإنسان، ولذا فقد "عالج علم النفس الإسلامي مرض الوسواس بغير الطرق المستخدمة في علم النفس الحديث، فالأصل في الوسواس عند الأئمة أنه شيطان رجيم يدخل في صدر العبد الذي يوسوس له، فإذا ذكر الله خنس الشيطان وخرج من صدره..، والشيطان يزيّن للعبد طريق الضلالات، ويحسّن له سبل العصيان، ويخدعه بوسوسته، إلا أنه لا يستطيع أن يفعل أكثر من ذلك لقوله ﷻ: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**﴾[1]"[2].

المطلب الأول: إرادة الشيطان إضلال الإنسان وتحاكمه للطاغوت

يقول الله عز وجل: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا**﴾[3]، قال كثير من أهل التفسير: "نازع رجل من المنافقين رجلاً من اليهود فقال اليهودي: بيني وبينك أبو القاسم، وقال المنافق بيني وبينك كعب بن الأشرف، والسبب في ذلك أن الرسول ﷺ كان يقضي بالحق ولا يلتفت إلى الرشوة، وكعب بن الأشرف كان شديد الرغبة في الرشوة، واليهودي كان محقاً، والمنافق كان مبطلاً، فلهذا المعنى كان اليهودي يريد التحاكم إلى الرسول، والمنافق كان يريد كعب بن الأشرف، ثم أصر اليهودي على قوله، فذهب إليه ﷺ فحكم الرسول ﷺ لليهودي على المنافق"[4]، وقد أخرج الطبري في سبب نزول هذه الآية عن عامر قال: "كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة، فكان المنافق يدعو إلى اليهود؛ لأنه يعلم أنهم يقبلون الرشوة، وكان اليهودي يدعو إلى المسلمين؛ لأنه يعلم أنهم لا يقبلون الرشوة، فاصطلحا أن يتحاكما إلى كاهن من جُهينة، فنزلت فيه هذه الآية"[5]، ففي هذه

---

(1) سورة ق – الآية 16.

(2) نحو علم نفس إسلامي – ص95.

(3) سورة النساء – الآية 60.

(4) التفسير الكبير – للرازي – 153/10.

(5) جامع البيان – 2395/3، وانظر: أسباب النزول – للواحدي – ص90.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآية ينكر الله ﷻ ويوبخ هؤلاء الذين يدَّعون الإيمان بما أنزل إلى الرسول ﷺ وما أنزل من قبله، ومع ذلك يريدون التحاكم إلى الطاغوت بعد أن أمروا بالكفر به.

"وواضح من النص الكريم أن هؤلاء متصفون بصفتين:

أولاهما أنهم يدَّعون الإيمان وليسوا بمؤمنين إذ قال ﷻ: **(يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ)**، وثانيهما أنهم في الأصل من أهل الكتاب الذين يدعون أنهم آمنوا بما أنزل على موسى والأنبياء من قبله، وبهذا النص الكريم يتعيَّن أن يكون أولئك من المنافقين اليهود الذين كانوا يظهرون الإيمان، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا: إنا معكم إنما نحن مستهزئون"[1].

فنلاحظ هنا ارتباط هذه الإرادة الشيطانية بشكل واضح بفئتين معينتين من الناس، هما اليهود والمنافقون الذين يستعملهم الشيطان في إغواء البشر، وذلك بنقلهم من الحاكمية المطلقة لله ﷻ إلى حاكمية الهوى والشيطان، فقوله ﷻ: **(وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيدًا)** يعني: "أن الشيطان يريد أن يصد هؤلاء المتحاكمين إلى الطاغوت عن سبيل الحق والهدى، فيضلهم عنها ضلالاً بعيداً؛ يعني فيجور بهم عنها جوراً شديداً"[2]، يقول صاحب الظلال: "هؤلاء الذين يريدون أن يتحاكموا إلى غير شريعة الله الطاغوت- قد يكونون جماعة من المنافقين كما صرَّح بوصفهم في الآية الثانية من هذه المجموعة، وقد يكونون جماعة من اليهود الذين يُدْعَون -حين تَجدُّ لهم أقضية مع بعضهم البعض أو أهل المدينة- إلى التحاكم إلى كتاب الله فيها..، أو إلى التوراة أحياناً، أو إلى حكم الرسول أحياناً -كما وقع في بعض الأقضية- فيرفضون ويتحاكمون إلى العرف الجاهلي الذي كان سائداً"[3]، فقوله ﷻ: **(يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ)** أي: "يحبون محبَّة تبعثُ على فعل المحبوب..، **(وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيدًا)**، أي يحبب لهم ذلك ويحسن لهم، لأنه ألقى في نفوسهم الدعاء إلى تحكيم الكهان والانصراف عن حكم الرسول، أو المعنى: يريد أن يضلهم في المستقبل بسبب فعلتهم هذه لولا أن أيقظهم الله وتابوا مما صنعوا"[4]، فإذا كان الله ﷻ قد أمرهم أن يكفروا بحكم الهوى والظلم، وبحكم الأوهام والكهنة، واختاروا هم الاحتكام إلى طاغية من طغاتهم، أو كاهن من كهانهم، فقد كان ذلك بوسوسة الشيطان المضل في نفوسهم، فهو لا يريد لهم إلا العدول عن الصراط المستقيم، فالضلال هو العدول عن الخط المستقيم، سواء أكان ذلك من المعنويات أم كان من السير الحسي، ومن عدل عن الطريق المستقيم واستمر في غيره، فهو كمن بَعُدَ عن الطريق السوي، وسار في متاهات، كلما أمعن بَعُدْ: وهؤلاء الذين يريدون أن يتحاكموا إلى

---

(1) زهرة التفاسير – محمد أبو زهرة – 1734/4.

(2) جامع البيان – للطبري – 2395/3.

(3) في ظلال القرآن – 693/2

(4) تفسير التحرير والتنوير – ابن عاشور – مج3 – 105/5.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الطاغوت، قد ابتدأوا حياتهم بالنفاق، وكلما وسوس لهم الشيطان بالباطل أبعدهم عن الحق وعن طريقه[1].

يقول سعيد حوّى: "إن ادعاء التقوى دون سلوك طريقها دعوى زائفة، إن سورة النساء التي تفصّل في المحور –الذي دعا الناس إلى السير في الطريق الذي يوصل إليه التقوى– تفصّل لنا الطريق، وتوضح لنا ماهية التقوى، فالمقطع واضح الصلة بسياق السورة، واضح الصلة بمحورها، ومن خلال قوله ﷻ: **(يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ)** ندرك أن هناك صلة بين المقطع وبين الآية السابقة عليه، وهي: ﴿**إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ...**﴾[2]، فصيغة العدل الوحيدة هي هذا الدين في مصدريه الرئيسيين الكتاب والسنة، وفي مصادره الفرعية الملتزمة بالكتاب والسنة والمنبثقة عنهما"[3]، ولذا فإن النص الكريم "يومئ إلى أنه لا يتفق مع الإيمان الصادق أن يتحاكم المؤمن إلى غير النظام الذي يقرره الكتاب والسنة، ويومئ النص أيضاً إلى أن كل تحاكم لغير شريعة الله ﷻ وما تقرره من أحكام، هو تحاكم إلى طغيان لا يقوم الحكم فيه إلا على الهوى، ألم تر كل النظم التي تحكم بغير القرآن لا تعاقب الزاني، ولا تعتبر فعله جريمة إلا إذا كان فيه اعتداء على الزوجية أو اغتصاب، أو زنى بقاصرة، وأي طغيان وهوى أعظم من ذلك جرماً؟ ويومئ النص كذلك إلى أن من يرفض حكم القرآن يخضع لحكم الشيطان، ويضل به ضلالاً، كلما سار فيه بَعُدَ عن الحق المبين"[4].

وقد قالت المعتزلة: "إن قوله ﷻ **(وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيدًا)** يدل على أن كفر الكافر ليس بخلق الله ولا بإرادته، وبيانه من وجوه: الأول: أنه لو خلق الله الكفر في الكافر وأراده منه فأي تأثير للشيطان فيه، وإذا لم يكن له فيه تأثير فذلك فرية عليه؟ الثاني: أنه ﷻ ذم الشيطان بسبب أنه يريد هذه الضلالة؟ فلو كان ﷻ مريداً لها لكان هو بالذم أولى من حيث إن كان من عاب شيئاً ثم نقله كان هو بالذم أولى، قال ﷻ: ﴿**كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾[5]، والثالث: إن قوله ﷻ في أول الآية صريح في إظهار التعجب من أنهم كيف تحاكموا إلى الطاغوت مع أنهم قد أُمروا أن يكفروا به، ولو كان ذلك التحاكم بخلق الله لما بقي التعجب، فإنه يقال: إنما فعلوا لأجل أنك خلقت ذلك الفعل فيهم وأردته منهم"[6]، وللرد على هذه الشبهة فإننا

---

(1) انظر: زهرة التفاسير – محمد أبو زهرة – 1735/4.

(2) سورة النساء – الآية 58.

(3) الأساس في التفسير – 1099/2.

(4) زهرة التفاسير– محمد أبو زهرة – 1735/4.

(5) سورة الصف – الآية 3.

(6) التفسير الكبير – للرازي – 155/10.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نقول كما ذكرنا سابقاً[1] من أن خلق الله ﷻ لأفعال العباد لا يقتضي الجبر فلا تنافي بين خلق الأفعال وعموم تعلق إرادة الله ﷻ، كما أنه ليس للشيطان تسلط وقهر على الإنسان حتى يسلبه إرادته، فكل ما يفعله الشيطان للإنسان هو التزيين والوسوسة التي أمر الله ﷻ بالاستعاذة منها، إذ يقول: ﴿**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ* إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ* إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ**﴾[2].

دور اليهود في إضلال العالم عن طريق التحاكم إلى الطاغوت

لقد غابت معالم تحكيم شرع الله ﷻ في أكثر أهل الأرض، وأصبح التحاكم إلى الطاغوت منتشراً في كل الأرجاء، وقد أفلح اليهود في نشر ذلك حيث إن ديدنهم هو الإفساد في الأرض كما أخبر ﷻ عنهم: ﴿**...وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا...**﴾[3]، فهم الذين وصفهم الله بأنهم عبدة الطاغوت: ﴿**قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللّهِ مَن لَّعَنَهُ اللّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَـئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ عَن سَوَاء السَّبِيلِ* وَإِذَا جَآؤُوكُمْ قَالُوَاْ آمَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ**﴾[4]، فقد ورد في بروتوكولات حكماء بني صهيون ما نصه: "حينما نمكن لأنفسنا فنكون سادة الأرض لن نبيح قيام أي دين غير ديننا، –أي الدين المعترف بوحدانية الله– الذي ارتبط باختياره إيانا كما ارتبط به مصير العالم ولهذا السبب يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان، وإذ تكون النتيجة المؤقتة لهذا هي أثمار ملحدين فلن يدخل هذا في موضوعنا، ولكن سيضرب مثلاً للأجيال القادمة التي ستصغي إلى تعاليمنا على دين موسى الذي وكل إلينا –بعقيدته الصارمة– واجب إخضاع كل الأمم تحت أقدامنا، وإذ نؤدي هذا سنعكف أيضاً على الحقائق الباطنية للتعاليم التي تقوم عليها – كما سنتول– كل قوتها التربوية"[5]، فواضح من هذا النص أطماع اليهود التي تهدف إلى تقويض الأديان، ونزع البشر من كل دين يحتكمون إليه، ويرجعون إليه، حتى يجعلونهم يتحاكمون إلى أهوائهم وإلى نفوسهم المريضة فيما يسمى بالماسونية[6] العالمية التي تدعو إلى الإلحاد وتقويض الأديان السماوية وتدمير جميع الحكومات الشرعية.

---

(1) انظر: صفحة 87 من هذا البحث.

(2) سورة النحل – الآيات 98–100.

(3) سورة المائدة – الآية 64.

(4) سورة المائدة – الآيتان 60، 61.

(5) بروتوكولات حكماء صهيون – ترجمة عباس محمود العقاد – ص184 وما بعدها.

(6) الماسونية: حركة يهودية تأسست في النصف الثاني من القرن السابع عشر، ووضع أفكارها المسيحي المرتد آدم وايزهاوايت عام 1767، وتهدف الماسونية إلى السيطرة على العالم عن طريق فرض الإلحاد، وتقويض الأديان السماوية، وتدمير جميع الحكومات الشرعية، انظر (الاتجاهات الفكرية المعاصرة – د.علي جريشة – ص233).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول الأستاذ عباس محمود العقاد[1] معلقاً على هذا النص من البروتوكول: "ليلاحظ القارئ أن علماء اليهود يَجدُّون بكل ما في وسعهم لهدم الأديان عن طريق المذاهب الاجتماعية والسياسية والفكرية والبيولوجية مثل مذهب دوركايم، والشيوعية والوجودية ومذهب التطور والسريانية، وأنهم القائمون على دراسة علم الأديان المقارن متوسلين به إلى نشر الإلحاد، ونسف الإيمان من النفوس، وأن تلاميذهم من المسلمين والمسيحيين في كل الأقطار ومنها مصر يروجون لآرائهم الهدامة بين الناس جهلاً وكبراً، ولو استقل هؤلاء التلاميذ في تفكيرهم لكشفوا ما في آراء أساتذتهم اليهود من زيف وما وراء نظرياتهم من سوء نيَّة"[2].

ولهذا فإن الواجب على أبناء الإسلام أن يتنبهوا لهذه الهجمة الصهيونية الشرسة الداعية إلى نشر الإلحاد وتقويض الأديان والتحاكم إلى الطاغوت، وأن يأخذوا حذرهم لقوله ﷻ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُواْ جَمِيعًا**﴾[3].

صور إضلال الشيطان

إن إرادة الشيطان الأساسية هي صد الناس عن سبيل الله ﷻ حتى يكونوا من أصحاب السعير، فهو يسعى جاهداً لإبعاد الناس عن طريق الخير ليكونوا من المخلدين في نار جهنم والعياذ بالله، يقول ﷻ: ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾[4]، "يعني شيعته، ومن أطاعه إلى طاعته، والقبول منه، والكفر بالله (ليكونوا من أصحاب السعير): يعني من المخلدين في نار جهنم التي تتوقد على أهلها"[5]، فهذا القصر (بإنما) يحصر دعوة إبليس وإرادته على هدف واحد وهو دخول البشر جميعهم في نار جهنم، وملازمتهم فيها فيكونوا من أصحاب السعير، ولهذا فهو يسعى في إضلالهم بمختلف صور الإضلال ومنها:

1. تبتيك آذان الأنعام وتغيير خلق الله

يقول ﷻ حاكياً ذلك على لسان إبليس اللعين: ﴿**وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا**﴾[6]، ففي الآية مسألتان: تبتيك آذان الأنعام، وتغيير خلق الله:

---

(1) هو عباس بن محمود بن مصطفى العقاد، إمام في الأدب، مصري، من المكثرين كتابةً وتصنيفاً مع الإبداع، أصله من دمياط. انظر (الأعلام – للزركلي – 266/3).

(2) بروتوكولات حكماء صهيون – ترجمة العقاد – ص184.

(3) سورة النساء – الآية 71.

(4) سورة فاطر – الآية 6.

(5) جامع البيان – للطبري – 6780/8.

(6) سورة النساء – الآية 119.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أ. تبتيك آذان الأنعام:

يقول الطبري: "والبتك: القطع، وهو في هذا الموضع قطع أذن البحيرة[1]، ليعلم أنها بحيرة، وإنما أراد بذلك الخبيث أن يدعوهم إلى البحيرة فيستجيبون له ويعملون بها طاعة له"[2]، فيوضح كلام الطبري مراد الشيطان من هذا التبتيك وعلة تحريمه من قبل الله ﷻ، فهو علامة يقيمونها على ما افتروا على الله تحريمه من الإبل بوحي من الشيطان، فقد كان العرب في الجاهلية يقطعون آذان الأنعام التي يجعلونها لطواغيتهم، علامة على أنها محررة للأصنام، فكانوا يشقون آذان البحيرة والسائبة[3] والوصيلة[4]، فكان هذا الشق من عمل الشيطان، إذ كان الباعث عليه غرضاً شيطانياً[5].

ب. تغيير خلق الله:

اختلفت العلماء في معنى تغيير خلق الله، "فقالت طائفة: هو الخصاء وفقء الأعين، وقطع الآذان، وقال آخرون: إن المراد بهذا التغيير هو أن الله ﷻ خلق الشمس والقمر والأحجار والنار، ونحوها من المخلوقات لما خلقها له، فغيرها الكفار بأن جعلوها آلهة معبودة..، وقيل المراد بهذا التغيير: تغيير الفطرة التي فطر الله الناس عليها"[6]، فهذه الأقوال تتوزع بين خصاء البهائم، وفقء الأعين، وقطع آذان الأنعام، وتغيير فطرة الله التي فطر الناس عليها، وأولى الأقوال فيه وأشملها هو ما اختاره الطبري حيث يقول: "وأولى الأقوال بالصواب في تأويل ذلك من قال: دين الله، وذلك لدلالة الآية الأخرى على أن ذلك معناه، وهو قوله ﷻ: ﴿**فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾[7]"[8].

فيتضح من الآية السابقة أن الشيطان يسعى إلى حمل مخالفيه على خلاف ما أمرهم الله به وأراده منهم وشرعه لهم، فبتبتيك آذان الأنعام، وتغيير خلق الله ﷻ يريد الشيطان من وراء ذلك محاربة فطرة الله التي فطر الناس عليها، يقول الشنقيطي عند تفسير الآية: "قال

---

(1) البحيرة: الناقة كانت في الجاهلية إذا ولدت خمسة أبطن شقوا أذنها، وأعفوها أن يُنتَفعَ بها، ولم يمنعوها من مرعى ولا ماء، انظر (المعجم الوسيط – إبراهيم أنيس وآخرون – 40/1).

(2) جامع البيان – 2544/4.

(3) السائبة: المهملة التي كانت تُسيَّب في الجاهلية لنذر ونحوه، والبعير الذي يُدرِك نتاج نتاجه، فيسيب: يترك ولا يركب ولا يُحمل عليه، (المعجم الوسيط – 466/1).

(4) الوصيلة: الناقة التي وصلت بين عشرة أبطن، ومن الشاء التي وصلت بين سبعة أبطن عناقين عناقين (المعجم الوسيط – 1038/2).

(5) انظر: تفسير التحرير والتنوير – ابن عاشور – مج3 – 205/5.

(6) فتح القدير – للشوكاني – 662/1.

(7) سورة الروم – الآية 30.

(8) جامع البيان – 2549/4.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بعض العلماء معنى هذه الآية أن الشيطان يأمرهم بالكفر وتغيير فطرة الإسلام التي خلقهم الله عليها"[1]، ويشهد لما قاله الشنقيطي قوله ﷻ: ﴿...**فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[2]، وفي هذا يقول النبي ﷺ فيما يرويه عن رب العزة ﷻ: **(ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كل مال نحلتُه عبداً حلالٌ، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرَّمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً...)**[3].

2. الأمر بالسوء والفحشاء والتقوُّل على الله بغير علم

يسعى الشيطان في صد الناس عن طريق الله المستقيم، وشرعه القويم، ولذلك فإنه سلك بهم طريق الفواحش والمنكرات، حتى يكونوا من أصحاب السعير والعياذ بالله، يقول ﷻ: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ* إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاء وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾[4]، "السوء: الإثم مثل الضر، من قول القائل ساء لك هذا الأمر يسوءك سوءاً؛ وهو ما يسوء الفاعل، وأما الفحشاء: فهي مصدر؛ مثل: السراء والضراء، وهي كل ما استفحش ذكره وقَبُح مسموعه، وقيل: إن السوء الذي ذكره الله هو معاصي الله؛ فإن كان ذلك كذلك، فإنما سماه الله سوءاً؛ لأنه يسوء صاحبه بسوء عاقبته له عند الله، وقيل: إن الفحشاء: الزنا؛ فإن كان ذلك كذلك، فإنما يسمى ذلك لقبح مسموعه، ومكروه ما يذكر به فاعله..." [5]، ويقول ابن عاشور مفرِّقاً بين السوء والفحشاء: "والسوء والضر من ساءه سَوءاً، فالمصدر بفتح السين وأما السُّوء بضم السين فاسم للمصدر، والفحشاء اسم مشتق من فُحشَ إذا تجاوز الحد المعروف في فعله أو قوله واختص في كلام العرب بما تجاوز حد الآداب وعظمُ إنكاره، لأن وساوس النفس تؤول إلى مضرة كشرب الخمر والقتل المفضي للثأر أو إلى سوأة وعار كالزنا والكذب، فالعطف هنا عطف لمتغايرين بالمفهوم والذات لا محالة بشهادة اللغة وإن كانا متحدين في الحكم الشرعي لدخول كليهما تحت وصف الحرام أو الكبيرة، وأما تصادقهما معاً في بعض الذنوب كالسرقة فلا التفات إليه كسائر الكليات المتصادقة"[6]، وقد أجاد أبو السعود في التفريق بين السوء والفحشاء في كلمات قليلة حيث يقول: "السوء في الأصل مصدر ساءه يسوءه

---

(1) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – 366/1.

(2) سورة الروم – الآية 30.

(3) صحيح مسلم – كتاب الجنة وصفاتها ونعيمها وأهلها (51) – باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (61) – ص1403 – حديث رقم 7101.

(4) سورة البقرة – الآيتان 168، 169.

(5) جامع البيان – للطبري – 827/1

(6) تفسير التحرير والتنوير – مج2 – 105/2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سوءاً ومساءة إذا أحزنه، يطلق على جميع المعاصي سواء كانت من أعمال الجوارح أو أفعال القلوب لاشتراكها كلها في أنها تسوء صاحبها، والفحشاء أقبح أنواعها وأعظمها مساءة"[1].

وأما القول على الله بغير علم: فهو"ما كانوا يُحرمون من البحائر والسوائب والوصائل والحوامي، ويزعمون أن الله حرَّم ذلك، فقال ﷻ ذكره- لهم: ﴿**مَا جَعَلَ اللّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ وَلَـكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ**﴾[2]، وأخبرهم ﷻ ذكره- في هذه الآية أن قيلهم؛ إن الله حرَّم هذا من الكذب الذي يأمرهم به الشيطان، وأنه قد أحله لهم وطيبه، ولم يحرِّم أكله عليهم، ولكنهم يقولون على الله ما لا يعلمون طاعة منهم للشيطان..."[3]، وهذا مثال للافتراء على الله ﷻ ولكن الآية تعم كل قول على الله بغير علم، يقول الشيخ المنصوري عند تفسير الآية: "ويدخل فيه كل ما يضاف إلى الله ﷻ مما لا يجوز إسناده عليه، ومعنى: **(مَا لاَ تَعْلَمُونَ)** ما لا تعلمون أن الله ﷻ أمر به، والقول على الله ﷻ بغير علم، من أعظم أصول المحرمات، فإنه أصل الأديان الباطلة، ومنشأ تحريف الأديان المحرَّفة، كما فعل اليهود والنصارى في شرائعهم، ومن عموم الجهل أن أكثر المسلمين لا يشعرون بهذا، فيقولون: هذا حرام، هذا حلال، هذا مندوب، هذا مكروه من غير معرفة ولا دليل، والتحليل والتحريم حق الله وحده، كما نبه ﷻ بقوله: ﴿**وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَـذَا حَلاَلٌ وَهَـذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ**﴾[4]"[5].

يظهر مما سبق أن الشيطان هو مادة الشر ومادة السوء، فلا يأمر الإنسان إلا بما يسوءه ويضره في دنياه وفي آخرته، فهو يأمر بالسوء والفحشاء والمنكر من أجل إيقاع الناس في الكفر بالله ﷻ يقول ابن عاشور: "والاقتداء بالشيطان إرسال النفس على العمل بما يوسوسه لها من الخواطر الشَّرية، فإن الشياطين موجودات مدركة لها اتصال بالنفوس البشرية لعلة كاتصال الجاذبية بالأفلاك والمغناطيس بالحديد، فإذا حصل التوجه من أحدهما إلى الآخر بأسباب غير معلومة حدثت في النفس خواطر سيئة، فإن أرسل المكلف نفسه لاتباعها ولم يردعها بما له من الإرادة والعزيمة حققها في فاعله، وإن كبحها وصدها عن ذلك غلبها، ولذلك أودع الله فينا العقل والإرادة وكمَّل لنا ذلك بالهدى الديني عوناً وعصمة عن تلبيتها لئلا تضلنا الخواطر الشيطانية حتى نرى حسناً ما ليس بالحسن، ولهذا جاء في الحديث: **(ومن همَّ**

---

(1) إرشاد العقل السليم - 222/1.

(2) سورة المائدة - الآية 103.

(3) جامع البيان - الطبري - 827/1.

(4) سورة النحل - الآية 116.

(5) المقتطف من عيون التفاسير - 188/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بسيئة فلم يعلمها كتبها الله عنده حسنة كاملة....)[1]، لأنه لما همَّ بها فذلك حين تسلطت عليه القوة الشيطانية، ولما عدل عنها فذلك حين غلَّب الإرادة الخيرية عليها"[2].

3. مشاركة الشيطان للناس في أموالهم وأولادهم

يقول الله عز وجل: ﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...**﴾[3]، فقد جعل الله ﷻ المال سبباً في إقامة الحياة وإعمار الأرض، يكسب من حلال وينفق في حلال، ولكن الشيطان الذي توجهت إرادته لصد الناس عن شكر الله كما قال ﷻ حاكياً قوله: ﴿**...وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ**﴾[4] يريد للمال أن يكون سبباً من أسباب شقاوة الإنسان، يكسبه بكل الطرق المباحة والمحرَّمة، ولهذا فقد توعدّ إبليس اللعين أعداءه بأن يشاركهم في هذه الأموال فتتحول من المسار الصحيح الذي أراده الله ﷻ فيستخدمها الإنسان فيما حرمه الله من المعاملات كأكل الربا، والغش، والسرقة، والرشوة، وغيرها، يقول ﷻ مخاطباً إبليس مطلقاً له العنان فيما أراد: ﴿**وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا**﴾[5]، فالمشاركة في الأموال هي: "كل تصرُّف فيها يخالف وجه الشرع سواء كان أخذاً من غير حق، أو وضعاً في غير حق كالنصب والسرقة والربا، ومن ذلك تبتيك آذان الأنعام وجعلها بحيرة وسائبة"[6]، يقول الطبري: "فإن أهل التأويل اختلفوا في المشاركة التي عنيت بقوله **(وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ)** فقال بعضهم: هو أمره إياهم بإنفاق أموالهم في غير طاعة الله، واكتسابها من غير حلها..، وقال آخرون: بل عُني بذلك كل ما كان من تحريم المشركين ما كانوا يحرِّمون من الأنعام كالبحائر والسوائب ونحو ذلك..، وقال آخرون: بل عُني به ما كان المشركون يذبحون لآلهتهم..، وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عُني بذلك كل مال عُصي الله فيه بإنفاقه في حرام أو اكتسابه من حرام، أو ذبح للآلهة، أو تسييب أو بحر للشيطان، وغير ذلك مما كان معاصياً به أو فيه، وذلك أن الله قال **(وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ)** فكل ما أطيع الشيطان فيه من مال وعصى الله فيه، فقد شارك فاعل ذلك فيه إبليس، فلا وجه لخصوص بعض ذلك دون بعض"[7]، فالشيطان يريد

---

(1) صحيح البخاري – كتاب الرقاق (81) – باب من همَّ بحسنة أو بسيئة (31) – 215/4 – حديث رقم 6491.

(2) تفسير التحرير والتنوير – ابن عاشور – مج2 – 103/2.

(3) سورة الكهف – الآية 46.

(4) سورة الأعراف – الآية 17.

(5) سورة الإسراء – الآية 64.

(6) فتح القدير – للشوكاني – 292/3.

(7) جامع البيان – 5209/7 وما بعدها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أن يكون له نصيبٌ في أموال أعدائه، وذلك بتحريضه لهم على اكتسابها وإنفاقها فيما يغضب الله ﷻ من رباً وسرقة وخديعة وغيرها، ولذا فقد حذَّر النبي ﷺ من عبودية الدرهم والدينار، فإن كثيراً من الناس اليوم شغلهم جمع المال عن ذكر الله وعبادته، وأصبح همهم الوحيد هو جمع المال بشتى الوسائل والطرق المحللة والمحرمة، قال ﷺ **(تعس عبد الدينار والدرهم، والقطيفة، والخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط لم يرض)**[1].

أما عن مشاركة الشيطان للناس في أولادهم، فعن ابن عباس ومجاهد والضحاك يعني أولاد الزنا، وعن ابن عباس هو ما كانوا قتلوه من أولادهم سفهاً بغير علم، وعن الحسن البصري: قد والله شاركهم في الأموال والأولاد مجَّسوا وهودوا ونصَّروا وصَبَغُوا غير صِبغَة الإسلام، وعن ابن عباس هو تسميتهم أولادهم عبد الحارث وعبد شمس وعبد فلان[2]، يقول الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: كل ولد ولدته أنثى عُصيَ الله بتسميته ما يكرهه الله، أو بإدخاله في غير الدين الذي ارتضاه الله، أو بالزنا بأمه، أو بقتله ووأده، أو غير ذلك من الأمور التي يعصى الله بفعله به أو فيه، فقد دخل في مشاركة إبليس فيه من ولد ذلك المولود له أو منه؛ لأن الله لم يخصص بقوله **(وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ)** معنى الشركة فيه بمعنى دون معنى، فكل ما عصى الله فيه أو به، وأطيع به الشيطان أو فيه، فهو مشاركته ممن عصى الله فيه..."[3] .. ولذلك فإن قوله ﷻ **(وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ)** شامل "لكل معصية تعلقت بأموالهم وأولادهم، من منع الزكاة والكفارات، والحقوق الواجبة وعدم تأديب الأولاد، وتربيتهم على الخير، وترك الشر..، بل ذكر كثير من المفسرين، أنه يدخل في مشاركة الشيطان في الأموال والأولاد ترك التسمية عند الطعام والشراب والجماع، وأنه إذا لم يسم الله في ذلك شارك فيه الشيطان، كما ورد في الحديث"[4] إذ يقول ﷺ **(لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، ثم قُدِّر أن يكون بينهما ولد في ذلك: لم يضره شيطان أبداً)**[5].

فهذه إرادة الشيطان، إنه يريد لأعدائه أن يعيشوا في الغي والضلال، وأن يرتعوا في عيشة الرذيلة والفاحشة، فيبدأوا حياتهم بالزنا، وينجبوا أولاداً على غير فطرة الله وشريعته، وتستمر حياتهم على الانحراف والضلال حتى يكونوا من أصحاب السعير والعياذ بالله.

---

(1) صحيح البخاري – كتاب الرقاق(81) – باب ما يتقي من فتنة المال(10) 203/4 حديث رقم 6435.

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – 58/5.

(3) جامع البيان – 5213/7.

(4) تيسير الكريم الرحمن – للسعدي – ص414.

(5) سنن أبي داود – كتاب النكاح (6) – باب في جامع النكاح (46) – ص327 – حديث رقم 2161 – قال الألباني: صحيح.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4- التناجي بالإثم

يقول الله عز وجل: ﴿**إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾[1]، ففي هذه الآية يبين الله ﷻ أن النجوى وهي المسارة الكلامية من عمل الشيطان الذي يريد من خلاله إيقاع الحزن في قلوب المؤمنين، يقول ابن كثير: "إنما النجوى: وهي المسارة حيث يتوهم مؤمن بها سوءاً: **(مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا)** يعني إنما يصدر هذا من المتناجين عن تسويل الشيطان، وتزيينه **(لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا)** أي: ليسوءهم وليس ذلك بضارهم شيئاً إلا بإذن الله، ومن أحس من ذلك شيئاً فليستعذ بالله، وليتوكل على الله، فإنه لا يضره شيء بإذن الله"[2]، وقد روى أن هذه الآية مع ما قبلها من آيات نزلت في اليهود والمنافقين الذين كانوا في المدينة، إذ كانوا يتناجون، ويتحدثون سراً على مرأىً من المؤمنين، والوقت وقت حرب، فيوهمون المؤمنين أن عدواً قد عزم على غزوهم، أو أن سرية هُزِمت أو أن مؤامرة تحاك ضدهم، وذلك لأجل إيقاع الحزن في قلوبهم فنهاهم الرسول ﷺ عن التناجي، فأبوا إلا أن يتناجوا فأنزل الله هذه الآية[3].

فهذا ديدن أعوان الشيطان وأتباعه من اليهود والمنافقين هو إثارة الحزن في قلوب الذين آمنوا ولهذا نهى النبي ﷺ عن هذا الإثم، ونهى عن التناجي بين اثنين في حضور ثالث فقال ﷺ: **(إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان دون الآخر، حتى تختلطوا بالناس؛ أجْلَ أن يُحزنَه)**[4]، فهذا الحديث "أدب رفيع، كما أنه تحفظ حكيم لإبعاد كل الريب والشكوك، فأما حيث تكون هناك مصلحة في كتمان سر، أو ستر عورة، في شأن عام أو خاص، فلا مانع من التشاور في سر وتكتم، وهذا يكون عادة بين القادة والمسئولين عن الجماعة، ولا يجوز أن يكون تجمعاً جانبياً بعيداً عن علم الجماعة، فهذا هو الذي نهى عنه القرآن، ونهى عنه الرسول، وهذا هو الذي يفتت الجماعة أو يوقع في صفوفها الشك، وفقدان الثقة، وهذا هو الذي يدبره الشيطان ليحزن الذين آمنوا..."[5].

ولذا فقد طمأن الله ﷻ المؤمنين بأن هذه النجوى وهذه المسارة التي يقوم بها أتباع الشيطان من اليهود والمنافقين لن تضرهم شيئاً إلا بإذنه ﷻ إذ إن الشيطان هو المزين لها، والحامل عليها، وفي هذا تسلية للمؤمنين وتصبيراً لهم على أذى المنافقين[6].

---

(1) سورة المجادلة – الآية 10.

(2) تفسير القرآن العظيم – 28/8.

(3) انظر: أسباب النزول – للواحدي – ص228، أسباب النزول – للسيوطي – ص402.

(4) صحيح البخاري – كتاب الاستئذان (76) – باب : إذا كانوا أكثر من ثلاثة لا بأس بالمسارة والمناجاة (47) – 169/4 – حديث رقم 6290.

(5) في ظلال القرآن – لسيد قطب – 3511/6.

(6) انظر: تفسير التحرير والتنوير – مج13 – 34/28.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

5. إنساء ذكر الله –سبحانه وتعالى–

لقد أقسم الشيطان منذ اللحظة الأولى التي طرده الله فيها من رحمته – بعزة الله ﷻ لإغواء آدم وذريته حيث: ﴿**قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾[1]، فإنه لا يوفر جهداً في صد الناس وصرفهم عن الحق ﷻ، وعن ذكره وطاعته، فإن له فريقاً صدَّق عليهم ظنه فاتبعوه فأنساهم ذكر الله ﷻ كما قال: ﴿**اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[2]، يقول ابن عاشور: "فالاستحواذ الاستيلاء، والغلب وهو استفعال من حاذ حوذاً، إذا أحاط شيئاً وصرَّفه كيف يريد، يقال: حاذ العير إذا جمعها وساقها غالباً لها"[3]، ومعنى: **(فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ)** أي أنساهم "أوامره والعمل بطاعته، فلم يذكروا شيئاً من ذلك، وقيل زواجره في النهي عن معاصيه، وقيل لم يذكروه بقلوبهم ولا بألسنتهم"[4]، فهذا مراد الشيطان وهدفه، إنساء أعدائه كل ما يربطهم بطريق الفلاح والفوز والنجاة يوم القيامة، ولذلك فإن حزبه الذين استحوذ عليهم هم الخاسرون والعياذ بالله ﷻ.

---

(1) سورة ص – الآية 82.

(2) سورة المجادلة – الآية 19.

(3) تفسير التحرير والتنوير – مج13 – 54/28.

(4) فتح القدير – الشوكاني – 235/5.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني: إرادة الشيطان في إيقاع العداوة والبغضاء:

يقول الله عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ**﴾[1]، ففي هذه الآية يُبين الله ﷻ لعباده الذين آمنوا أن تعاطي الخمر، والقمار والأنصاب: وهي الحجارة التي كان العرب في الجاهلية يذبحون قرابينهم عندها، والأزلام: وهي قداح وأقلام كانوا يستقسمون بها، ويستفتحون بها ممَّا حرَّم عليهم، لأن هذه الأشياء وهذه المحرمات كلها شر وسخط من فعل الشيطان وعمله ووسوسته، إذ أن مراده من دعوته إلى الخمر والميسر، هو إيقاع العداوة والبغضاء بين صفوف المؤمنين، وصدهم عن ذكر الله ﷻ والغفلة عنه[2]، يقول الطبري: "إنما يريد لكم الشيطان شرب الخمر والمياسرة بالقداح، ويُحسِّن ذلك لكم، إرادة منه أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في شربكم الخمر ومياسرتكم بالقداح ليعادي بعضكم بعضاً، ويبغض بعضكم على بعض، فيشتت أمركم بعد تأليف الله بينكم بالإيمان، وجمعه بينكم بإخوة الإسلام، **(وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ)**، يقول: ويصرفكم بغلبة هذه الخمر بسكرها إياكم عليكم، وباشتغالكم بهذا الميسر، عن ذكر الله ﷻ الذي به صلاح دنياكم وآخرتكم"[3]، فقوله ﷻ: **(إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ...)** فيه قصر، "أي قصر إرادة الشيطان في الخمر والميسر على إثارة العداوة والبغضاء وإلقائها في الأنفس، والعلاقات الاجتماعية بين الناس بعضهم مع بعض، وهذا يفيد أمرين: أولاهما أن الخمر والميسر لا يدفع إليهما عقل مدرك وثانيهما: أنه يترتب عليها الفرقة المادية بين الناس بالعداوة التي تقام بينهم، وبالبغضاء التي تولد فيهم الإحن[4] المستمرة"[5]، فبهذا ينكشف لضمير المسلم هدف الشيطان ومراده وغاية كيده، ومحرَّة رجسه..، إنها إيقاع العداوة والبغضاء في الصف المسلم في الخمر والميسر– كما أنها هي صد الذين آمنوا عن ذكر الله ﷻ وعن الصلاة...

فهذه الأهداف التي يريدها الشيطان أمور واقعة يستطيع المسلمون اليوم أن يروها في عالم الواقع بعد تصديقها من خلال القول الإلهي الصادق بذاته، فما يحتاج الإنسان إلى طول بحث حتى يرى أن الشيطان يوقع العداوة والبغضاء –في الخمر والميسر– بين الناس[1].

---

(1) سورة المائدة – الآيتان 90، 91.

(2) انظر: أيسر التفاسير – للجزائري – 11/2 وما بعدها.

(3) جامع البيان – 3005/4.

(4) الإحن: بمعنى العداوات والسخائم والحقود. انظر (لسان العرب – لابن منظور – 282/12).

(5) زهرة التفاسير – محمد أبو زهرة – 2347/5.

(1) انظر: في ظلال القرآن – سيد قطب – 976/2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولذلك فقد أشارت الآية إلى مفسدتين عظيمتين في الخمر والميسر:

الأولى: مفسدةً دنيوية تتمثل في إثارة العداوة والبغضاء في صفوف المجتمع المسلم، يقول الرازي مبيِّناً وجه العداوة والبغضاء في الخمر والميسر: "أما الخمر فاعلم أن الظاهر فيمن يشرب الخمر أنه يشربها مع جماعة ويكون غرضه من ذلك الشرب أن يستأنس برفقائه، ويفرح بمحادثتهم ومكالمتهم، فكان غرضه من ذلك الاجتماع تأكيد الألفة والمحبة إلا أن ذلك في الأغلب ينقلب على الضد؛ لأن الخمر يزيل العقل، وإذا زال العقل استولت الشهوة والغضب من غير مدافعة العقل، وعند استيلائها تحصل المنازعة بين أولئك الأصحاب، وتلك المنازعة ربما أدت إلى الضرب والقتل والمشافهة بالفحش، وذلك يورث أشد العداوة والبغضاء، فالشيطان يسوِّل أن الاجتماع على الشرب يوجب تأكيد الألفة والمحبة، وبالآخرة انقلب الأمر وحصلت نهاية العداوة والبغضاء، وأما الميسر ففيه بإزاء التوسعة على المحتاجين الإجحاف بأرباب الأموال، لأن من صار مغلوباً في القمار مرَّة دعاه ذلك إلى اللجاج فيه عن رجاء أنه ربما صار غالباً فيه، وقد يتفق أن لا يحصل له ذلك إلى أن لا يبقى له شيء من المال، وإلى أن يقامر على لحيته وأهله وولده، ولا شك أنه بعد ذلك يبقى فقيراً مسكيناً، ويصير من أعدى الأعداء لأولئك الذين كانوا غالبين له، فظهر من هذا الوجه أن الخمر والميسر سببان عظيمان في إثارة العداوة والبغضاء بين الناس، ولا شك أن شدة العداوة والبغضاء تفضي إلى أحوال مذمومة من الهرج والمرج والفتن، وكل ذلك مضاد لمصالح العالم"[1].

أما المفسدة الثانية: فهي مفسدة متعلقة بالدين، فقوله: **(وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ)** إشارة إلى مفاسد الخمر والميسر الدينية، "ووجه صد الشيطان لهم بذلك عما ذكر أن الخمر لغلبة السرور بها، والطرب على النفوس والاستغراق في الملاذ الجسمانية تلهي عن ذكر اللهﷻ وعن الصلاة، وإن الميسر إن كان اللاعب به غالباً انشرحت نفسه ومنعه حب الغلب والقهر والكسب عما ذُكِر، وإن كان مغلوباً حصل له من الانقباض والقهر ما يحثه على الاحتيال لأن يصير غالباً فلا يكاد يخطر بقلبه غير ذلك، وقد شاهدنا كثيراً ممن يلعب بالشطرنج يجري بينهم من اللجج والحلف الكاذب والغفلة عن الله ﷻ ما ينفر منه الفيل وتكبوا له الفرس"[2]، فرحم الله الشيخ الألوسي، فلقد اهتم واغتم لما رأى في زمانه، فكيف به لو يرى ما حل بأمتنا اليوم من تضييع للصلوات، وانشغال في المحرمات والملهيات، وغفلة تامة عن ذكر الله، فلا يكاد الواحد منهم يذكر ربه حتى بلسانه ولو للحظةٍ واحدة، والله ﷻ يقول: ﴿**يَا**

---

(1) التفسير الكبير – 80/12.

(2) روح المعاني – للألوسي – مج3 – 16/7.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾[1]، ولذا فقد حرم الحق ﷻ الخمر والميسر لما فيهما من مفاسد دينية ودنيوية، وأكد ﷻ تحريمها بعدة مؤكدات: منها: تصدير الجملة بإنما، ومنها: أنه قرنها بعبادة الأصنام، ومنها: أنه جعلها رجساً، ومنها: أنه جعلها من عمل الشيطان، والشيطان لا يأتي منه إلا الشر البحت، ومنها: أنه أمر بالاجتناب، ومنها: أنه جعل الاجتناب من الفلاح، ومنها: أنه ذكر ما ينتج عنهما من الوبال، وهو وقوع التعادي والتباغض من أصحاب الخمر والقمر، وما يؤديان إليه من تضييع للصلاة والغفلة عن ذكر الله[2].

لطائف اجتماعية في المطلب:

1. إن الحكمة من تحريم الخمر والميسر هي تنقية المجتمع المسلم من الشحناء والبغضاء بين صفوف أفراده فالله ﷻ يريد لحزبه أن يكونوا متحابين متعاونين ولذلك فقد حرَّم الله كل ما من شأنه أن يؤدي إلى إثارة العداوة والبغضاء بين المسلمين، يقول القرطبي: "هذه الآية تدل على تحريم اللعب بالنرد والشطرنج، قماراً أو غير قمار، لقوله ﷻ: **(إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ...)** فكل لهو دعا قليله إلى كثيرة وأوقع العداوة والبغضاء بين العاكفين عليه، وصد عن ذكر الله، فهو كشرب الخمر، وأوجب أن يكون حراماً مثله"[3].
2. خصت الصلاة في قوله: **(وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ)** من بين الذكر لزيادة درجتها، كأنه قال: وعن الصلاة خصوصاً، فالصلاة صلةٌ بين العبد وربه، ولهذا فإن مراد الشيطان من تعاطي الخمر والميسر هو قطع صلة العباد بخالقهم ليكونوا من حزبه في النار والعياذ بالله، يقول الألوسي: "وخص الصلاة من الذكر بالإفراد بالذكر مع أن الذي يصد عنه يصد عنها؛ لأنه من أركانها تعظيماً لها كما في ذكر الخاص بعد العام وإشعاراً بأن الصاد عنها كالصاد عن الإيمان لما أنها عماده، والفارق بينه وبين الكفر إذ التصديق القلبي لا يُطلعُ عليه، وهي أعظم شعائره المشاهدة في كل وقت ولذا طلبت فيها الجماعة ليشاهدوا الإيمان ويشهدوا به، ففي الكلام إشارة إلى أن مراد اللعين ومنتهى آماله من تزيين تعاطي شرب الخمر واللعب بالميسر الإيقاع في الكفر الموجب للخلود معه في النار وبئس القرار"[4].

---

(1) سورة المنافقون – الآية 9.

(2) انظر: الكشاف عن حقائق التنزيل – للزمخشري – 641/1.

(3) الجامع لأحكام القرآن – 627/3.

(4) روح المعاني – مج3 – 16/7.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3. يقول صاحب الظلال: "إن غيبوبة السكر –بأي مسكر– تنافي اليقظة التي يفرضها الإسلام على قلب المسلم ليكون موصولاً بالله في كل لحظة، مراقباً لله في كل خطوة، ثم ليكون بهذه اليقظة عاملاً إيجابياً في نماء الحياة وتجددها، وفي صيانتها من الضعف والفساد، وفي حماية نفسه وماله وعرضه، وحماية أمن الجماعة المسلمة وشريعتها ونظامها من كل اعتداء..، ثم إن هذه الغيبوبة في حقيقتها إن هي إلا هروب من واقع الحياة في فترة من الفترات؛ وجنوح إلى التصورات التي تثيرها النشوة أو الخمار، والإسلام ينكر على الإنسان هذا الطريق، ويريد من الناس أن يروا الحقائق، وأن يواجهوها، ويعيشوا فيها، ويصرفوا حياتهم وفقها، ولا يقيموا هذه الحياة على تصورات وأوهام فهو طريق التحلل، ووهن العزيمة، وتذاوب الإرادة، والإسلام يجعل في حسابه دائماً تربية الإرادة، وإطلاقها من قيود العادة القاهرة..، الإدمان، وهذا الاعتبار كافٍ وحده من وجهة النظر الإسلامية لتحريم الخمر وتحريم سائر المخدرات..، وهي رجس من عمل الشيطان، مفسدة لحياة الإنسان"[1]، ولذا فإنه ينبغي أن يكون هناك معالجة لبعض الفكر الذي ينشأ في أذهان شبابنا اليوم بالنسبة للمخدرات والسموم البيضاء، والذي أتى عن طريق التلبيس الشيطاني، الذي يحاول أن يغري شبابنا بالمضي في هذا الطريق على أساس أن هذه السموم البيضاء لم يأت عليها نص شرعي من القرآن أو السنة، والعجيب أن يكون المغري أو المُلبس هو نفس العدو الذي كان يغري أولئك الذين كانوا يعاقرون الخمر في صدر الإسلام، إنه الشيطان الذي يريد تدمير المجتمعات وتمزيقها بإثارة العداوة والبغضاء بين صفوف أفراده.

(1) في ظلال القرآن – 977/2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

اتباع الإرادة الإنسانية لشهوات الدنيا والنفس والهوى

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: إرادة الدنيا وزينتها.
- المطلب الثاني: إرادة النفس وشهواتها.
- المطلب الثالث: إرادة إتباع الهوى.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

اتباع الإرادة الإنسانية لشهوات الدنيا والنفس والهوى

بين يدي المبحث:

إن الإرادة الإنسانية قد تتأثر وتخضع لعدة مؤثرات، تلعب دوراً في ميل الإرادة الإنسانية، وانحراف استقامتها، لتسير في طريقٍ آخر غير طريق الله، وقد نبهنا الله وحذرنا من ذلك بقوله ﷻ: ﴿**وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[1]، وسوف نشير إلى هذه السبل التي تصرف الإرادة الإنسانية عن سبيل الله، وذلك في المطالب التالية:

المطلب الأول: إرادة الدنيا وزينتها

إن من الناس من يهتم بأمر دنياه دون أن يعمل لآخرته، فينسى الدار الآخرة، ويجعل سعيه للدنيا وحدها ظاناً أن الدنيا هي نهاية كل شيء، ولذا فإن الله ﷻ يلفت انتباه الناس للدار الآخرة فيذكرهم بالثواب الذي أعده لهم في الآخرة، يقول ﷻ: ﴿**مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَكَانَ اللّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا**﴾[2]، "فالثواب ما يعود على الإنسان من أي عمل يعمله، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، ثم أطلق الثواب في القرآن على الجزاء، وذلك في مقابل العقاب الذي هو جزاء الشر، والمراد هنا على هذا الأساس نعيم الدنيا، والنتائج الطيبة لأعمال الدنيا، ومعنى النص السامي من يكون من شأنه وطوِّية نفسه أن يطلب نعيم الدنيا وما فيها من خير، فإن الله ﷻ يعطيه ما يطلب إن اتجه إلى طلبها من طريق الحق والدين، فإن الله ﷻ ذا السلطان الكامل في الدنيا والآخرة هو وحده عنده نعيمها معاً"[3]، ويقول ابن كثير في معنى الآية: "يا من ليس لَه همَّه إلا الدنيا اعلم أن الله عنده ثواب الدنيا والآخرة وإذا سألته من هذه وهذه أعطاك وأغناك وأقناك كما قال ﷻ: ﴿**...فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ * وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * أُولَـئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾[4] وقال ﷻ: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ...**﴾[5] الآية..، "وقد زعم ابن جرير أن المعنى في هذه الآية (من كان

---

(1) سورة الأنعام – الآية 153.

(2) سورة النساء – الآية 134.

(3) زهرة التفاسير – محمد أبو زهرة – 1892/4.

(4) سورة البقرة – الآيات 200–202.

(5) سورة الشورى – الآية 20.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يريد ثواب الدنيا) أي من المنافقين الذين أظهروا الإيمان لأجل ذلك (فعند الله ثواب الدنيا) وهو ما حصل لهم من المغانم وغيرها مع المسلمين وقوله (والآخرة) أي وعند الله ثواب الآخرة وهو ما ادخره لهم من العقوبة في نار جهنم وجعلها كقوله: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ* أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾[1]"[2]، ويعلِّق ابن كثير على ما قاله الطبري فيقول: "ولا شك أن هذه الآية معناها ظاهر وأما تفسيره الآية الأولى بهذا ففيه نظر فإن قوله (فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) ظاهر في حصول الخير في الدنيا والآخرة أي بيده هذا وهذا فلا يقتصرن قاصر الهمَّة على السعي للدنيا فقط بل لتكن همَّته سامية إلى نيل المطالب العالية في الدنيا والآخرة فإن مرجع ذلك كله إلى الذي بيده الضر والنفع وهو الله الذي لا إله إلا هو الذي قسم السعادة والشقاوة في الدنيا والآخرة بين الناس، وعدل بينهم فيما علمه فيهم ممن يستحق هذا وممن يستحق هذا، ولذا قال: وكان الله سميعاً بصيراً"[3].

وقد لخص ابن عاشور أوجه التفسير في هذه الآية فقال: "لمَّا كان شأن التقوى عظيماً على النفوس، لأنها يصرفها عنها استعجال الناس لمنافع الدنيا على خيرات الآخرة، نبههم الله إلى أن خير الدنيا بيد الله، وخير الآخرة أيضاً، فإن اتقوه نالوا الخيرين، ويجوز أن تكون الآية تعليماً للمؤمنين بأن لا يلهيهم طلب خير الدنيا عن طلب الآخرة، إذ الجمع بينهما أفضل، وكلاهما من عند الله، على نحو قوله ﴿**فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ * ومِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * أُولَـئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ...**﴾[4]، أو هي تعليم للمؤمنين أن لا يطلبوا خير الدنيا من طرق الحرام، فإن في الحلال سعة لهم ومندوحة، وليتطلبوه من الحلال يُسهل لهم الله حصوله، إذ الخير كله بيد الله"[5].

ولذا فإن على الإنسان المؤمن أن يسعى لأن يجمع بين خير الدنيا والآخرة ولا يقصر همته على طلب الدنيا وحدها، بل عليه أن يجعلها مزرعة للآخرة، ولا يجعلها مطلوبة لذاتها لقوله ﷻ: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ**﴾[6]، فإن للدنيا أسباب ووسائل، والنجاح فيها له أسباب توصل

---

(1) سورة هود – الآيتان 15، 16.

(2) تفسير القرآن العظيم – 262/2.

(3) المرجع السابق – 263/2.

(4) سورة البقرة – الآيتان 200، 201.

(5) تفسير التحرير والتنوير – مج3 – 223/5.

(6) سورة الشورى – الآية 20.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلى النتائج، والآخرة لها أسباب وذرائع، والله ﷻ يعطي من أراد الدنيا ومن أراد الآخرة، حيث يقول: ﴿**وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ**﴾[1]، وعلى ذلك: "لا يكون النجاح في شؤون الدنيا دليلاً على القرب من الله ﷻ، ولا الفشل فيها دليلاً على البعد عن الله ﷻ، ذلك قول الفجار، الذين يتخذون من سطوة الكفار مع كفرهم دليلاً على أنهم أقرب إلى الله من المؤمنين، ويغفلون عن قول الله ﷻ: ﴿**وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ * وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِؤُونَ * وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[2]"[3].

ولذا فإن من هدي الإسلام أن يطلب المرءُ خير الدنيا وخير الآخرة، ويقول: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، فالإنسان يطلب ويريد بحسب سعة معرفته، وعلو همته، ودرجة إيمانه، وله ما يريد كله أو بعضه بحسب سنن الله وتدبيره لنظام الحياة.

وفي سورة الإسراء تفصيل وتقييد في هذه المسألة، يقول ﷻ: ﴿**مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا * كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا * انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً**﴾[4]، يقول الأستاذ محمد رشيد رضا: "ولا تُنسين التقاليد الشائعة قارئ هذه الآيات عن سنن الله التي أثبتها في كتابه، فيظن أن عطاءه ﷻ وتفضيله لبعض الناس على بعض يكون جُزافاً، بل الإرادة تُجْرَى على السنن التي اقتضتها الحكمة، وكل شيء عنده بمقدار، وللإرادة الإنسانية دخلٌ في تلك السنن والمقادير؛ ولذلك قال: من كان يريد، ومن أراد، فاعرف قيمة إرادتك، واعرف قبل ذلك قيمة نفسك، فلا تجعلها كنفوس الحشرات التي تعيش زمناً محدوداً، ثم تفنى كأن لم تكن شيئاً مذكوراً، إنك قد خلقت للبقاء، ولك في الوجود طوران: طورٌ عاجل قصير، وهو طور الحياة الدنيا، وطور آجلٌ أبديٌ، وهو طور الحياة الآخرة، وسعادتك في كل من الطورين تابعة لإرادتك، وما توصل إليه من العمل في حياتك، فأعمال الناس متشابهة، ومشقتهم فيها متقاربة، وإنما يتفاضلون بالإرادات والمقاصد؛ لأنها هي التي تكون تارةً علةً، وتارةً معلولاً لطهارة الروح، وعلو النفس وسمو العقل ورقة الوجدان، وهي هي المزايا التي يُفضَّلُ بها إنسان على إنسان"[5].

---

(1) سورة آل عمران – الآية 145.

(2) سورة الزخرف – الآيات 33–35.

(3) زهرة التفاسير – محمد أبو زهرة – 1436/3.

(4) سورة الإسراء – الآيات 19–21.

(5) تفسير القرآن الحكيم – 168/4–169.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولعظم شأن إرادة الإنسان وقصده فقد أمر الله رسوله الكريم ﷺ بالإعراض عن الذي قصر إرادته وهمَّه على الدنيا وحدها وجعلها هي غاية قصده، ونسي الله ﷻ والدار الآخرة، يقول ﷻ: ﴿**فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى**﴾[1]، هذا وتجدر الإشارة إلى أن إرادة الدنيا ومغانمها كانت سبباً رئيساً في حصول الهزيمة والفشل للمسلمين في غزوة أحد، وذلك بعد أن صدقهم الله وعده ومكنهم من عدوهم، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ...**﴾[2]، فإن الإرادة المذكورة في الآية هي إرادة المؤمنين الذين أصابهم الفشل والضعف والهزيمة من بعد ما رأوا ما يحبون من النصر والظفر على العدو[3].

المطلب الثاني: إرادة النفس وشهواتها

يقول الله عز وجل: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**﴾[4] هذه "زينة الحياة الدنيا وهذه متعها، وهي مصدر الخير، ومصدر الشر فيها، وبها تكون الرفعة، وبها يكون السقوط، وبها تكون العزة، وبها تكون الذلة، والإرادة الإنسانية هي التي تجعلها في أحد الطريقين، فإن كانت الإرادة قوية حازمة جعلت من هذه الأمور مصدر خير وطريقاً إلى الجنة، وإن تحكم الهوى وغلب الشيطان، وضعف الوجدان الديني، كانت هذه الأمور مصدر شر وطريقاً إلى النار؛ فهي طريق الجنة عند الأبرار، وطريق النار عند الأشرار، وكل امرئٍ وما تهوى نفسه"[5]، يقول الأستاذ محمد رشيد رضا: "يكسب الرجل طلباً للذَّات، وطلباً في الشهوات، فيغلو في الطمع، ويوغل في الحيل، ويأكل الربا أضعافاً مضاعفة، حتى يجمع القناطير المقنطرة، فإذا هو يمنع الماعون، ويدُعُ اليتيم، ولا يحض على طعام المسكين، ولهو إذا سُئل البذل في المصالح العامة أشدُ بخلاً، وأكزُّ يداً وأقبضُ كفاً، ويكسب الرجل طلباً للتجمل في معيشته وحباً للكرامة في قومه وعشيرته، فيُجمل في الطلب، ويتحرى الحلال من الربح، ويلتزم الصدق والأمانة، ويتوقى الغش والخيانة، ثم هو ينفق من سعته

---

(1) سورة النجم – الآيتان 29–30.

(2) سورة آل عمران – الآية 152.

(3) انظر: في ظلال القرآن – سيد قطب – 494/2.

(4) سورة آل عمران – الآية 14.

(5) زهرة التفاسير – محمد أبو زهرة – 1131/3.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فيواسي البائس الفقير، ويعين العاجز والضعيف، وتكون له اليد في بناء المدارس والمعابد والمستشفيات والملاجئ، فهل يستوي الرجلان وهما في الثروة سيَّان؟ وفي ظاهر العمل متشابهان، أو يفضل أحدهما الآخر بحُسن الإرادة؟ الإرادة تصغِّرُ الكبير وتكبرُ الصغير، وترفع الوضيع وتضع الرفيع، وبها يتسع دائرة الوجود الشخصي حتى يحيط بكرة الأرض، بل تكون أكبر من ذلك بما يتبوأ من منازل الكرامة في عالم العقول والأرواح، وإذا كان يريد بعمله دار البقاء فإن وجوده يكون كبيراً بحسب كبر إرادته، وواسعاً بسعة قصده؛ وبذلك تعلو نفسه على نفوس من أخلدوا إلى الشهوات، وكأن حظهم من عملهم كحظ الحشرات، وغيرها من الحيوانات: أكلٌ وشربٌ وسفاد[1] وبغي.."[2]، فهذه الأمور المذكورة في الآية الكريمة محبَّبةٌ لنفس الإنسان، مجبول بفطرته على الميل إليها، والاستشراف لها وطلبها، ولأن هذه الأمور في الفطرة الإنسانية عبر ﷻ بالبناء للمجهول، فقال ﷻ: (زين للناس حب الشهوات من النساء) فأبهم ﷻ مَنْ زَين حب هذه الأمور للإشارة إلى أنها في الفطرة الإنسانية[3]، ومعنى (زُيِّن للناس حب الشهوات) أي: "أودعت فطرتهم حب هذه الشهوات، وأنهم لا يرون فيها نقصاً، ولا مخالفة للكمال، والشهوات المراد بها موضع الشهوات، فهي من باب ذكر المصدر وإرادة اسم المفعول.

فهذه الأمور الستة هي المشتهيات وليست هي الشهوات، ولكن اطلق عليها اسم الشهوات للإشارة إلى شدة محبتها والحرص عليها"[4]، يقول الزمخشري في ذلك: "جعل الأعيان التي ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصاً على الاستمتاع بها"[5].

ويرى الزمخشري أن قوله ﷻ: (زُيِّن للناس حب الشهوات من النساء) فيه إشارة إلى خساسة هذه الأمور، حيث يقول: "والوجه أن يقصد تخسيسها فيسميها شهوات؛ لأن الشهوة مسترذلة مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية، وقال: (زُيِّن للناس حب الشهوات من النساء) ثم جاء بالتفسير ليقرر في النفوس أن المزيَّن لهم حبه ما هو إلا شهوات لا غير، ثم يفسِّره بهذه الأجناس فيكون أقوى لتخسيسها، وأدل على ذم من يستعظمها ويتهالك عليها ويرجح طلبها على طلب ما عند الله"[6]، ويعلِّق الشيخ محمد أبو زهرة على ما قاله الزمخشري فيقول: "ولسنا نرى رأي الزمخشري من أن هذه خسيسة في ذاتها، أو يقصد إلى تخسيسها في

---

(1) السفاد: نُزُو الذكر على الأنثى، يقال سفد الطائر أنثاه، وتسافدت الطيور، ويكنى به عن الجماع. انظر (اساس البلاغة – للزمخشري – 297/1، لسان العرب – لابن منظور – 218/3).

(2) تفسير القرآن الحكيم – 169/4.

(3) انظر: زهرة التفاسير – محمد أبو زهرة – 1132/3.

(4) زهرة التفاسير – محمد أبو زهرة – 1132/3.

(5) الكشاف عن حقائق التنزيل – 416/1.

(6) المصدر السابق – 416/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ذاتها، وإنما نرى أنها فطرة الله يبينها الله ﷻ: ويشير إلى أنها مطلوبة من كل إنسان، وأن المقتصد يُجمِّل في الطلب ويجعله للخير، وغير المقتصد يسرف فيفحش، فيكون الشر"[1].

وبهذا يتبيَّن أن هذه الأشياء ليست خسيسة في ذاتها، ولا يقصد تخسيسها، وإن كانت هي دون نعيم الآخرة ومتعها، فإن على المرء أن يعمل لآخرته دون أن ينسى نصيبه من الدنيا لقوله ﷻ: ﴿...**وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ**...﴾[2]، وفي هذا يقول المقدسي[3]: "اعلم أن الدنيا عبارة عن أعيان موجودة للإنسان، فيها حظ، وهي الأرض وما عليها، فإن الأرض مسكن الآدمي، وما عليها من ملبس ومطعم ومشرب ومنكح، وكل ذلك علن لراحة بدنه السائر إلى الله عز وجل..، فالطريق السليم هي الوسطى، وهي أن يُؤخذ من الدنيا قدر ما يحتاج إليه من الزاد للسلوك، وإن كان مشتهى، فإن أعطاء النفس ما تشتهيه عون لها وقضاء لحقها، وقد كان سفيان الثوري يأكل في أوقات من طيب الطعام، ويحمل معه في السفر الفالوذج[4]، وكان إبراهيم ابن أدهم يأكل من الطيبات في بعض الأوقات، ويقول: إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال، وإذا فقدنا صبرنا صبر الرجال، ولينظر في سيرة رسول الله ﷺ وصحابته، فإنهم ما كان لهم إفراط في تناول الدنيا، ولا تفريط في حقوق النفس"[5].

ولذا فإن على المرء أن لا يُفرط في شهوات نفسه، فينبغي عليه أن يتلمح حظ النفس في المشتهى، فإن كان في حظها حفظها وما يقيمها ويصلحها وينشط للخير، فلا يمنعها منه، وإن كان حظها مجرد شهوة، ليست متعلقة بمصالحها المذكورة، فذلك حظ مذموم، والزهد فيه يكون.

المطلب الثالث: إرادة إتباع الهوى

الهوى لغةً: قال اللغويون: الهوى محبة الإنسان الشيء وغلبته على قلبه، وهوى النفس: إرادتها، والجمع: الأهواء[1]، ويقول ابن فارس: "الهاء والواو والياء أصل صحيح يدل

---

(1) زهرة التفاسير – محمد أبو زهرة – 1133/3.

(2) سورة القصص – الآية 77.

(3) هو الإمام محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي، شمس الدين، أبو عبد الله بن قدامة المقدسي، الجماعيلي الأصل، الدمشقي الصالحي، حافظ للحديث، عارف بالأدب، من كبار الحنابلة. انظر (الأعلام – للزركلي – 326/5).

(4) الفالوذج: من الفالوذ، وهو طعام من الحلواء يسوَّى من لُبِّ الحنطة (لسان العرب – ابن منظور – 503/3).

(5) مختصر منهاج القاصدين – ص160–161.

(1) لسان العرب – لابن منظور – 372/15.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على خلو وسقوط، أصله الهواء بين الأرض والسماء، ويقال هوى الشيء يهوي: سقط، وهاوية جهنم، لأن الكافر يهوي فيها، وأما الهوى: هوى النفس فمن المعنيين جميعاً، لأنه خال من كل خير ويهوي بصاحبه فيما لا ينبغي، قال الله تعالى في وصف نبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾[1]"[2].

الهوى اصطلاحاً: عرفه الجرجاني بأنه: "ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع"[3]، وعرفه ابن الجوزي[4] بأنه: "ميل الطبع إلى ما يلائمه، وهذا الميل قد خلق في الإنسان لضرورة بقائه، فإنه لولا ميله إلى المطعم ما أكل، وإلى المشرب ما شرب، وإلى المنكح ما نكح، وكذلك كل ما يشتهيه، فالهوى مستجلب له لما يفيد، كما أن الغضب دافع عنه ما يؤذيه"[5].

فمن خلال التعريفات السابقة نلاحظ أن الهوى ليس مذموماً على الإطلاق فإن ميل النفس إلى ما تحب وتشتهي هو أمر قد خلق في الإنسان لضرورة بقائه فيجلب له ما يفيده كما يدفع عنه ما يضره، ولكن الهوى المذموم هو الميل المفرط إلى الشهوات، وهو ما زاد على جلب المصالح ودفع المضار، ولذا فقد ذم الله تعالى الذين يريدون أن يتبعوا أهوائهم بغير هدى من الله، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[6]، ونهى الله عبده ورسوله داود عليه السلام عن اتباع الهوى فقال: ﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ**﴾[7]، ويقول سبحانه مخاطباً رسوله الكريم ﷺ ﴿**أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا**﴾[8]، وهذا "تعبير عجيب يرسم نموذجاً عميقاً لحالة نفسية بارزة، حين تنفلت النفس من كل المعايير الثابتة والمقاييس المعلومة، والموازين المضبوطة، وتخضع لهواها، وتحكم شهواتها وتقيد ذاتها، فلا تخضع لميزان، ولا تعترف بحد، ولا تقتنع بمنطق، متى اعترض هواها الطاغي الذي جعلت

---

(1) سورة النجم – الآية 3.

(2) معجم مقاييس اللغة – ابن فارس – ص1056–1057.

(3) التعريفات – للجرجاني – ص286.

(4) هو الإمام عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج، علاَّمة عصره في التاريخ والحديث، مولده ووفاته ببغداد، ونسبته إلى مشرعة الجوز. انظر (الأعلام – للزركلي – 316/3).

(5) ذم الهوى – ص27.

(6) سورة القصص – الآية 50.

(7) سورة ص – الآية 26.

(8) سورة الفرقان – الآية 43.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

منه إلهاً يعبد ويطاع"[1]، ولهذا قال ﷻ في شأنهم: ﴿**أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً**﴾[2]، وهذا "إضراب وانتقال عن إنكار المذكور، إلى إنكار أنهم ممن يسمع أو يعقل، أي بل أتحسب أن أكثرهم يسمعون ما تتلو عليهم من الآيات، أو يعقلون ما في مَضامينها من المواعظ، فتعتني بشأنهم، وتطمع في إيمانهم؟ (إن هم إلا كالأنعام) أي: ما هم في عدم الانتفاع، بما يقرع آذانهم من قوارع الآيات، وانتفاء التدبر فيما يشاهدونه من الدلائل والمعجزات، إلا كالبهائم التي هي مثلٌ في الغفلة، بل هم أضل سبيلاً، أي بل هم أبشع حالاً، وأسوأ مآلاً من البهائم والدواب، لما أنها تنقاد لصاحبها الذي يعلفها، وتعرف من يُحسن إليها، وتطلب ما ينفعها، وتجتنب ما يضرها، وهم لا ينقادون لربهم، ولا يعرفون إحسانه إليهم، فهم أقل من الحيوانات"[3]، ولهذا حذَّر الله رسوله الكريم ﷺ من إتباع أهواء الكافرين من اليهود والنصارى فقال سبحانه: ﴿**...وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ**﴾[4]، فقد دلت الآية الكريمة على أن اتباع الهوى من أعظم الأسباب لفقدان ولاية الله ونصرته، فعلى الإنسان أن يحذر من سوء عاقبة اتباع الهوى التي تفقده نصرة الله وحفظه وولايته، قال تعالى: ﴿**إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكِّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾[5]، ولذلك فإن على أبناء الأمة إن أرادوا من الله تعالى ولاية ونصرا، وليس لهم ذلك إلا منه –سبحانه– أن يسلكوا طريق الهداية، وأن يهجروا طريق الضلال والأهواء حتى يتحقق لهم النصر والخلاص.

ولذا فإن على المرء أن يجعل هواه وإرادته موافقة لشريعة الله وإرادته الدينية، التي هي محل الابتلاء والتكليف، والتي هي مناط الحساب والجزاء لقوله ﷻ: ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**﴾[6].

---

(1) في ظلال القرآن – سيد قطب – 2566/5.

(2) سورة الفرقان – الآية 44.

(3) المقتطف من عيون التفاسير – للمنصوري – 25/4–26.

(4) سورة البقرة – الآية 120.

(5) سورة آل عمران – الآية 160.

(6) سورة النازعات – الآية 40، 41.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث

أنـواع الإرادة الإنـسانـية

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: الإرادة الإنسانية الأخروية.
- المبحث الثاني: الإرادة الإنسانية الدنيوية.
- المبحث الثالث: الإرادة الإنسانية العامة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

الإرادة الإنسانية الأخروية

ويشتمل على أربعة مطالب:

- المطلب الأول: إرادة الله ورسوله والدار الآخرة.
- المطلب الثاني: إرادة التذَّكُر والشكر.
- المطلب الثالث: إرادة العِزَّة.
- المطلب الرابع: إرادة الهداية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

الإرادة الإنسانية الأخروية

بين يدي المبحث:

ينبغي على الإنسان أن يصرف همه وإرادته إلى الدار الآخرة، ولا يكون أكبر همه وقصده حطام الدنيا ومتاعها إذ إن من أراد الآخرة وآثرها على الدنيا جمع الله له خير الدنيا والآخرة والسعادة في الدارين لقوله ﷻ: ﴿**فَآتَاهُمُ اللّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[1]، فإنهم لما أرادوا الآخرة وعملوا لها جمع الله لهم بين خير الدنيا وسعادة الآخرة، وفي هذا يقول معاذ بن جبل ﷺ: "يا ابن آدم أنت محتاج إلى نصيبك من الدنيا، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج، فإن بدأت بنصيبك من الآخرة مرَّ بنصيبك من الدنيا، فانتظمها انتظاماً، وإن بدأت بنصيبك من الدنيا فاتك نصيبك من الآخرة، وأنت من الدنيا على خطر"[2]، ودليل ذلك ما رواه الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال: **(من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرَّق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلى ما كتب له)**[3]، وأصل ذلك هو قوله ﷻ: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**﴾[4]، فنسأل الله أن يوفقنا وسائر إخواننا، وجميع المسلمين لما يحبه ويرضاه من القول والعمل.

المطلب الأول: إرادة الله ورسوله والدار الآخرة

إن إرادة الله ورسوله أسمى المطالب والمقاصد التي يرجوها الإنسان، وهي الفاصل بين أهل الكفر وأهل الإيمان، ولعظم هذه الإرادة فقد أمر الله رسوله الكريم بأن يخير أزواجه بين إراة الله ورسوله وإرادة الدنيا وزينتها، قال ﷻ: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾[5]، قال المفسرون في سبب نزول

---

(1) سورة آل عمران – الآية 148.

(2) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية – لابن تيمية – ص175.

(3) سنن الترمذي – كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله (35)– باب منه (30)– ص556 – حديث رقم 2465 – قال الألباني: صحيح.

(4) سورة الذاريات – الآيات 56، 58.

(5) سورة الأحزاب – الآيتان 28، 29.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذه الآيات: "أن أزواج النبي ﷺ سألنه شيئاً من عرض الدنيا وطلبن منه الزيادة في النفقة، وآذينه بغيرة بعضهن على بعض، فآلى رسول الله ﷺ منهنَّ شهراً، فأنزل الله آية التخيير هذه، وكنَّ يومئذٍ تسعاً: عائشة، وحفصة، وأم سلمة، وأم حبيبة، وسودة هؤلاء من نساء قريش، وصفية الخيرية، وميمونة الهلالية، وزينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية"[1]، فأنزل الله هذه الآية يأمر نبيه ﷺ بتخيير نساءه بين أن يفارقهن، فيذهبن إلى غيره ممن يحصل لهنَّ عنده الحياة الدنيا وزينتها، وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال، ولهنَّ عند الله في ذلك الثواب الجزيل[2]: "فالمعنى: إن كنتن تؤثرن ما يُرضي الله، ويحبه رسوله، وخير الدار الآخرة، فتخترن ذلك على ما يشغل عن ذلك، كما دلت عليه مقابلة إرادة الله ورسوله والدار الآخرة بإرادة الحياة الدنيا وزينتها، فإن المقابلة تقتضي إرادتين يجمع بين إحداهما وبين الأخرى، فإن التعلق بالدنيا يستدعي الاشتغال بأشياء كثيرة من شؤون الدنيا لا محيص أن تلهي صاحبها عن الاشتغال بأشياء عظيمة من شؤون ما يرضى الله وما يرضى رسوله ﷺ وعن التملي من أعمال كثيرة مما يُكسب الفوز في الآخرة فإن الله يحب أن ترتقي النفس الإنسانية إلى مراتب الملكية"[3].

فقد اختار النبي ﷺ لنفسه ولأهل بيته معيشة الكفاف، ليس عجزاً عن حياة المتاع، فقد عاش حتى فتحت له الأرض، وكثرت عليه غنائمها، وعمَّ فيؤها، واغتنى من لم يكن له من قبل مال ولا زاد، ومع هذا فقد كان الشهر يمضي ولا يوقد في بيوته نار، مع جوده بالصدقات والهبات والهدايا، ولكن ذلك كان اختياراً للاستعلاء على متاع الحياة الدنيا، ورغبة خالصة فيما عند الله، ولكنَّ نساءه ﷺ كنَّ نساءً من البشر، لهنَّ مشاعر البشر، وعلى فضلهن وكرامتهنَّ وقُربُهنَّ من ينابيع النبوة الكريمة، فإن الرغبة الطبيعية في متاع الحياة ظلَّت حيَّة في نفوسهم، فلما أن رأين السعة والرخاء بعد ما أفاض الله على رسوله وعلى المؤمنين راجعن النبي ﷺ في أمر النفقة، فلم يستقبل هذه المراجعة بالترحيب، إنما استقبلها بالأسى وعدم الرضا، إذ كانت نفسه ترغب أن تعيش فيما اختاره لها من طلاقة وارتفاع ورضا؛ متجردة من الانشغال بمثل ذلك الأمر والاحتفال به أدنى احتفال؛ وأن تظل حياته وحياة من يلوذون به على ذلك الأفق السامي الوضيء المبَّرأ من كل ظل لهذه الدنيا وأوشابها، روى البخاري بسنده عن عائشة –رضي الله عنها– **(أن رسول الله ﷺ جاءها حين أمره الله أن يخيِّر أزواجه، فبدأ بي رسول الله ﷺ فقال إني ذاكرُ لك أمراً فلا عليك أن لا تستعجلي حتى**

(1) فتح القدير – للشوكاني – 333/4.

(2) انظر: أسباب النزول – للسيوطي – ص327.

(3) تفسير التحرير والتنوير – ابن عاشور – مج10 – 317/21.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تستأمري أبويك، وقد علم أن أبويَّ لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: إن الله قال: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ) إلى تمام الآيتين فقلت له ففي أي هذا أستأمر أبويَّ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة)[1].

ويعلِّق صاحب الظلال على قصة التخيير هذه فيقول: "لقد جاء القرآن الكريم ليحدد القيم الأساسية في تصوُّر الإسلام للحياة، هذه القيم التي ينبغي أن تجد ترجمتها الحيَّة في بيت النبيﷺ وحياته الخاصة، وأن تتحقق في أدق صورة وأوضحها في هذا البيت الذي كان وسيبقى منارة للمسلمين وللإسلام حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ونزلت آيتا التخيير تحددان الطريق، فإما الحياة الدنيا وزينتها، وإما الله ورسوله والدار الآخرة، فالقلب الواحد لا يسع تصوُّرين للحياة، وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه، وقد كانت نساء النبي ﷺ قد قلن: والله لا نسأل رسول الله ﷺ بعد هذا المجلس ما ليس عنده، فنزل القرآن ليقر أصل القضية فليست المسألة أن يكون عنده أو لا يكون، إنما المسألة هي اختيار الله ورسوله والدار الآخرة كُلِّية، أو اختيار الزينة والمتاع، سواء كانت خزائن الله كلها تحت أيديهن، أم كانت بيوتهنَّ خاوية من الزاد، وقد اخترن الله ورسوله والدار الآخرة اختياراً مطلقاً بعد هذا التخيير الحاسم، وكنَّ حيث تؤهلهنَّ مكانتهنَّ من رسول الله ﷺ وفي ذلك الأفق العالي الكريم اللائق ببيت الرسول العظيم"[2].

ولعظم إرادة الله تعالى فقد أمر الله نبيه ﷺ بالصبر مع ضعفاء المسلمين، وعدم طردهم إرضاءً لأهل الجاه والسلطان، قال تعالى: ﴿**وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾[3]، ففي هذه الآية الكريمة ينهى الله ﷻ رسوله عن طرد ضعفاء المسلمين وفقرائهم الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، ويأمره ﷻ في آية أخرى بأن يصبر نفسه معهم، وأن لا تعدو عيناه عنهم إلى أهل الجاه والسلطان والمنزلة في الدنيا حيث يقول: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**﴾[4]، يقول صاحب الظلال عند تفسير الآية: "ولقد كان أصل القصة أن جماعة من أشراف العرب، أنفوا أن يستجيبوا إلى دعوة الإسلام؛ لأن محمداً ﷺ يؤوي إليه الفقراء

---

(1) صحيح البخاري – كتاب تفسير القرآن (65) – باب قوله: (يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً) (4) – 279/3 – حديث رقم 4785.

(2) في ظلال القرآن – لسيد قطب – 2855/5.

(3) سورة الأنعام – الآية 52.

(4) سورة الكهف – الآية 28.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الضعاف، من أمثال صهيب وبلال وعمار وخباب وسلمان وابن مسعود.، وعليهم جباب تفوح منها رائحة العرق لفقرهم؛ ومكانتهم الاجتماعية لا تؤهلهم لأن يجلس معهم سادات قريش في مجلس واحد، فطلب هؤلاء الكبراء من رسول الله ﷺ أن يطردهم عنه ..، فأبى ..، فاقترحوا أن يخصص لهم مجلساً ويخصص للأشراف مجلساً آخر، لا يكون فيه هؤلاء الفقراء الضعاف، كي يظل للسادة امتيازهم واختصاصهم ومهابتهم في المجتمع الجاهلي، فهمَّ ﷺ رغبةً في إسلامهم أن يستجيب لهم في هذه، فجاء أمر ربه: (وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ...)"[1].

روى مسلم في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: **(كنا مع النبي ﷺ ستة نفرٍ فقال المشركون للنبي ﷺ اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدَّث نفسه، فأنزل الله عز وجل: "وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ")**[2]، أي: لا تطرد هؤلاء الذين أخلصوا نفوسهم لله؛ فاتجهوا لعبادته ودعائه في الصباح والمساء؛ يريدون وجهه ﷻ، ولا يبتغون إلا وجهه ورضاه، يقول ابن عاشور: "وجملة (يريدون وجهه) حال من الضمير المرفوع في (يدعون) أي: يدعون مخلصين يريدون وجه الله، أي: لا يريدون حظاً دنيوياً..، والوجه هنا مستعار للذات على اعتبار مضاف، أي يريدون رضى الله، أي: لا يريدون إرضاء غيره، ومنه قوله ﷻ: ﴿**إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُورًا**﴾[3]"[4].

المطلب الثاني: إرادة التذكر والشكر

إن إرادة شكر الله ﷻ وتذكُّر نعمته هي الغاية التي خُلق لها الإنسان، والتي لأجلها جعل الله له السمع والبصر والفؤاد كما قال: ﴿**وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[5]، فشكر الله ﷻ هي الغاية من خلق الإنسان؛ ولذا جعل الله ما في هذا الكون من مخلوقات آيات دالة على وحدانيته ﷻ فيذكره الذاكرون ويشكره الشاكرون، قال ﷻ: ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاء بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا**

---

(1) في ظلال القرآن – سيد قطب – 1100/2.

(2) صحيح مسلم – كتاب فضائل الصحابة (44) – باب في فضل سعد بن أبي وقاص ﷺ (5) – ص1203 – حديث رقم 6135.

(3) سورة الإنسان – الآية 9.

(4) تفسير التحرير والتنوير – مج4 – 247/7.

(5) سورة النحل – الآية 78.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَقَمَرًا مُّنِيرًا * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾[1]، ففي هذه الآيات يُمجِّد الله ﷻ نفسه ويُعظِّمها على جميل ما خلق في الكون من الظواهر والآيات التي أنعم بها على الناس؛ ليتذكر من أراد أن يتذكر، ويشكر من أراد شكوراً، يقول الطبري: "وقوله (لمن أراد أن يذكر) يقول ﷻ ذكره: جعل الليل والنهار، وخلوف كل واحد منهما الآخر حجة وآية لمن أراد أن يذكر أمر ربه، فينيب إلى الحق (أو أراد شكوراً) أو أراد شكر نعمة الله التي أنعمها عليه في اختلاف الليل والنهار"[2]، ويقول ابن كثير: "جعلهما يتعاقبان، توقيتاً لعبادة عباده له، فمن فاته عمل في الليل استدركه في النهار، ومن فاته عملٌ في النهار استدركه في الليل، وقد جاء في الحديث الصحيح: **(إن الله ﷻ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل)**[3]..، وعن الحسن أن عمر بن الخطاب أطال صلاة الضحى، فقيل له: صنعت اليوم شيئاً لم تكن صنعته؟ فقال: إنه بقي عليَّ من وردي شيء، فأحببت أن أتمه – أو قال: أقضيه – وتلا هذه الآية: **(وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا)**"[4]، فمعنى الآية الكريمة: "لينظر في اختلافهما المتفكر فيعلم أن لا بدَّ لانتقالهما من حال إلى حال مؤثر حكيم، فيستدل بذلك على توحيد الخالق، ويعلم أنه عظيم القدرة، فيوقن بأنه لا يستحق غيره الألهية، وليشكر الشاكر على ما في اختلاف الليل والنهار من نعم عظيمة منها ما ذكر في قوله ﷻ: ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا**﴾[5]، فيكثر الشاكرون على اختلاف أحوالهم ومناسباتهم، وتفيد معنى: "ليتدارك الناسي ما فاته في الليل بسبب غلبة النوم أو التعب، فيقضيه في النهار أو ما شغله عنه شواغل العمل في النهار، فيقضيه بالليل عند التفرُّغ، فلا يرزؤه ذلك ثواب أعماله .، وجيء في جانب المتذكرين بقوله (أن يذكر) لدلالة المضارع على التجدد، واقتصر في جانب الشاكرين على المصدر بقوله (أو أراد شكوراً) لأن الشكر يحصل دفعة واحدة، ولأجل الاختلاف بين النظمين أعيد فعل (أراد) إذ لا يلتئم عطف شكوراً على أن يذكر"[6]، وفي هذا يقول الميداني: "وإن تداول الليل والنهار على الأرض يحقق منافع كثيرة للأحياء عليها، وهي من آثار رحمة المدبر الخالق، أفلا يجب على المتفكرين بعد أن يدركوا كلَّ هذا أن يؤمنوا بأن

---

(1) سورة الفرقان – الآيتان 61، 62.

(2) جامع البيان – 6157/8.

(3) صحيح مسلم – كتاب التوبة (49) – باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة (5) – ص1352 – حديث رقم 6883.

(4) تفسير القرآن العظيم – 20/6.

(5) سورة الفرقان – الآية 47.

(6) تفسير التحرير والتنوير – ابن عاشور – مج9 – 66/19.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الله الخالق هو الرحمن الرحيم؟ فمن أراد أن يستفيد من دلالات آيات الله في كونه جعل هذه الآيات متحركة بتداول في ذاكرته، لتكون هادية له إلى الإيمان بصفات الله العليم الحكيم العزيز القدير الرحمن الرحيم، ودافعةً له إلى الإسلام له، والخضوع لجلاله وطاعته، وعبادته وحده لا يشرك بعبادته أحداً، ومن أراد أن يكون شاكراً لأنعم الله استفاد من آيات الله في كونه الدالات على رحمته بعباده، وعنايته بهم، وإنعامه عليهم، فدفعه التفكر فيها إلى القيام بما يُعبِّرُ به عن شكره لربه على نعمه الكثيرة التي لا يستطيع إحصاءها"[1].

المطلب الثالث: إرادة العِزَّة

يسعى الإنسان في هذه الحياة الدنيا لأن يعيش عزيزاً مكرَّماً، ولذا فهو يبذل كل ما في وسعه وطاقته ليعيش معزَّزاً كريماً في مجتمعه، وبين أهله وعشيرته بعيداً عن حياة الذل والإهانة، ولذا فقد أرشد الله ﷻ الإنسان في كتابه العزيز الذي أنزله تبياناً لكل شيء إلى سبيل العزة وطريق الحصول عليها، فقال ﷻ: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ**﴾[2]، "يبين جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن من كان يريد العزة فإن جميعها لله وحده، فليطلبها منه وليتسبب لنيلها بطاعته جل وعلا، فإن من أطاعه أعطاه العزَّة في الدنيا والآخرة، أما الذين يعبدون الأصنام لينالوا العزة بعبادتها، والذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، يبتغون عندهم العزة فإنهم في ضلال وعمى عن الحق، لأنهم يطلبون العزة من محل الذل، وهذا المعنى الذي دلت عليه هذه الآية الكريمة جاء موضحاً في آيات من كتاب الله كقوله ﷻ: ﴿**وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا * كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا**﴾[3]، وقوله ﷻ: ﴿**الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعًا**﴾[4]"[5]، يقول الطبري: "اختلف أهل التأويل في معنى قوله (مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا) فقال بعضهم: معنى ذلك: من كان يريد العزَّة بعبادة الآلهة والأوثان فإن العزة لله جميعاً..، وقال آخرون: معنى ذلك من كان يريد العِزَّة فبالله فليتعزَّز، فلله العزَّة جميعاً، دون كل ما دونه من الآلهة والأوثان ..، وقال آخرون: معنى ذلك: من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله ..، وقال آخرون: بل معنى ذلك: من كان يريد علم العزة لمن

---

(1) معارج التفكر ودقائق التدبر – 599/6.

(2) سورة فاطر – الآية 10.

(3) سورة مريم – الآيتان 81، 82.

(4) سورة النساء – الآية 139.

(5) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – للشنقيطي – 638/6.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هي، فإنه لله جميعاً كلها أي: كل وجه من العزة فلله، والذي هو أولى الأقوال بالصواب قول من قال: من كان يريد العزة فبالله فليتعزز، فلله العزة جميعاً، دون كل ما دونه من الآلهة والأوثان"[1]، ثم بيَّن الطبري سبب اختياره لهذا القول فيقول: "وإنما قلت: ذلك أولى بالصواب لأن الآيات التي قبل هذه الآية جرت بتقريع الله المشركين على عبادتهم الأوثان، وتوبيخه إياهم، ووعيده لهم عليها، فأولى بهذه أيضاً أن تكون من جنس الحث على فراق ذلك، فكانت قصتها شبيهة بقصتها، وكانت في سياقها"[2]، وفي هذا يقول ابن عاشور: "وقد كان أعظم غرور المشركين في شركهم ناشئاً عن قبول تعاليم كبرائهم وسادتهم، وكان أعظم دواعي القادة إلى تضليل دهمائهم وصنائعهم، هو ما يجدونه من العِزَّة والافتتان بحب الرئاسة، فالقادة يجلبون العِزَّة لأنفسهم، والأتباعُ يعتزُّون بقوة قادتهم، لا جرم كانت إرادة العِزَّة ملاك تكاتف المشركين بعضهم مع بعض؛ وتألبهم على مناوأة الإسلام، فوجِّه الخطاب إليهم لكشف اغترارهم بطلبهم العِزَّة في الدنيا، فكل مستمسك بحبل الشرك معرض عن التأمل في دعوة الإسلام، لا يُمسِّكه بذلك إلا إرادة العزة، فلذلك نادى عليهم القرآن بأن من كان ذلك صارفه عن الدين الحق فليعلم بأن العزة الحق في إتباع الإسلام وأن ما هم فيه من العِزَّة كالعدم"[3]، فقد كان المشركون يشركون استبقاء لمكانتهم الدينية في مكة، وما يقوم عليها من سيادة لقريش على القبائل بحكم العقيدة، وما تحققه هذه السيادة من مغانم متعددة الألوان، والتي منها العزة والمنعة بطبيعة الحال مما جعلهم يقولون للنبي ﷺ ﴿...**إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا...**﴾[4]، ولذا قال الله لهم: (مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا)، "فهذه الحقيقة كفيلة حين تستقر في القلوب أن تبدل المعايير كلها، وتبدل الوسائل والخطط أيضاً..، إنها حقيقة أساسية من حقائق العقيدة الإسلامية، وهي حقيقة كفيلة بتعديل القيم والموازين، وتعديل الحكم والتقدير، وتعديل النهج والسلوك، وتعديل الوسائل والأسباب! ويكفي أن تستقر هذه الحقيقة وحدها في أي قلب لتقف به أمام الدنيا كلها عزيزاً كريماً ثابتاً في وقفته غير مزعزع، عارفاً طريقه إلى العِزَّة، طريقه الذي ليس هناك سواه"[5]، ولذا ذكر ﷻ بعد هذه الحقيقة الضخمة الكلم الطيب والعمل الصالح: (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) ولهذا التعقيب المباشر بعد ذكر هذه الحقيقة مغزاه وإيحاؤه، "فهو إشارة إلى أسباب العزة ووسائلها لمن يطلبها عند الله، القول الطيب والعمل الصالح، القول الطيب الذي يصعد إلى الله في علاه؛

---

(1) جامع البيان – 6782/8.

(2) المرجع السابق – 6783/8.

(3) تفسير التحرير والتنوير – مج11 – 269/22.

(4) سورة القصص – الآية 57.

(5) في ظلال القرآن – سيد قطب – 2930/5.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والعمل الصالح الذي يرفعه الله إليه ويكرمه بهذا الارتفاع، ومن ثم يكرم صاحبه ويمنحه العزة والاستعلاء"[1].

ولذا فإن على أبناء الإسلام اليوم أن يرجعوا إلى دينهم، وأن يتعزَّزوا بإيمانهم بالله ﷻ وطاعته فإن عزة المشركين يعقبها ذُلَّ الانهزام والقتل والأسر في الدنيا وذُلَّ الخزي والعذاب في الآخرة، أما عزة المؤمنين فإنها في تزايدٍ في الدنيا ولها درجات الكمال في الآخرة[2].

المطلب الرابع: إرادة الهداية

إن أفضل ما يقدر الله لعبده وأجل ما يقسمه له الهدى، وإن أعظم ما يبتليه به ويقدره عليه هو الضلال؛ ولذا فإن كل نعمة فهي دون نعمة الهداية، وكل مصيبة فهي دون مصيبة الضلال، "وقد اتفقت رسل الله –عليهم السلام– من أولهم إلى آخرهم وكتبه المنزلة عليهم على أنه ﷻ يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وأن من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأن الهدى والإضلال بيده ﷻ لا بيد العبد وأن العبد هو الضال أو المهتدى فالهداية والإضلال فعله ﷻ وقدره والاهتداء والضلال فعل العبد وكسبه"[3]، قال ﷻ: ﴿**مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا**﴾[4]، ولذا أنكر ﷻ على الذين يريدون أن يهدوا من أضل الله حيث يقول: ﴿**فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُواْ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ اللّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً**﴾[5]، ينكر الله ﷻ في هذه الآية على المؤمنين اختلافهم في المنافقين على قولين، فقد روى الطبري عن زيد بن ثابت: "أن النبي ﷺ لمّا خرج إلى أحد، رجعت طائفة ممن كان معه، فكان أصحاب النبي ﷺ فيهم فرقتين، فرقة تقول: (نقتلهم)، وفرقة تقول: (لا) فنزلت هذه الآية: (فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُواْ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ) الآية فقال رسول الله ﷺ في المدينة إنها طيبة، وإنها تنفي خبثها كما تنفي النار خبث الفضة"[6]، فقوله ﷻ: (أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ اللّهُ)، "توبيخ للفئة القائلة بإيمان أولئك المنافقين على زعمهم ذلك، وإشعار بأن يؤدي إلى محاولة المحال الذي هو هداية من أضله الله ﷻ، وذلك لأن الحكم بإيمانهم وادعاء اهتدائهم مع أنهم بمعزل عن ذلك سعي في هدايتهم وإرادة لها، فالمراد بالموصول المنافقون إلا أن وُضِع موضع ضميرهم

---

(1) في ظلال القرآن – سيد قطب – 2930/5.

(2) انظر: تفسير التحرير والتنوير – ابن عاشور – مج11 – 271/22.

(3) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل – لابن القيم – ص149.

(4) سورة الكهف – الآية 17.

(5) سورة النساء – الآية 88.

(6) جامع البيان – 2438/3.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لتشديد الإنكار، وتأكيد استحالة الهداية بما ذكر في حيِّز الصلة..، وتوجيه الإنكار إلى الإرادة دون متعلقها للمبالغة في إنكاره ببيان أن إرادته مما لا يمكن فضلاً عن امكان نفسه"[1].

يقول الشنقيطي: "أنكر ﷻ في هذه الآية الكريمة على من أراد أن يهدي من أضله الله، وصرَّح فيها بأن من أضله الله لا يوجد سبيل إلى هداه، وأوضح هذا المعنى في آيات كثيرة كقوله: ﴿...**وَمَن يُرِدِ اللّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللّهِ شَيْئًا أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[2]، وقوله: ﴿**مَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ...**﴾[3]، ويؤخذ من هذه الآيات أن العبد ينبغي له كثرة التضرع والابتهال إلى الله ﷻ أن يهديه ولا يضله، فإن من هداه الله لا يضل، ومن أضله لا هادي له، ولذا ذكر عن الراسخين في العلم أنهم يقولون: ﴿**رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا...**﴾[4]"[5].

هذا وقد ذكر ابن القيم –رحمه الله– أربعة مراتب للهداية وهي:

المرتبة الأولى: الهدى العام وقد ورد ذلك في قوله ﷻ: ﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى**﴾[6]، وهو هداية كل نفس إلى مصالح معاشها وما يقيمها وهذا أعم مراتبه، المرتبة الثانية: الهدى بمعنى البيان والدلالة والتعليم والدعوة إلى مصالح العباد في معادهم وهذا خاص بالمكلفين، قال ﷻ: ﴿**وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى...**﴾[7]، فهذه هي هداية البيان والإرشاد التي أثبتها الله ﷻ لرسوله فقال: ﴿**وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾[8]، ونفى عنه تلك الهداية الموجبة وهي هداية التوفيق والإلهام بقوله: ﴿**إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ**﴾[9]، وهي المرتبة الثالثة من مراتب الهداية التي ليس لأحد غير الله ﷻ سبيل إلى تحقيقها لقوله: ﴿**إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ**﴾[10]، فهذا صريح في أن هذا الهدى ليس له ﷺ ولو حرص عليه، ولا لأحد غيره إلا الله، أما المرتبة الرابعة من مراتب الهداية فهي الهداية يوم المعاد إلى طريق الجنة والنار

---

(1) روح المعاني – للألوسي – مج2 – 108/5.

(2) سورة المائدة – الآية 41.

(3) سورة الأعراف – الآية 186.

(4) سورة آل عمران – الآية 8.

(5) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – 295/1.

(6) سورة الأعلى – الآيات 1–3.

(7) سورة فصلت – الآية 17.

(8) سورة الشورى – الآية 52.

(9) سورة القصص – الآية 56.

(10) سورة النحل – الآية 37.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال ﷻ في شأن الكفار: ﴿**احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِن دُونِ اللَّـهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ**﴾[1]، وقال في شأن أهل الإيمان: ﴿**وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ**﴾[2]،[3].

ولذا فإن حجة الله ﷻ قائمة على خلقه بتخليته بينهم وبين الهدى وبيان الرسل لهم، وإراءتهم الصراط المستقيم وإقامة أسباب الهداية لهم لقوله: ﴿**وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾[4]، فهداهم هدى البيان والدلالة فلم يهتدوا فأضلهم عقوبة لهم على ترك الاهتداء، فإنهم لما عرفوا الهدى وأعرضوا عنه أعماهم عنه بعد أن أراهموه، وهذا شأنه ﷻ في كل من أنعم عليه بنعمة فكفرها، فإنه يسلبه إياها بعد أن كانت حظه ونصيبه[5].

---

(1) سورة الصافات – الآيتان 22، 23.

(2) سورة محمد – الآيات 4–6.

(3) انظر: شفاء العليل – لابن القيم – ص149.

(4) سورة التوبة – الآية 115.

(5) انظر: شفاء العليل – لابن القيم – ص174.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

الإرادة الإنسانية الدنيوية

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: إرادة تحقيق المنفعة.
- المطلب الثاني: إرادة الطعام.
- المطلب الثالث: إرادة العلو في الأرض.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

الإرادة الإنسانية الدنيوية

بين يدي المبحث

وإذا كان للإنسان إرادة أخروية فإن له إرادة دنيوية كما أخبر تبارك وتعالى: ﴿...مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ...﴾[1]، وفي هذا المبحث سنتحدث عن إرادة الإنسان الدنيوية، وذلك في المطالب الآتية.

المطلب الأول: إرادة تحقيق المنفعة

إن من أفضل أعمال الخير التي يقوم بها المرء هو أن يقدم النفع لغيره من المسلمين، وذلك بمساعدتهم وقضاء حوائجهم وإدخال السرور عليهم كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ قال: (**أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم...**)[2]، هذا وقد تمثلت إرادة تحقيق المنفعة في العبد الصالح الخضر حين اصطحب سيدنا موسى عليه السلام معه ليتعلم منه، فقام بثلاثة أفعال في رحلته مع موسى كان ظاهرها الفساد وباطنها الخير والصلاح، يقول ﷻ على لسان الخضر عليه السلام: ﴿**أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا**﴾[3]، "فهذا تفسير ما أشكل على موسى عليه السلام، وما كان أنكر ظاهره، وقد أظهر الله الخضر عليه السلام على حكمة باطنة، فقال: إن السفينة إنما خرقتها لأعيبها، لأنهم كانوا يمرون بها على ملك من الظلمة (يأخذ كل سفينة) صالحة أي جيدة (غصباً فأردت أن أعيبها) لأرده عنها لعيبها، فينتفع بها أصحابها المساكين الذين لم يكن لهم شيء ينتفعون به غيرها، وقد قيل إنهم أيتام"[4].

فقوله ﷻ: (فأردت أن أعيبها) مقدمة عن تأخير؛ لأن سبب إرادة عيبها أن ورائهم ملكاً يأخذ كل سفينة صالحة غصباً، والسبب مقدم على المسبب، ولكنه قدَّم هنا إرادة العيب على سببها؛ لأن إرادة العيب هي سبب لمنع الغصب قدمت عليه، إذ هذا العيب يحمي هؤلاء المساكين وسفينتهم من الغصب، إذ يراها ليست مما يُرغب فيه، فيمتنع عن غصبها لا كراهية

---

(1) سورة آل عمران – الآية 152.

(2) المعجم الأوسط – للطبراني – باب الميم من اسمه محمد – 293/4 – حديث رقم 6026 – قال محمد الشافعي: إسناده ضعيف.

(3) سورة الكهف – الآية 79.

(4) تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – 111/5.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للغصب في ذاته، ولكن استحقاراً لها بعد هذا العيب[1]، يقول ابن عاشور: "وجملة (فأردت أن أعيبها) متفرعة على كل من جملتي (فكانت لمساكين) و (كان وراءهم ملك)، فكان حقها التأخير عن كلتا الجملتين بحسب الظاهر، ولكنها قدِّمت خلافاً لمقتضى الظاهر زيادة في تشويق موسى إلى علم تأويله، لأن كون السفينتين لمساكين مما يزيد السامع تعجباً في الإقدام على خرقها، والمعنى فأردت أن أعيبها وقد فعلت، وإنما لم يقل: فعبتها؛ ليدل على أن فعله وقع عن قصد وتأمل وقد تطلق الإرادة على القصد أيضاً"[2]، فقد كان قصد العبد الصالح الخضر عليه السلام هو إرادة المنفعة لأصحاب السفينة، فقد كانوا مساكين يعملون في البحر، فخرقها ليعيبها حتى لا يأخذها الملك، فالعيب يمكن إصلاحه، ولكن المهم هو إنقاذ السفينة من اغتصاب المغتصب، وهذه هي الحكمة التي خفيت على موسى عليه السلام فأنكر على الخضر فعله فقال: ﴿**...أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا**﴾[3]، ولذا فإن على المؤمن أن يرض بقضاء الله، فإن هناك أموراً يكون ظاهرها الشر بادي الأمر، ولكنها في حقيقتها خيرٌ وفير كما قال ﷻ: ﴿**...وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾[4].

المطلب الثاني: إرادة الطعام

إن الطعام والشراب أمرٌ ضروري لحياة الإنسان فلا يستطيع الإنسان العيش بدونه؛ ولذا فقد امتن الله ﷻ على أهل قريش بأن أطعمهم من جوع فقال ﷻ: ﴿**فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ* الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ**﴾[5]، ولكن يجب على الإنسان أمام نعم الله ﷻ وآلائه عليه أن لا يطغى وأن يقتصد في كل شيء لقوله ﷻ: ﴿**...وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ...**﴾[6]، فهذه الآية هي دعوة للتوسط في الأكل والشرب وذلك بعدم الإسراف، وهذا هو منهج أمة محمد ﷺ في الأمور كلها: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا...**﴾[7]، وقد تمثلت إرادة الطعام في الحواريين أصحاب عيسى عليه السلام، حين طلبوا منه أن يدعو الله بأن يُنزِّل عليهم مائدة من السماء ليأكلوا منها، وتكون آية شاهدة لهم على صدق عيسى عليه السلام، قال ﷻ: ﴿**إِذْ قَالَ**

---

(1) انظر: زهرة التفاسير – محمد أبو زهرة – 4568/9.

(2) تفسير التحرير والتنوير – مج8 – 12/16.

(3) سورة الكهف – الآية 71.

(4) سورة البقرة – الآية 216.

(5) سورة قريش – الآيتان – 3، 4.

(6) سورة الأعراف – الآية 31.

(7) سورة البقرة – الآية 143.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء قَالَ اتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[1]، يقول ابن كثير: "هذه قصة المائدة وإليها تنسب السورة، فيقال سورة المائدة، وهي مما امتن الله به على عبده ورسوله عيسى لما أجاب دعاءه بنزولها، فأنزلها الله آية باهرة، وحجة قاطعة، وقد ذكر بعض الأئمة أن قصتها ليست مذكورة في الإنجيل، ولا يعرفها النصارى إلا من المسلمين فالله أعلم، فقوله ﷻ: (إذ قال الحواريون) هم أتباع عيسى عليه السلام (يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك) هذه قراءة كثيرين، وقرأ آخرون (هل تستطيعُ ربَّك)[2] وذكر بعضهم أنهم إنما سألوا ذلك لحاجتهم وفقرهم، فسألوه أن ينزل عليهم مائدة كل يوم يقتاتون منها، ويتقوون بها على العبادة (قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين) أي فأجابهم المسيح عليه السلام قائلاً لهم: اتقوا الله، ولا تسألوا هذا فعساه أن يكون فتنة لكم، وتوكلوا على الله في طلب الرزق إن كنتم مؤمنين"[3]، ولكن الحواريين بيَّنوا سبب رغبتهم في إنزال المائدة حيث قالوا (...نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين) فكان طلبهم للمائدة لأربعة فوائد كما يقول الأستاذ محمد رشيد رضا: "إحداها: إننا نريد أن نأكل منها؛ لأننا في حاجة إلى الطعام، ولا نجد ما يسد حاجتنا، وقيل المراد أكل التبرك، (الثانية) نريد أن تطمئن قلوبنا بما نؤمن به من قدرة الله بمشاهدة خرقه للعادة، (الثالثة) أن نعلم هذا النوع من العلم –أي علم المشاهدة– أن الحال والشان معك هو أنك قد صدقتنا ما وعدتنا من ثمرات الإيمان، كاستجابة الدعاء ولو بخوارق العادات، (الرابعة) أن نكون من الشاهدين على هذه الآية عند بني إسرائيل، فيؤمن المستعد للإيمان، ويزداد الذين آمنوا إيماناً – فهذا ما نراه في توجيه أقوالهم، على المختار من صحة إيمانهم"[4]، فهذا توجيه الأستاذ محمد رشيد رضا لطلبهم المائدة من عيسى عليه السلام، ولكن بني إسرائيل منذ بداية تاريخهم ومع أول رسول أُرسل إليهم سألوا الطعام والشراب حيث قالوا لموسى عليه السلام: ﴿**...لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُواْ مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ...**﴾[5]، وهذا يدل على طغيان شهوة البطن عندهم، فهم لا يصبرون على طعام واحد، ولذا سألوا

---

(1) سورة المائدة – الآيتان 112، 113.

(2) هذه قراءة الكسائي، وقرأ الباقون (هل يستطيعُ ربُك)، ووجه قراءة الكسائي (تستطيع) بالتاء، المراد هل تستطيع سؤال ربك. انظر (الحجة للقراء السبعة – لأبي علي الفارسي – 273/3).

(3) تفسير القرآن العظيم – 135/3.

(4) تفسير القرآن الحكيم – 252/7.

(5) سورة البقرة – الآية 61.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عيسى عليه السلام أن يدعو الله بأن ينزل عليهم مائدة من السماء، وكان أول مقصدهم من إنزال المائدة هو إرادة الأكل حيث قالوا: (نريد أن نأكل منها)، ولذا حذرهم الله ﷻ من الكفر بعد إنزالها بالعذاب الشديد حيث قال: ﴿...**إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ**﴾[1]، يقول الطبري: "وهذا جواب من الله ﷻ القوم فيما سألوا نبيهم عيسى مسألته ربهم من إنزال مائدة عليهم، فقال تعالى ذكره: إني منزلها عليكم أيها الحواريون فمطعمكموها (فمن يكفر بعد منكم) يقول: فمن يجحد بعد إنزالها عليكم وإطعاميكموها منكم رسالتي إليه وينكر نبوة عيسى عليه السلام ويخالف طاعتي فيما أمرته ونهيته، فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين من عالمي زمانه، ففعل القوم، فجحدوا وكفروا بعدما أنزلت عليهم فيما ذكر لنا، فعُذِّبوا فيما بلغنا بأن مسخوا قردة وخنازير"[2].

ولذا فإن من شأن المؤمن الصادق الإيمان أن لا يُجرِّب ربه ﷻ، فهو يعمل ويكسب، ولا يطلب من ربه أن يعيش بخوارق الآيات، وعلى غير السنة التي جرت عليها معايش الناس، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: "قالت قريش للنبي ﷺ ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك قال: وتفعلون؟ قالوا: نعم، فدعا فأتاه جبريل فقال: إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك: إن شئت أصبح لهم الصفا ذهباً، فمن كفر منهم بعد ذلك عذبته عذاباً لاأعذبه أحداً من العالمين، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة، قال: بل باب التوبة والرحمة، قال: يا رب باب التوبة والرحمة"[3]، وهذا من رحمته ﷺ وشفقته بأمته، حتى لا يصبها ما أصاب الأمم السابقة من العذاب.

المطلب الثالث: إرادة العلو في الأرض

لقد أمر الله ﷻ بالتواضع وعدم التكبر والاستعلاء في غير موضع من كتابه، فقال: ﴿**وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً**﴾[4]، وقال: ﴿...**إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾[5]، ولذا فقد جعل ﷻ الدار الآخرة والنعيم المقيم للذين لا يريدون الاستعلاء والتكبر والعلو في الأرض، فقال ﷻ: ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا**

---

(1) سورة المائدة – الآية 115.

(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن – 3120/4.

(3) المستدرك على الصحيحين – للحاكم النيسابوري – كتاب التفسير (27) تفسير سورة المائدة – 344/2 – قال الذهبي في التلخيص: صحيح.

(4) سورة الإسراء – الآية 37.

(5) سورة لقمان – الآية 18.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1]، ففي هذه الآية الكريمة "يخبر ﷻ أن الدار الآخرة ونعيمها المقيم الذي لا يحول ولا يزول ، جعلها لعباده المؤمنين المتواضعين، الذين لا يريدون علواً في الأرض، أي: ترفعاً على خلق الله وتعاظماً عليهم وتجبراً عليهم، ولا فساداً فيهم كما قال عكرمة: العلو التجبر، وقال سعيد بن جبير: العلو البغي، وقال سفيان بن سعيد الثوري، عن منصور، عن مسلم البطين[2]: العلو في الأرض: التكبر بغير الحق، والفساد: أخذ المال بغير حق، وقال ابن جريج: (لا يريدون علواً في الأرض) تعظماً وتجبراً، (ولا فساداً) عملاً بالمعاصي"[3]،

فقوله ﷻ (تلك الدار الآخرة) إشارة تعظيم وتفخيم إلى ما نزل لشهرته منزلة المحسوس المشاهد كأنه قيل: "تلك التي سمعت خبرها وبلغك وصفها، و(الدار) صفة لاسم الإشارة الواقع مبتدأ.، و(الآخرة) صفة للدار، والمراد بها الجنة، وخبر المبتدأ قوله ﷻ: (نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض) أي غلبة وتسلطاً (ولا فساداً) أي ظلماً وعدواناً على العباد كدأب فرعون وقارون"[4]، يقول السعدي: "لما ذكر ﷻ، قارون وما أوتي من الدنيا، وما صار إليه عاقبة أمره، وأن أهل العلم قالوا: ﴿**...ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا...**﴾[5]، رغَّب ﷻ في الدار الآخرة، فأخبر بالسبب الموصل إليها فقال: (تلك الدار الآخرة) التي أخبر الله بها في كتبه وأخبرت بها رسله، التي قد جمعت كل نعيم، واندفع عنها كل مكدر ومُنَغِص، نجعلها داراً وقراراً (للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً) أي ليس لهم إرادة، فكيف العمل للعلو في الأرض، على عباد الله، والتكبر عليهم وعلى الحق (ولا فساداً) وهذا شامل لجميع المعاصي، فإذا كانوا لا إرادة لهم في العلو في الأرض، ولا الفساد لزم من ذلك، أن تكون إرادتهم مصروفة إلى الله، وقصدهم الدار الآخرة، وحالهم التواضع لعباد الله، والانقياد للحق والعمل الصالح، وهؤلاء هم المتقون الذين لهم العاقبة الحسنى، ولهذا قال: (والعاقبة) أي: حالة الفلاح والنجاح، التي تستقر وتستمر، لمن اتقى الله ﷻ"[6].

---

(1) سورة القصص – الآية 83.

(2) هو مسلم بن أبي عمران، ويقال ابن عبد الله، كوفي، روى عن سعيد بن جبير، وابن العبيدين، وأبي صالح، وثقه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين. انظر (الجرح والتعديل – لابن أبي حاتم – 217/8).

(3) تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – 102/6.

(4) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – للألوسي – مج7 – 125/20.

(5) سورة القصص – الآية 80.

(6) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – ص574.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولذا فإن الله ﷻ لما بيَّن أن الدار الآخرة ليست لمن يريد العلو والفساد في الأرض، بل هي للمتقين بيَّن بعد ذلك ما يحصل لهم من الثواب فقال: ﴿**مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[1]،[2].

هذا وقد جعل ابن تيمية رحمه الله الناس أربعة أقسام، وذلك بعد أن ذكر قوله ﷻ: (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً) حيث قال: "فإن الناس أربعة أقسام: القسم الأول: يريدون العلو على الناس، والفساد في الأرض، وهو معصية لله، وهؤلاء الملوك والرؤساء المفسدون، كفرعون وحزبه، وهؤلاء هم شرار الخلق قال الله ﷻ: ﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**﴾[3].."، والقسم الثاني: الذين يريدون الفساد، بلا علو، كالسراق المجرمين من سفلة الناس، والقسم الثالث: يريد العلو بلا فساد، كالذين عندهم دين، يريدون أن يعلوا به على غيرهم من الناس، وأما القسم الرابع: فهم أهل الجنة: الذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً، مع أنهم قد يكونون أعلى من غيرهم كما قال ﷻ: ﴿**وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾[4]"[5]، ثم يقول رحمه الله بعد أن ذكر أقسام الناس الأربعة: "فكم ممّن يريد العلو، ولا يزيده ذلك إلا سفولاً، وكم ممن جعل من الأعلين وهو لا يريد العلو ولا الفساد، وذلك لأن إرادة العلو على الخلق ظلم، ومع أنه ظلم، فالناس يبغضون من يكون كذلك ويعادونه..."[6]،

ولذا فإن رفعة المؤمن وعلوه يكون بإيمانه بالله ﷻ كما كان شأن موسى عليه السلام حين خاطبه الله ﷻ بقوله: ﴿**قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى**﴾[7]، فهو الأعلى بإيمانه وتقواه لله ﷻ ولذا كانت العاقبة له إذ نصره الله ﷻ على فرعون الذي أراد العلو ﴿**فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى**﴾[8]، فأبطل الله كيده وكيد سحرته ﴿**فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَانقَلَبُواْ صَاغِرِينَ**﴾[9].

فإن الفلاح والنجاح الذي يستقر ويستمر هو لمن اتقى الله ﷻ، إذ العاقبة لأهل التقوى، وغيرهم –وإن حصل لهم بعض الظهور والراحة– فإنه لا يطول وقته، ويزول عن قريب كما دل عليه الحصر في الآية الكريمة، فالذين يريدون العلو والفساد في الأرض ليس لهم في

---

(1) سورة القصص – الآية 84.

(2) انظر: التفسير الكبير – للرازي – 20/25.

(3) سورة القصص – الآية 4.

(4) سورة آل عمران – الآية 139.

(5) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية – ص171.

(6) المرجع السابق – ص173.

(7) سورة طه – الآية 68.

(8) سورة النازعات – الآية 24.

(9) سورة الأعراف – الآية 119.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآخرة نصيب، ولا لهم منها نصيب[1]، فلا يغتر أبناء الإسلام اليوم بما يرونه من غلبة الكفار ودولتهم، فإن علوهم وظهورهم قريباً سيزول؛ وسيُمكِّن الله لعباده المتقين في الأرض كما مكَّن الذين آمنوا بموسى عليه السلام، وأورثهم مشارق الأرض ومغاربها بعد أن لاقوا ألوان الأذى من فرعون وملائه، قال تعالى: ﴿**وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ**﴾[2].

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – للسعدي – ص575.

(2) سورة الأعراف – الآية 137.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

الإرادة الإنسانية العامة

ويشتمل على سبعة مطالب:

- المطلب الأول: إرادة سؤال الرسول.
- المطلب الثاني: إرادة البوء بالإثم للآخرين.
- المطلب الثالث: إرادة النفي من الأرض.
- المطلب الرابع: إرادة حلول الغضب.
- المطلب الخامس: إرادة الصد عن عبادة الآباء.
- المطلب السادس: إرادة التفضل على البشر.
- المطلب السابع: إرادة إيتاء الصحف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

الإرادة الإنسانية العامة

وفي هذا المبحث نتحدث عن إرادة الإنسان العامة، وذلك في المطالب التالية:

المطلب الأول: إرادة سؤال الرسول

لقد نهى الله ﷻ في كتابه الكريم عن كثرة سؤال النبي ﷺ عن الأشياء قبل كونها، ولذا قال ﷻ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللّهُ عَنْهَا وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ * قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَافِرِينَ**﴾[1]، ومعنى ذلك: إن تسألوا عن تفصيلها بعد نزولها تبين لكم، ولا تسألوا عن الشيء قبل كونه، فلعله أن يؤدي بكم إلى الكفر، ولعله أن يُحرَّم من أجل تلك المسألة، ففي الصحيح عن النبيﷺ قال: **(إن أعظم المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يُحرَّم فحُرِّم من أجل مسألته)**[2]، ولهذا نهى الله عباده المؤمنين من التشبه بقوم موسى عليه السلام في كثرة أسئلتهم، حيث سألوا موسى أن يريهم الله جهرة كما قال ﷻ: ﴿**يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاء فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُواْ أَرِنَا اللّهِ جَهْرَةً...**﴾[3]، وسألوا موسى أن يجعل لهم إلاهاً: ﴿**قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَـهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**﴾[4]، فنهى الله عباده المؤمنين من التشبه بهم فقال ﷻ: ﴿**أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ**﴾[5]، فتأويل الكلام: "أتريدون أيها القوم أن تسألوا رسولكم من الأشياء نظير ما سأل قوم موسى من قبلكم، فتكفروا إن منعتموه في مسألتكم ما لا يجوز في حكمة الله أعطاؤكموه، أو أن تهلكوا إن كان مما يجوز في حكمته عطاؤكمون فأعطاكموه، ثم كفرتم بعد ذلك، كما هلك من كان قبلكم من الأمم التي سألت أنبياءها ما لم يكن لها مسألتها إياهم، فلما أعطيت كفرت، فعوجلت بالعقوبات لكفرها، بعد إعطاء الله إياها سؤالها"[6]، فعن ابن عباس قال: "قال رافع بن حُرَيملة ووهب بن زيد: يا

---

(1) سورة المائدة – الآيتان 101، 102.

(2) صحيح البخاري – كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (96) – باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه وقوله تعالى: (لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ) (3) – 399/4 – حديث رقم 7289،

(3) سورة النساء – الآية 153.

(4) سورة الأعراف – الآية 138.

(5) سورة البقرة – الآية 108.

(6) جامع البيان – للطبري – 637/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

محمد، ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرأه، وفجر لنا أنهاراً نتبعك ونصدقك؛ فأنزل الله من قولهم: **(أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبْلُ)**"[1]، يقول صاحب الظلال: "فهو استنكار لتشبيه بعض المؤمنين بقوم موسى في تعنتهم وطلبهم للبراهين والخوارق وإعناتهم لرسولهم كلما أمرهم بأمر أو أبلغهم بتكليف، على نحو ما حكى السياق عنهم في مواضع كثيرة..، وهو تحذير لهم من نهاية هذا الطريق، وهو الضلال، واستبدال الكفر بالإيمان، وهي النهاية التي صار إليها بنو إسرائيل، كما أنها هي النهاية التي يتمنى اليهود لو قادوا إليها المسلمين **﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ...﴾**[2]"[3].

ولذا فإن الآية الكريمة مسوقة مساق الإنكار التحذيري بدليل قوله (تريدون) قصداً للوصاية بالثقة بالله ورسوله، والتحذير من إرادة سؤال رسوله الأسئلة الكثيرة التي لا يحتاجون إليها على وجه التعنت والكفر[4].

يقول الشيخ محمد أبو زهرة: "وقوله ﷻ: (أم تريدون أن تسألوا رسولكم)، إلى آخره فيه الاستفهام متجه إلى إرادة السؤال لا إلى السؤال نفسه، وإذا كان الاستنكار للإرادة فهو للسؤال أشد لأنه إذا استنكرت الإرادة، فالأولى يكون للفعل، وإنهم ما أرادوا المشابهة بين فعلهم وفعل بني إسرائيل من قبل، وإنما نبههم الله ﷻ إلى المماثلة بقوله: (كما سئل موسى من قبل، أي مثل ما سئل موسى من قبل) وإن ذلك انحراف عن السبيل، وترك الحق، وانصراف عما يوجبه الدليل"[5].

المطلب الثاني: إرادة البوء بالإثم للآخرين

وقد تمثلت إرادة البوء بالإثم في قصة ابني آدم عليه السلام لصلبه –في قول الجمهور– وهما قابيل وهابيل، وكيف عدا أحدهما على الآخر، فقتله بغياً عليه وحسداً له، فيما وهبه الله من النعمة، وتقبل القربان الذي أخلص فيه لله عز وجل، ففاز المقتول بوضع الآثام، والدخول إلى الجنة، وخاب القاتل ورجع بالصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة، فقال ﷻ: **﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ...﴾**[6]،[7]، أي واقصص على هؤلاء البغاة الحسدة، إخوان القردة والخنازير

---

(1) تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – 183/1.

(2) سورة البقرة – الآية 109.

(3) في ظلال القرآن – سيد قطب – 102/1.

(4) انظر: تفسير التحرير والتنوير – ابن عاشور – مج1 – 666/1.

(5) زهرة التفاسير – محمد أبو زهرة – 358/1.

(6) سورة المائدة – الآية 27.

(7) انظر: تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – 50/3.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من اليهود وأمثالهم وأشباههم خبر ابني آدم عليه السلام وكان من خبرهما كما يقول ابن كثير فيما ذكره غير واحد من السلف والخلف، "أن الله تعالى قد شرع لآدم عليه السلام أن يزوج بناته من بنيه لضرورة الحال، ولكن قالوا: كان يولد في كل بطن ذكر وأنثى، فكان يزوج انثى هذا البطن لذكر البطن الآخر، وكانت أخت هابيل ذميمة، وأخت قابيل وضيئة، فأراد أن يستأثر بها على أخيه، فأبى آدم ذلك إلا أن يقربا قرباناً، فمن تقبل منه فهي له، فقربا فتقبل من هابيل ولم يتقبل من قابيل، فكان من أمرهما ما قصه الله في كتابه"[1]، ﴿**...قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ**﴾[2]، فلقد أراد هابيل أن يبوء أخوه بإثم قتله إن فعل ذلك، ويموت مظلوماً لا ظالماً، يقول ابن عطية: "وقوله: (إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك) الآية، ليست هذه بإرادة محبة وشهوة، وإنما هي تخيير في شرَّين، كما تقول العرب في الشر خيار، فالمعنى إن قتلتني وسبق بذلك قدر فاختياري أن أكون مظلوماً سينتصر الله لي في الآخرة، وتبوء معناه تمضي متحملاً وقوله (بإثمي وإثمك) قيل معناه: بإثم قتلي وسائر آثامك التي أوجبت أن لا يتقبل منك، وقيل المعنى: بإثم قتلي وإثمك في العداء علي إذ هو في العداوة وإرادة القتل آثم ولو لم ينفذ القتل، وقيل المعنى: بإثمي إن لو قاتلتك وإثم نفسي في قتالي وقتلي"[3].

وقد ذكر الطبري أوجهاً في تفسير الآية، فقال: "اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم: معناه: إني أريد أن تبوء بإثمي في قتلك، وإثمك في معصيتك الله، وغير ذلك في معاصيك، وقال آخرون: معنى ذلك: إني أريد أن تبوء بخطيئتي، فتتحمل وزرها، وإثمك في قتلك إياي"[4]، ثم قال: "والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن تأويله: إني أريد أن تنصرف بخطيئتك في قتلك إياي وذلك هو معنى قوله: (إني أريد أن تبوء بإثمي) وأما معنى (وإثمك)، فهو إثمه بغير قتله، وذلك معصيته الله جل ثناؤه في أعمال سواه، وإنما قلنا ذلك هو الصواب لإجماع أهل التأويل عليه، فإن الله عز وجل قد أخبرنا في كتابه أن كل عامل فجزاء عمله له أو عليه، وإذا كان ذلك حكمه في خلقه، فغير جائز أن يكون آثام المقتول مأخوذ بها القاتل، وإنما يؤخذ القاتل إثمه بالقتل المحرَّم وسائر آثام معاصيه التي ارتكبها بنفسه، دون ما ركبه قتيله"[5].

---

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – 50/3.

(2) سورة المائدة – الآيات 27–29.

(3) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – 179/2.

(4) جامع البيان – للطبري – 2826/4.

(5) جامع البيان – للطبري – 2827/4.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا وقد أورد الطبري –رحمه الله– سؤالاً بعد أن ذكر أوجه التفسير في الآية الكريمة حاصله: كيف أراد هابيل أن يكون على أخيه قابيل إثم قتله، وإثم نفسه، مع أن قتله له محرم؟ وأجاب بما حاصله أن هابيل أخبر عن نفسه بأنه لا يقاتل أخاه إن قاتله، بل يكف يده عنه، طالباً –إن وقع قتل– أن يكون من أخيه لا منه[1]، فهذا الكلام يتضمن موعظةً له لو اتعظ، وزجراً له لو انزجر، ولهذا قال: (إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك) أي: تتحمل إثمي وإثمك (فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين)، فعن ابن عباس قال: "خوَّفه النار فلم ينته ولم ينزجر"[2].

ولذا فإنه لما غلب على ظن المقتول أنه يريد قتله، وكان ذلك قبل إقدام القاتل على إيقاع القتل به، ولما وعظه ونصحه وزجره عن هذه الكبيرة كانت إرادة صدور الذنب من الغير في هذه الحالة ليست حراماً، بل هي عين الطاعة ومحض الإخلاص[3].

المطلب الثالث: إرادة النفي من الأرض

وقد تمثلت إرادة النفي والإخراج من الأرض في سحرة فرعون عندما اتهموا موسى وأخاه هارون عليهما السلام بالسحر حيث ﴿**قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى**﴾[4]، وذلك حين تواعد موسى عليه السلام مع فرعون إلى وقت ومكان معلومين، فتولى فرعون وجمع السحرة من كل مكان ليغلبوا موسى، فلما اجتمع السحرة أخذ موسى يحذرهم عذاب الله وعقابه ولكن السحرة لم يستجيبوا له ﴿**فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى * قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم...**﴾[5]، أي أرض مصر بالاستيلاء عليها بسحرهما الذي أظهراه من قبل، يقول ابن عادل[6]: "اعلم أنه تعالى لما ذكر ما أسروه من النجوى حكي عنهم ما أظهروه بما يدل على التنفير عن متابعة موسى، وهي أمور: أحدها: قولهم (إن هذان لساحران) وهذا طعن منهم في معجزات موسى ومبالغة في التنفير عنه، لأن كل طبع سليم ينفر عن السحر، وعن رؤية الساحر، لأن الإنسان

---

(1) انظر: جامع البيان – للطبري – 2827/4.

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – 54/3.

(3) انظر: التفسير الكبير – للرازي – 207/11.

(4) سورة طه – الآية 63.

(5) سورة طه – الآيتان 62، 63.

(6) هو عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي، أبو حفص، سراج الدين، مفسر، من تصانيفه اللباب في علوم الكتاب في تفسير القرآن. انظر (الأعلام – للزركلي – 58/5، معجم المؤلفين – عمر كحالة – 300/7).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يعلم أن السحر لا بقاء له، فإذا اعتقدوا فيه السحر قالوا: كيف نتبعه، وهو لا بقاء له ولا لدينه؟ وثانيها: قوله: (يريدان أن يخرجاكم من أرضكم) وهذه نهاية التنفير، لأن مفارقة الوطن والمنشأ شديد على القلب، وهذا كقول فرعون: تريد أن تخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى، فكأن السحرة تلقنوا هذه الشبهة من فرعون ثم أعادوها، وثالثها: قوله (ويذهبا بطريقتكم المثلى)، وهذا أيضاً له تأثير شديد على القلب، فإن العدو إذا استولى على جميع المناصب والأشياء التي يرغب فيها كذلك يكون في نهاية المشقة على القلب، قال ابن عباس: يعني براءة قومكم، وأشرافهم يقال: هؤلاء طريقة قومهم أي: أشرافهم"[1]، والذي يظهر أن الخلاف كان مستحكماً بين سحرة فرعون ولكنهم أخفوه، ولذا قالوا: ﴿**فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى**﴾[2]، فالفاء (فأجمعوا) هي للسببية، أي بسبب أنهم أرادوا بسحرهم أن يخرجاكم من أرضكم، ويذهبا بطريقتكم المثلى، فأجمعوا كيديكم، واعتزموه، وأقدموا مجتمعين غير متفرقتين، وائتوا موسى صفّاً لا خلل فيه ولا افتراق ولا تنازع[3].

يقول ابن عاشور: "والخطاب في قوله (أن يخرجاكم) لملئهم، ووجه اتهامهما بذلك هو ما تقدم عند قوله تعالى: ﴿**قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى**﴾[4]، ونزيد هنا أن يكون هذا من النجوى بين السحرة، أي يريدان الاستئثار بصناعة السحر في أرضكم فتخرجوا من الأرض بإهمال الناس لكم وإقبالهم على سحر موسى وهارون..، وأرادوا من هذا إثارة حمية بعضهم غيرة على عوائدهم، فإن لكل أمة غيرة على عوائدها، وشرائعها، وأخلاقها، ولذا فرَّعوا على ذلك أمرهم بأن يجمعوا حليهم وكل ما في وسعهم أن يغلبوا به موسى"[5].

المطلب الرابع: إرادة حلول الغضب

وقد تمثلت إرادة حلول الغضب في قوم موسى عليه السلام حين أخلفوا موعده وعبدوا العجل من دون الله ﷻ وكان الله ﷻ قد واعد موسى أن يأتيه لينزل عليه التوراة ثلاثين ليلة، فأتمها بعشر، فلما تم الميقات، بادر موسى عليه السلام إلى الحضور إلى الموعد شوقاً لربه، وحرصاً على موعوده فأخبره الله ﷻ بفتنة قومه وضلالهم بعبادتهم العجل، فرجع موسى إليهم غضبان أسفا ﴿**...قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن**

---

(1) اللباب في علوم الكتاب – 303/13.

(2) سورة طه – الآية 64.

(3) انظر: زهرة التفاسير – محمد أبو زهرة – 4747/9.

(4) سورة طه – الآية 57.

(5) تفسير التحرير والتنوير – مج8 – 255/16.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رَبُّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾[1]، يقول: "أفطال عليكم العهد بي، وبجميل نعم الله عندكم، وأياديه لديكم، أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم، يقول: أم أردتم أن يجب عليكم غضب من ربكم فتستحقوه بعبادتكم العجل، وكفركم بالله، فأخلفتم موعدي، وكان إخلافهم موعده، عكوفهم على العجل، وتركهم السير على أثر موسى للموعد الذي كان الله وعدهم، وقولهم لهارون إذ نهاهم عن عبادة العجل، ودعاهم إلى السير معه في أثر موسى ﴿**...لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى**﴾[2]"[3]، يقول الشنقيطي: "فقوله (أفطال عليكم العهد) الاستفهام فيه للإنكار، يعني لم يطل العهد، كما يقال في المثل (وما بالعهد من قدم)، لأن طول العهد مظنة النسيان، والعهد قريب لم يطل فكيف نسيتم؟ وقوله: (أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم) قال بعض العلماء: "أم" هنا هي المنقطعة، والمعنى: بل أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم، ومعنى إرادتهم حلول الغضب أنهم فعلوا ما يستوجب غضب ربهم بإرادتهم، فكأنهم أرادوا الغضب لما أرادوا سببه، وهو الكفر بعبادة العجل"[4].

فقوله تعالى: (أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم)، "استعارة تمثيلية، إذ شبه حالهم في ارتكابهم أسباب حلول غضب الله عليهم بدون داع إلى ذلك بحال من يحب حلول غضب الله عليه؛ إذ الحب لا سبب له"[5]، ولذا قالوا: ﴿**...مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ**﴾[6]، أي: ما أخلفنا موعدك بإرادتنا واختيارنا لإخلاف موعدك وما تجرئنا على ذلك ولكن غرَّنا السامري وأمرنا بعبادة العجل[7].

فقد برروا عبادتهم للعجل بأنها لم تكن باختيارهم ولا بإرادتهم، ولكن السامري هو من حملهم على ذلك وأمرهم بعبادة العجل، ولكن الأمر ليس كذلك، فإن النبوة ما زالت بين أظهرهم، والعلم قائم بينهم، ففيهم هارون النبي يعلمهم ويرشدهم، ولكنهم غيروا وبدلوا معبودهم، وأخلفوا موعدهم مع موسى عليه السلام فلم يرقبوا غائباً ولم يحترموا حاضراً.

---

(1) سورة طه – الآية 86.

(2) سورة طه – الآية 91.

(3) جامع البيان – للطبري – 5620/7.

(4) أضواء البيان في إيضاح القرآن – 535/4.

(5) تفسير التحرير والتنوير – ابن عاشور – مج8 – 283/16.

(6) سورة طه – الآية 87.

(7) انظر: تفسير التحرير والتنوير – ابن عاشور – مج8 – 284/16.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الخامس: إرادة الصد عن عبادة الآباء

وقد تمثلت إرادة الصد عن العبادة في الأقوام الكافرة التي كذبت الرسل، واتهمت أنبياءها بأنهم بشرٌ مثلهم يريدون أن يصدوهم عن عبادة آبائهم وأجدادهم، يقول ﷻ حاكياً مقالة هذه الأقوام لرسلهم: ﴿...**قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ**﴾[1]، أي: "ما أنتم إلا بشر في الهيئة والصورة، تأكلون وتشربون كما نأكل ونشرب، ولستم ملائكة (تريدون أن تصدونا) وصفوهم بالبشر أولاً، ثم بإرادة الصد لهم عما كان يعبد آباؤهم ثانياً، أي: تريدون أن تصدونا عن معبودات آبائنا من الأصنام ونحوها (فأتونا) إن كنتم صادقين بأنكم مرسلون من عند الله (بسلطان مبين) أي بحجة ظاهرة تدل على صحة ما تدَّعونه، وقد جاؤوهم بالسلطان المبين والحجة الظاهرة، ولكن هذا نوع من تعنتاتهم، ولون من تلوناتهم"[2]، فقد اشتمل كلامهم مع رسولهم على ثلاثة أنواع من الشبه: فالشبهة الأولى: أن الأشخاص الإنسانية متساوية في تمام الماهية، فيمتنع أن يبلغ التفاوت بين تلك الأشخاص إلى هذا الحد، وهو أن يكون الواحد منهم رسولاً من عند الله مطلعاً على الغيب مخالطاً لزمرة الملائكة، والباقون يكونون غافلين عن كل هذه الأحوال، وهذه الشبهة هي المراد من قولهم (إن أنتم إلا بشر مثلنا)، والشبهة الثانية: هي التمسك بطريقة التقليد، وهي أنهم وجدوا آبائهم وعلمائهم وكبرائهم مطبقين متفقين على عبادة الأوثان، وهذه الشبهة هي المراد من قوله (تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا)، والشبهة الثالثة: هي الطعن فيما جاء به الرسل، فقد زعموا أن ما جاء به الرسول أمور معتادة، ليست من باب المعجزات الخارجة عن قدرة البشر، وإلى هذا النوع من الشبهة الإشارة بقوله (فأتونا بسلطان مبين)[3].

ولذا كفروا برسلهم وأنبيائهم بدعوى أنهم بشر مثلهم، وأنهم يريدون أن يصرفوهم عن معبودات الآباء والأجداد، يقول ابن عاشور: "أرادوا إفحام الرسل بقطع المجادلة النظرية، فنفوا اختصاص الرسل بشيء زائد في صورتهم البشرية يُعلم به أن الله اصطفاهم دون غيرهم بأن جعلهم رسلاً عنه، وهؤلاء الأقوام يحسبون أن هذا أقطع لحجة الرسل، لأن المماثلة بينهم وبين قومهم محسوسة لا تحتاج إلى تطويل في الاحتجاج، فلذلك طالبوا رسلهم أن يأتوا بحجة محسوسة تثبت أن الله اختارهم للرسالة عنه، وحسبانهم بذلك التعجيز، فجملة (تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا) في موضع الحال، وهي قيد لما دل عليه الحصر في جملة (إن أنتم إلا بشر مثلنا) من جحد كونهم رسلاً من الله بالدين الذي جاءوهم به مخالفاً لدينهم القديم،

---

(1) سورة إبراهيم – الآية 10.

(2) فتح القدير – للشوكاني – 116/3.

(3) انظر: التفسير الكبير – للرازي – 95/19.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فبذلك الاعتبار كان موقع التفريع لجملة (فأتونا بسلطان مبين)"[1]، فبهذا الاعتراض الجهول رد هؤلاء الأقوام دعوة الرسل، وأنكروا النبوات، وأنكروا اختيار الله ﷻ رسلاً من البشر كما قال تعالى حاكياً قولهم ﴿...**وَلَوْ شَاء اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ**﴾[2]، يقول صاحب الظلال رحمه الله: "وبدلاً من أن يعتز البشر باختيار الله لواحد منهم لحمل رسالته، فإنهم لجهالتهم ينكرون هذا الاختيار، ويجعلونه مثار ريبة في الرسل المختارين، ويعللون دعوة رسلهم لهم بأنها رغبة في تحويلهم عما كان يعبد آباؤهم، ولا يسألون أنفسهم: لماذا يرغب الرسل في تحويلهم؟ وبطبيعة الجمود العقلي الذي تطيعه الوثنيات في العقول لا يفكرون فيما كان يعبد آباؤهم: ما قيمته؟ وما حقيقته؟ ماذا يساوي في معرض النقد والتفكير؟ وبطبيعة الجمود العقلي كذلك لا يفكرون في الدعوة الجديدة، إنما يطلبون بخارقة ترغمهم على التصديق (فأتونا بسلطان مبين)..، ويرد الرسل..، لا ينكرون بشريتهم، بل يقررونها، ولكنهم يوجهون الأنظار إلى منة الله في اختيار الرسل من البشر، وفي منحهم ما يؤهلهم لحمل الأمانة الكبرى: ﴿**قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ...**﴾[3]"[4].

المطلب السادس: إرادة التفضل على البشر

لقد ذم الله ﷻ في كتابه العزيز من يتعالى على البشر ويظهر فضله عليهم فقال ﷻ: ﴿**وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً**﴾[5] وجاء في الحديث عن النبي ﷺ الأمر بالتواضع وذم الكبر، فقال ﷺ: **(إن الله ﷻ أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يبغي أحدٌ على أحد، ولا يفخر أحدٌ على أحد)**[6].

هذا وقد تمثلت إرادة التعالي على البشر والتفضل عليهم في قوم نوحٍ عليه السلام حين دعاهم إلى عبادة الله ﷻ ونبذ عبادة غيره من الأوثان والأنداد فاتهموه بأنه بشرٌ مثلهم، ما يريد إلا أن يستعلي عليهم، ويظهر فضله عليهم، فقالوا: ﴿...**مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ**

---

(1) تفسير التحرير والتنوير – ابن عاشور – مج7 – 200/13.

(2) سورة المؤمنون – الآية 24.

(3) سورة إبراهيم – الآية 11.

(4) في ظلال القرآن – 2091/4.

(5) سورة الإسراء – الآية 37.

(6) سنن أبي داود – كتاب الأدب (35) – باب في التواضع (48) – ص734 – حديث رقم 4895 – قال الألباني: صحيح.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَلَوْ شَاء اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾[1]، يعنون: "يترفع عليكم، ويتعاظم بدعوى النبوة، وهو بشر مثلكم، فكيف أوحي إليه دونكم؟ (ولو شاء الله لأنزل ملائكة) أي: لو أراد الله أن يبعث نبياً لبعث ملكاً من عنده ولم يكن بشراً (ما سمعنا بهذا) أي: ببعثة البشر في آبائنا الأولين، يعنون بهذا أسلافهم وأجدادهم في الدهور الماضية"[2].

يقول الألوسي: "وصفه بقوله ﷻ (يريد أن يتفضل عليكم) إغضاباً للمخاطبين عليه عليه السلام وإغراءً لهم على معاداته، والتفضل طلب الفضل، وهو كناية عن السيادة كأنه قيل: يريد أن يسودكم، ويتقدمكم بادعاء الرسالة مع كونه مثلكم، وقيل: صيغة التفعُّل مستعارة للكمال، فإن ما يتكلف له يكون على أكمل وجه، فكأنه قيل: يريد كمال الفضل عليكم (ولو شاء الله لأنزل ملائكة) بيان لعدم رسالة البشر على الإطلاق على زعمهم الفاسد"[3]، ولهذا ردوا دعوة نوح عليه السلام واتهموه بالجنون فقالوا: ﴿**إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ**﴾[4]، اتهموه بالجنون ليصرفوا الناس عن دعوته، "فإن سادة القوم ظنوا أنه ما جاء بتلك الدعوة إلا حباً في أن يسود على قومهم، فخشوا أن تزول سيادتهم وهم بجهلهم، لا يتدبرون أحوال النفوس، ولا ينظرون مصالح الناس، ولكنهم يقيسون غيرهم على مقياس أنفسهم: فلما كانت مطامع أنفسهم حب الرياسة والتوسل إليها بالانتصاب لخدمة الأصنام، توهموا أن الذي جاء بإبطال عبادة الأصنام إنما أراد منازعتهم سلطانهم"[5].

يقول سيد قطب رحمه الله: "من هذه الزاوية الضيقة الصغيرة الضئيلة نظر القوم إلى تلك الدعوة الكبيرة فما كانوا إذن ليدركوا طبيعتها، ولا ليروا حقيقتها؛ وذواتهم الصغيرة الضئيلة تحجب عنهم جوهرها وتعمي عليهم عنصرها، وتقف حائلاً بين قلوبهم وبينها؛ فإذا القضية كلها في نظرهم قضية رجل منهم لا يفترق في شيء عنهم، يريد أن يتفضل عليهم، وأن يجعل لنفسه منزلة فوق منزلتهم، وهم في اندفاعهم الصغير لرد نوح عن المنزلة التي يتوهمون أنه يعمل لها، ويتوسل إليها بدعوة الرسالة..، في اندفاعهم هذا الصغير لا يردون فضل نوح وحده، بل يردون فضل الإنسانية التي هم منها، ويرفضون تكريم الله لهذا الجنس؛ ويستكثرون أن يرسل الله رسولاً من البشر..."[6].

---

(1) سورة المؤمنون – الآية 24.

(2) تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – 273/5.

(3) روح المعاني – للألوسي – مج6 – 25/18.

(4) سورة المؤمنون – الآية 25.

(5) تفسير التحرير والتنوير – ابن عاشور – مج9 – 42/18.

(6) في ظلال القرآن – 2464/4.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب السابع: إرادة إيتاء الصحف

وقد تمثلت إرادة إيتاء الصحف في مشركي قريش حين فروا من دعوة النبي ﷺ فلم يؤمنوا بما أنزل عليه من القرآن؛ ولهذا فقد بين الله ﷻ سبب إعراضهم عن اتباع النبي والإيمان بما جاء به فقال ﷻ: ﴿**فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ * كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ * فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ * بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَى صُحُفًا مُّنَشَّرَةً**﴾[1]، يقول ﷻ: "ما بهؤلاء المشركين في إعراضهم عن هذا القرآن أنهم لا يعلمون أنه من عند الله، ولكن كل رجل منهم يريد أن يؤتى كتاباً من السماء ينزل عليه"[2]، فقوله ﷻ: (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منشرة) هو "إضراب انتقالي لذكر حالة أخرى من عنادهم، إذ قال أبو جهل وعبد الله بن أبي أميَّة وغيرهما من كفار قريش –للنبي ﷺ– لا نؤمن لك حتى يأتى كلَّ رجل منا كتابٌ، فيه: من الله إلى فلانٍ بن فلان، وهذا من أفانين تكذيبهم بالقرآن أنه منزل من الله، وجمع (صُحُف) إما لأنهم سألوا أن يكون كل أمر أو نهي تأتي الواحد منهم في شأنه صحيفة، وإما لأنهم لما سألوا أن تأتي كل واحد منهم صحيفة باسمه كانوا جماعة متفقين جمع لذلك، فكأن الصحف جميعها جاءت لكل امرئ منهم، والمنشَّرة: المفتوحة المقروءة، أي لا نكتفي بصحيفة مطوية لا نعلم ما كتب فيها، و (منشّرة) مبالغة من منشورة، والمبالغة واردة على ما يقتضيه فعل (نشر) المجرد من كون الكتاب مفتوحاً واضحاً من الصحف المتعارفة"[3]، فهذا الطلب هو من تعنتات المشركين الذين حسدوا النبي ﷺ على اصطفاء الله له، واختياره لحمل رسالته، فهم الذين قالوا: ﴿**...لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**﴾[4]، وهذا ما "يكشف عن حقيقة الغرور الذي يساورهم فيمنعهم من الاستجابة لصوت المذكر الناصح (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منشرة)، فهو الحسد للنبي ﷺ والرغبة في أن يؤتى كل منهم الرسالة، والسبب الدفين الآخر هو قلة التقوى: (كلا بل لا يخافون الآخرة)"[5]، فقد جهل هؤلاء المشركون أن النبوة والرسالة هي اختيار الله تعالى واصطفائه، فلا يستطيع أحدٌ من البشر أن يسعى في تحصيلها واكتسابها، إنما هي اختيار الله لقوله: ﴿**...اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ...**﴾[6]، وقوله ﷻ: ﴿**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ**

---

(1) سورة المدثر – الآيات 49–52.

(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن – للطبري – 8316/10.

(3) تفسير التحرير والتنوير – لابن عاشور – مج14 – 331/29.

(4) سورة الزخرف – الآية 31.

(5) انظر: في ظلال القرآن – لسيد قطب – 3762/6.

(6) سورة الأنعام – الآية 124.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بَصِيرٌ﴾[1]، فالمسألة مسألة اختيار من الله ﷻ، ولكن هؤلاء المشركين لقلة التقوى عندهم، وللحسد الذي أصابهم لم يقبلوا دعوة النبي ﷺ، بل أراد كل امرئ منهم أن يُؤتى مثل ما أُوتي النبي ﷺ، ولذا ردعهم الله ﷻ بقوله (كلا) عن تلك الإرادة، وزجرهم عن اقتراح الآيات، وبيّن ﷻ أن إرادتهم هذه ناتجة عن عدم خوفهم من يوم الحساب، فقال: (كلا بل لا يخافون الآخرة).

(1) سورة الحج – الآية 75.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة

الحمد لله حمداً يليق بجلاله وعظمته، أحمده سبحانه وتعالى على ما أكرمني ووفقني لاختيار موضوع من موضوعات كتابه العزيز، ووفقني وأعانني إلى الوصول إلى نهايته وخاتمته، فله الحمد وله الشكر.

لقد توصلت خلال هذا الجهد المتواضع إلى مجموعة من النتائج والتوصيات، والتي تعد ثمرة البحث وخلاصته أقتصر على ذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر:

أولاً: أهم النتائج التي توصلت إليها:

1. إن الإنسان يعيش في هذه الحياة الدنيا خاضعاً لمشيئة الله تعالى ضمن دائرتين، الأولى تتمثل في الإرادة الكونية، وهذه الدائرة لا اختيار للإنسان في حدودها، لأنه يسير ضمنها مجبراً، ولذلك لا يحاسب ولا يسأل عما تضمنته هذه الدائرة، أما الدائرة الثانية، فهي دائرة الإرادة الشرعية الدينية المتمثلة في الأمر والنهي الشرعيين، فهي مناط التكليف والحساب، ولذا فهو يفعل إن شاء، ويترك إن شاء، ولكنه يحاسب ويعاقب على ما تضمنته هذه الدائرة لأنها تتعلق بالأوامر والنواهي والتشريعات.
2. بالنظر إلى مادة (راد) واشتقاقاتها في القرآن الكريم، نلاحظ أن صيغة الأمر لم ترد مطلقاً، وذلك للدلالة على أن للإنسان إرادة حرة يختار بها ما يشاء من البدائل دون قهر أو إجبار، فهو الذي يتحمل نتيجة اختياره بهذه الإرادة.
3. وردت مادة (راد) ومشتقاتها في القرآن الكريم (132) مرة، وفي (45) سورة، منها (32) سورة مكية، و(13) سورة مدنية، وهذا يرجع إلى حالة المجتمع المكي الذي كان يسوده الشرك وعبادة الأوثان من دون الله تعالى، إذ إنه يحتاج إلى المزيد من العناية بالإرادة الإنسانية، وإصلاحها وتوجيهها إلى عبادة الله بخلاف المجتمع المدني الذي يغلب عليه الإيمان بالله.
4. إن الإنسان في أعماله وتصرفاته الاختيارية كلها إنما يتحرك ضمن دائرة الإرادة الإلهية لا يتخطاها ولا يتجاوزها، فليس هناك أي تعارض بين كون الإنسان مختاراً مريداً في أفعاله وتصرفاته وبين كونه لا يتخطى الإرادة الإلهية، وليس الأمر كما يظن بعض السطحيين من أن فعل الإنسان ما دام حاصلاً بإرادة الله تعالى فليس له فيه إذاً حرية ولا إرادة ولا اختيار.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

5. إن سعادة الدنيا والآخرة منوطة بإرادة الإنسان، وما توجهت إليه هذه الإرادة من العمل، فأعمال الناس متشابهة، ومشقتهم فيها متقاربة، ولكنهم يتفاضلون بالإرادات والمقاصد.
6. إن على الإنسان أن يعرف قدر نعمة الله عليه بأن وهبه الإرادة وحرية الاختيار، فيستعمل ذلك فيما يعرج به إلى مستوى الكمال فتكون أعماله صالحة رافعة له، ونافعة لغيره.
7. إن رب العزة سبحانه وتعالى قد جعل عطاءه للناس معلقاً على حسب إرادتهم، فلا يمنعهم عطاءه، كما قال: ﴿**كُلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا**﴾ [الإسراء: 20]، ولا يقدر هذا حق قدره إلا قليل منهم، فهم بحاجة إلى مثل هذا التذكير حتى يعرفوا مكانة إرادتهم من تصريف أعمالهم وتوجيهها إلى سعادتهم أو شقاوتهم.
8. إن من هدي الإسلام أن يطلب المرء خيري الدنيا والآخرة، فقد جعل الله لنيل ثواب الدنيا سنناً، ولنيل ثواب الآخرة سنناً، والإنسان يطلب ويريد بحسب سعة علمه وعلو همته ودرجة إيمانه وله ما يريد كله أو بعضه بحسب سنن الله وتدبيره لنظام الحياة، وللإرادة الإنسانية دخل في تلك السنن وتلك المقادير.
9. النية في القرآن الكريم أصل وعماد، قامت على أساسه أعمال العباد، وترتب عليه قبولها عند الله تعالى، فثبتت أجور أعمالٍ لم تكن ظاهرة، في حين حبطت أعمال عظيمة عند فساد باعثها، فعلى الإنسان أن يجعل نيته وإرادته خالصة لله تعالى فإن الله يجزي الإنسان على نيته وإرادته.
10. ليس هناك أي سلطان أو قوة قهرية للشيطان وجنده على الإنسان مهما كثرت عليه الوساوس، فلم يكن الوسواس أبداً ليقهر الإنسان، ويسيطر على تصرفاته، أو يسلبه إرادته، بل الإنسان هو من يسلم نفسه للشيطان ووساوسه بالابتعاد عن الله تعالى والاستعاذة به.
11. إن حديث القرآن الكريم عن الدنيا له طابع خاص، يفهم منه سرعة انقضائها وزوالها وضرورة استغلالها في طاعة الله، فقد أمر الله تعالى رسوله بالإعراض عمن تولى عن ذكره ولم يرد إلا الحياة الدنيا، فجعلها أكبر همه، ومبلغ علمه، وآثرها على الآخرة.
12. إن إدراك الدار الآخرة تستوجب السعي اللائق بها حتى يكون ذلك السعي مشكوراً مرضياً عند الله تعالى، فلا تصح إرادة الدار الآخرة مع إفلاس بضاعة السعي أو عدم ملائمته، وهذا يتطلب من المؤمن حسن الاستعداد والتزود بصالح النية وخالص الإرادة والعمل الصالح الملائم لتلك الدار.
13. إن إرادة الله ورسوله أسمى المطالب والمقاصد التي يرجوها الإنسان، وهي الفاصل بين أهل الكفر والإيمان، ولعظم هذه الإرادة أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: التوصيات:

1. إن موضوع الدراسة ما زال بحاجة ماسة إلى باحثين في مجال التفسير الموضوعي، فإن جميع ما عرضناه كان غيضاً من فيض، فلا زالت مفردات كثيرة تتطلب وقتاً كافياً لدراستها وإدراك جوانبها المختلفة، إلا أني أتيت على جملة أعتبرها تأصيلاً لغيرها، وروابط لجزئيات متناثرة، وحسبي في ذلك سعة الموضوع، ولا أبالغ حين أقول إن الحديث عن الإرادة الإنسانية وميادينها وأنواعها يحتاج إلى العديد من الرسائل العلمية.
2. الأمة الإسلامية بحاجة إلى من يتقن الحديث عن الإرادة الإنسانية، وميادينها، والعوامل المؤثرة فيها، فيعلمها للناس، ويصحح إرادتهم ومقاصدهم، فإن مشكلات العصر كلها ما هي إلا نتائج للإرادات الفاسدة التي تحياها الأمة كإرادة الفجور، والخيانة، والإلحاد، واتباع الهوى والشهوات.

وفي الختام فإنني أسأل الله العلي القدير أن يُنعم عليَّ بقبول هذا العمل المتواضع، وأن ينفع به المسلمين، وأن يجزي شيخي وأستاذي ومشرفي الأستاذ الدكتور/ عبد السلام اللوح، خير الجزاء، وأن يجعله ذخراً للإسلام والمسلمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفهـارس

وتشتمل

- **فهرس الآيات القرآنية.**
- **فهرس الأحاديث النبوية.**
- **فهرس الأعلام المترجم لهم.**
- **فهرس المصادر والمراجع.**
- **فهرس الموضوعات.**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس الآيات القرآنية

م	الآيـــة	رقمهـا	الصفحة
	البقـــرة		
1	﴿..وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ..﴾	35	88
2	﴿...لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ...﴾	61	136
3	﴿وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ...﴾	89، 90	55
4	﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبْلُ...﴾	108	142، 143
5	﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّـن بَعْـدِ إِيمَـانِكُمْ كُفَّاراً...﴾	109	55، 143
6	﴿...وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾	120	120
7	﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا...﴾	143	135
8	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً...﴾	168، 169	102
9	﴿... يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ...﴾	185	1، 12، 13، 16
10	﴿... فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا...﴾	200، 202	113، 114
11	﴿...وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ...﴾	216	135
12	﴿... وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُواْ إِصْلاَحًا..﴾	228	28
13	﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ...﴾	233	45
14	﴿... وَلَكِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ...﴾	253	14
15	﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء...﴾	268	20
16	﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ...﴾	285	60
	آل عمـــران		
17	﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا...﴾	8	131
18	﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ...﴾	14	116
19	﴿لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ...﴾	28	82

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

م	الآيـــــة	رقمهـــا	الصفحة
20	﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ...﴾	31	21
21	﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم...﴾	139	139
22	﴿...وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا...﴾	145	115
23	﴿فَآتَاهُمُ اللّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ...﴾	148	123
24	﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا...﴾	152	116
25	﴿..مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ..﴾	152	134
26	﴿...وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ...﴾	159	50
27	﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا...﴾	160	120
	النســـاء		
28	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَاء كَرْهًا...﴾	19	38
29	﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ...﴾	20، 21	38، 39
30	﴿يُرِيدُ اللّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ...﴾	26-28	12، 15، 62
31	﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء...﴾	34	29، 30
32	﴿...إِن يُرِيدَا إِصْلاَحًا يُوَفِّقِ اللّهُ بَيْنَهُمَا...﴾	35	30
33	﴿...وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ السَّبِيلَ﴾	44	55
34	﴿وَاللّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللّهِ نَصِيرًا﴾	45	56
35	﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا...﴾	58	98
36	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ...﴾	60-62	56، 57، 96
37	﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ...﴾	65	57
38	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ...﴾	71	100
39	﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُواْ...﴾	88-91	70، 71، 73، 130
40	﴿وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ...﴾	119	100
41	﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا...﴾	134	113
42	﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ...﴾	139	128
43	﴿...أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾	144	82
44	﴿...وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ...﴾	150-151	60
45	﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ...﴾	152	61

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

م	الآيـــــة	رقمهـــا	الصفحة
46	﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاء...﴾	153	142
47	﴿...لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ..﴾	165	84
	المائـــــدة		
48	﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ...﴾	29-27	144 ،143
49	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ...﴾	36	90
50	﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ...﴾	37	90
51	﴿..وَمَن يُرِدِ اللّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللّهِ شَيْئًا..﴾	41	131
52	﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًـــا لِّقَـــوْمٍ يُوقِنُونَ﴾	50	58
53	﴿...وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّـــهَ لاَ يَهْـــدِي الْقَـــوْمَ الظَّالِمِينَ﴾	51	82
54	﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ..﴾	52	58
55	﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللّهِ...﴾	60، 61	99
56	﴿...وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا...﴾	64	99
57	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ...﴾	90	108
58	﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء...﴾	91	108
59	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء...﴾	101، 102	142
60	﴿مَا جَعَلَ اللّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ...﴾	103	103
61	﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ...﴾	112، 113	136
62	﴿قَالَ اللّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ...﴾	115	137
	الأنعـــــام		
63	﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَـــدَاةِ وَالْعَشِـــيِّ يُرِيـــدُونَ وَجْهَهُ...﴾	52	125
64	﴿...اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ...﴾	124	151
65	﴿فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ...﴾	125	14
66	﴿وَأَنَّ هَـــذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ...﴾	153	113
	الأعـــــراف		
67	﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	16، 17	20، 104

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

م	الآيـــــة	رقمهـــا	الصفحة
68	﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِـــن سَوْءَاتِهِمَا...﴾	20	93
69	﴿...وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ...﴾	31	135
70	﴿فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَانقَلَبُواْ صَاغِرِينَ﴾	119	139
71	﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ..﴾	137	140
72	﴿..قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَـــهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ..﴾	138	142
73	﴿...لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا...﴾	179	37
74	﴿مَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ...﴾	186	131
	الأنفـــــال		
75	﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِـــكَ الَّـــذِينَ كَفَـــرُواْ لِيُثْبِتُـــوكَ أَوْ يَقْتُلُـــوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ...﴾	30	77
76	﴿الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ...﴾	56	64
77	﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ...﴾	60	63
78	﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا...﴾	62 ،61	64
79	﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِـــي الأَرْضِ جَمِيعـــاً مَّـــا أَلَّفَتْ...﴾	63	65 ،63
80	﴿...تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا...﴾	67	17
81	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى...﴾	71 ،70	69 ،68
	التوبـــــة		
82	﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ..﴾	29	64
83	﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ...﴾	32	89
84	﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ...﴾	46 ،45	81
85	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ...﴾	73	56
86	﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ...﴾	105	11
87	﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا...﴾	110-107	58
88	﴿وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم...﴾	115	132
	يونـــس		
89	﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا...﴾	99	12

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

م	الآيـــــة	رقمهـــا	الصفحة
	هـــود		
90	﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا...﴾	15، 16	23، 114
91	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ...﴾	25-27	37
92	﴿وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ...﴾	31	31
93	﴿قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا...﴾	32	31، 32
94	﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللّهُ إِن شَاء...﴾	33	31
95	﴿وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ...﴾	34	31، 32
96	﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ...﴾	74-76	67
97	﴿وَلَمَّا جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ...﴾	77، 78	67
98	﴿...وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾	79	67
99	﴿قَالُواْ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُواْ إِلَيْكَ...﴾	81	68
100	﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ..﴾	84	28
101	﴿...أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا...﴾	87	27
102	﴿...إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ...﴾	88	27
	يوســف		
103	﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ...﴾	23-25	65، 66
104	﴿...وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا...﴾	26-28	66
	إبراهيــم		
105	﴿...قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا...﴾	10	148
106	﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ...﴾	11	149
107	﴿...وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي...﴾	22	95
	النحــل		
108	﴿إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي مَن يُضِلُّ...﴾	37	131
109	﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾	40	12، 14
110	﴿وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا...﴾	78	126
111	﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ..﴾	97	26
112	﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾	98-100	99

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

م	الآيـــــة	رقمهـــا	الصفحة
113	﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَـــذَا...﴾	116	103
114	﴿ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ...﴾	125	32
	الإســـراء		
115	﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ...﴾	13	33
116	﴿...وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾	15	33
117	﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا...﴾	19	26، 33، 34
118	﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ...﴾	21-18	33، 35، 115
119	﴿وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا...﴾	37	137، 149
120	﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ..﴾	44	19
121	﴿وَقَالُواْ أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا...﴾	49	74
122	﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ...﴾	64	104
	الكهـــف		
123	﴿...مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي...﴾	17	130
124	﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُـــم بِالْغَـــدَاةِ وَالْعَشِـــيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ...﴾	28	125
125	﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾	46	104
126	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا..﴾	57	37
127	﴿...قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا...﴾	71	135
128	﴿...فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ...﴾	77	1
129	﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَـــأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا...﴾	79	134
	مريـــم		
130	﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا...﴾	82 ،81	128
131	﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾	93	20
	طـــه		
132	﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى﴾	57	146

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

م	الآيـــــة	رقمهـــا	الصفحة
133	﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى (62) قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ...﴾	62، 63	145
134	﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا...﴾	64	146
135	﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى﴾	68	139
136	﴿...أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ...﴾	86	147
137	﴿..مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا..﴾	87	147
138	﴿قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾	91	147
139	﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ...﴾	120	93
	الأنبيـــاء		
140	﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ...﴾	68-70	79
141	﴿...إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ...﴾	90	26
	الحـــج		
142	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ...﴾	18	19
143	﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ...﴾	22	91
144	﴿...وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾	25	81
145	﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا...﴾	75	151
146	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا...﴾	77	26
	المؤمنـــون		
147	﴿...مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً...﴾	24	150
148	﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾	25	150
	النـــور		
149	﴿...وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا...﴾	33	50
150	﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾	51	57
	الفرقـــان		
151	﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ...﴾	43	119

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

م	الآيـــــة	رقمهـــا	الصفحة
152	﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ...﴾	44	120
153	﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا...﴾	47	127
154	﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا...﴾	61، 62	127
	الشعـــراء		
155	﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾	111	38
156	﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ...﴾	165، 166	67
	النمـــل		
157	﴿...رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ...﴾	19	ت
	القصـــص		
158	﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا..﴾	4	139
159	﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا...﴾	15-19	75
160	﴿...يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ...﴾	19	76
161	﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى...﴾	20	76
162	﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ...﴾	27	41
163	﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ...﴾	28	42
164	﴿...وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ...﴾	50	119
165	﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ...﴾	56	131
166	﴿...إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا...﴾	57	129
167	﴿...وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا...﴾	77	118
168	﴿...إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾	77	21
169	﴿...ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا...﴾	80	138
170	﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ...﴾	83	1، 23، 138
171	﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا...﴾	84	139
	الروم		
172	﴿...فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا...﴾	30	101، 102
	لقمـــان		
173	﴿...إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾	18	137

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

م	الآيـــــة	رقمهـــا	الصفحة
	الأحـــزاب		
174	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ...﴾	9-13	79
175	﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ...﴾	14-15	80
176	﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ...﴾	16	81
177	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا...﴾	28، 29	17، 123
178	﴿...إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ...﴾	33	16
179	﴿...إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا...﴾	50	44
	سبـــأ		
180	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا..﴾	34، 35	36
181	﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء وَيَقْدِرُ...﴾	36	36
	فاطـــر		
182	﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا...﴾	6	20، 100
183	﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا...﴾	10	128
	يـــس		
184	﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ...﴾	78	73
	الصافـــات		
185	﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ...﴾	22، 23	132
186	﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ...﴾	83-87	63
187	﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾	98	17
	ص		
188	﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ...﴾	26	119
189	﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾	82	107
	الزمـــر		
190	﴿...وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ...﴾	7	21، 22
	فصلـــت		
191	﴿...اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾	11	19
192	﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى...﴾	17	131
193	﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا...﴾	46	87

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

م	الآيـــــة	رقمهـــا	الصفحة
	الشـــورى		
194	﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ...﴾	20	36، 113، 114
195	﴿...وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ...﴾	38	50
196	﴿...وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	52	131
	الزخـــرف		
197	﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ...﴾	22-24	36
198	﴿...لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾	31	151
199	﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ...﴾	33-35	115
200	﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ...﴾	77	91
	الأحقـــاف		
201	﴿...وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا...﴾	15	50
	محمــد		
202	﴿...وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ...﴾	4-6	132
	الفتـــح		
203	﴿...يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ...﴾	15	61
	ق		
204	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ...﴾	16	96
	الذاريـــات		
205	﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ...﴾	35-37	68
206	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ...﴾	56-58	20، 123
	الطــور		
207	﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ...﴾	35-42	76، 77
208	﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾	42	78
	النجــم		
209	﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾	3	119
210	﴿...وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا...﴾	29، 30	116

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

م	الآيـــــة	رقمهـــا	الصفحة
	المجادلـــة		
211	﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ...﴾	10	106
212	﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ...﴾	19	107
213	﴿...رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ...﴾	22	21
	الممتحنـــة		
214	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء...﴾	1	82
	الصـــف		
215	﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾	3	98
216	﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ...﴾	8	90
	المنافقـــون		
217	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْـــرِ اللَّهِ...﴾	9	110
	المدثـــر		
218	﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ...﴾	52-49	151
219	﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ (54) فَمَن شَاء ذَكَرَهُ﴾	55-54	17
	القيامـــة		
220	﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ... يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾	6-1	73
221	﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾	5	74
	الإنســـان		
222	﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ...﴾	3 ،2	16
223	﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُورًا﴾	9	126
224	﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا...﴾	30 ،29	17
	النازعـــات		
225	﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾	24	139
226	﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى...﴾	41 ،40	120
	التكويـــر		
227	﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾	29	13 ،12، 88 ،18

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

م	الآيـــــة	رقمهـــا	الصفحة
	البـــروج		
228	﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾	16	14
	الطـــارق		
229	﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا...﴾	17-15	79
	الأعلـــى		
230	﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (1) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (2) وَالَّـــذِي قَدَّرَ فَهَدَى (3)﴾	3-1	131
	البلـــد		
231	﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾	10	54
	الشمـــس		
232	﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾	8-7	54
	قريـــش		
233	﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (3) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ...﴾	4 ،3	135
	النـــاس		
234	﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (4) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُـــدُورِ النَّاسِ﴾	6 ،5	93

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس الأحاديث النبوية

#	الحديث الشريف	الراوي	الحكم	الصفحة
1	(...أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل...)	البخاري	صحيح	44
2	(أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس...)	الطبراني	ضعيف	134
3	(إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان دون آخر...)	البخاري	صحيح	106
4	(ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا...)	مسلم	صحيح	102
5	(ألا لا تغالوا في صدقات النساء...)	الترمذي	صحيح	40
6	(التمس ولو خاتماً من حديد)	البخاري	صحيح	43
7	(الدين النصيحة: قلنا لمن؟ قال لله ولكتابه...)	مسلم	صحيح	32
8	(اللهم إني أسألك العفو والعافية...)	أبي داود	صحيح	21
9	(إن أحدنا يجد في نفسه يُعرِّض بالشيء..)	أبي داود	صحيح	95
10	(إن أعظم المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يُحرَّم..)	البخاري	صحيح	142
11	(إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا...)	أبي داود	صحيح	149
12	(إن الله رفيق يحب الرفق...)	مسلم	صحيح	21
13	(إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها...)	مسلم	صحيح	90
14	(إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار...)	مسلم	صحيح	127
15	(إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة ...)	الترمذي	صحيح	20
16	(أنت أحق به ما لم تنكحي)	أبي داود	حسن	49
17	(إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى...)	البخاري	صحيح	12، 23
18	(تعس عبد الدينار والدرهم، والقطيفة، والخميصة...)	البخاري	صحيح	105
19	(...جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ تعرض عليه نفسها...)	البخاري	صحيح	44
20	(حين تأيمت حفصة بنت عمر .....)	البخاري	صحيح	42

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

#	الحديث الشريف	الراوي	الحكم	الصفحة
21	(رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع، وإذا اشترى...)	البخاري	صحيح	44
22	(رجع ناس من أصحاب النبي .....)	البخاري	صحيح	71
23	(عن جابر رضي الله عنه أن جارية لعبد الله بن أُبي بن سلول...)	مسلم	صحيح	51
24	(عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ جاءها حين أمره الله أن يخير أزواجه...)	البخاري	صحيح	125
25	(قم فعلمها عشرين آية وهي امرأتك)	أبي داود	ضعيف	43
26	(كنا مع النبي ﷺ ستة نفر فقال المشركون...)	مسلم	صحيح	126
27	(لقد كنا نأكل الطعام مع النبي ﷺ ونحن نسمع تسبيح الطعام ...)	الترمذي	صحيح	19
28	(لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله...)	أبي داود	صحيح	105
29	(ليؤمن هذا البيت جيش يغزونه...)	مسلم	صحيح	82
30	(مثل الكافر كمثل الأرزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله...)	البخاري	صحيح	12
31	(من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه...)	الترمذي	صحيح	43، 123
32	(من لا يشكر الناس لا يشكر الله)	الترمذي	صحيح	ت
33	(...ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة...)	البخاري	صحيح	104
34	(من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط...)	الترمذي	صحيح	68
35	(من يرد الله به خيراً يصب منه)	البخاري	صحيح	12
36	(من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)	البخاري	صحيح	12
37	(يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه...)	البخاري	صحيح	28
38	(يقول الله: إن أراد عبدي أن يعمل سيئة...)	البخاري	صحيح	23

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس الأعلام المترجم لهم

#	الاسم	الصفحة
1	أبو بكر أحمد بن علي الرازي المشهور بالجصاص	71
2	أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني	13
3	ثابت بن أسلم البناني	44
4	عباس محمود بن مصطفى العقاد	100
5	عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار بن أحمد الإيجي	2
6	عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي	119
7	عبد الرحمن بن ناصر السعدي	74
8	عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات	46
9	عبيد الله بن عمير بن قتادة الليثي	77
10	علي بن محمد الجرجاني	2
11	عمر بن علي بن عادل الحنبلي	145
12	محمد الطاهر بن عاشور	35
13	محمد بن أحمد بن سالم أبو العون شمس الدين السفاريني	2
14	محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي	118
15	محمد بن إسماعيل القفّال	83
16	محمد بن عمر بن الحسين بن علي الرازي	39
17	محمود بن محمد بن عبد الله الحسيني الألوسي	35
18	مسعود بن عمر التفتازاني	13
19	مسلم بن أبي عمران البطين	138
20	مصطفى بن ميمش بن الحسين المنصوري	91
21	مطلب بن أبي وداعة	77
22	يحيا بن زياد بن منظور الديلمي المعروف بالفرَّاء	40

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

1. الاتجاهات الفكرية المعاصرة: د. علي جريشة – دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – المنصورة – الطبعة الثانية: 1409هـ، 1988م.
2. أحكام القرآن: تأليف الإمام أبي بكر أحمد الرازي الجصَّاص – دار الفكر للطباعة والنشر – الطبعة الأولى 1421هـ–2001م.
3. أحكام القرآن: لأبي بكر بن محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي – دار الفكر.
4. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: لأبي السعود العمادي – دار الفكر.
5. أساس البلاغة: تاليف الإمام العلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري – دار صادر – بيروت.
6. الأساس في التفسير: سعيد حوَّى – دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع – الطبعة السادسة – 1424هـ، 2003م.
7. أسباب النزول: تأليف أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري – دار الفكر للطباعة – الطبعة الأولى 1421هـ، 2001م.
8. أسباب النزول: للإمام السيوطي – دار الفجر للتراث – الطبعة الأولى – 1434هـ، 2002م.
9. أُسد الغابة في معرفة الصحابة: تأليف عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجوزي، المتوفى سنة 630 هجري – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية – 1424هـ/2003م.
10. الإصابة في تمييز الصحابة: للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة 852 هجري – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية – 1423هـ/2002م.
11. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: تأليف محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي – الناشر مكتبة ابن تيمية – القاهرة – 1408هـ،1988م.
12. الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستشرقين: تأليف خير الدين الزركلي – دار العلم للملايين – الطبعة الخامسة 1980م.
13. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: تأليف أبي بكر جابر الجزائري – الطبعة الأولى، 1414هـ–1993م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

14. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: لشيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني – دار الفكر – الطبعة الأولى: 1419هـ،1998م – تحقيق الدكتور حسين بن عبد الله العمري.
15. بروتوكولات حكماء صهيون (الخطر اليهودي): محمد خليفة التنوسي – تقدير الكتاب وترجمته للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد – الطبعة الثانية.
16. التعريفات: للعلامة علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني – دار الرشاد للطباعة والنشر.
17. تفسير البحر المحيط: لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي – دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان – الطبعة الأولى 1422هـ، 2001م.
18. تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل: تأليف إمام المحققين وقدوة المدققين القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى 1424هـ،2003م.
19. تفسير التحرير والتنوير: تأليف سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور – دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس.
20. تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن – مطبعة مصطفى البابي الحلبي – بمصر – الطبعة الثانية 1375هـ،1995م.
21. تفسير الشعراوي: محمد متولي الشعراوي – رقم الإيداع 1991/3096.
22. تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل: تأليف محمد جمال الدين القاسمي – دار الفكر – الطبعة الثانية 1398هـ،1978م.
23. تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار: تأليف السيد محمد رشيد رضا – دار الفكر للطباعة والنشر – الطبعة الثانية.
24. تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي – مكتبة الصفا: مطابع دار البيان الحديثة – الطبعة الأولى 1423هـ، 2002م.
25. التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم الخطيب – دار الفكر العربي.
26. التفسير الكبير: للإمام الفخر الرازي – دار الكتب العلمية – طهران – الطبعة الثانية.
27. تفسير المراغي: تأليف صاحب الفضيلة الأستاذ أحمد مصطفى المراغي – دار الفكر.
28. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي – دار الفكر – دمشق – سورية – الطبعة الأولى 1407هـ،1987م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

29. تفسير النسفي: للإمام الجليل العلامة أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي – دار إحياء الكتب العربية.
30. التوقيف على مهمات التعاريف: تأليف محمد عبد الرؤوف المناوي – دار الفكر المعاصر بيروت، لبنان – الطبعة الأولى 1990م – تحقيق د. محمد رضوان الداية.
31. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: تأليف العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي – مؤسسة الرسالة، بيروت – الطبعة الأولى 1416هـ، 1996م.
32. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري – دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع – الطبعة الثانية 1428هـ، 2007م.
33. الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي – دار الحديث – القاهرة – 1423هـ، 2002م.
34. الجرح والتعديل: تأليف الإمام الحافظ أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي – تحقيق مصطفى عبد القادر عطا – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى– 1424هـ/2004م.
35. الجواهر الحسان في تفسير القرآن: تأليف الإمام العلامة الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي – دار الكتب العلمية بيروت، لبنان – الطبعة الأولى 1416هـ، 1996م.
36. الحجة للقرّاء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد: تصنيف أبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي – دار المأمون للتراث – الطبعة الأولى – 1407هـ/1987م.
37. الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان – ط1، 1414هـ، 1993م.
38. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: تأليف شيخ الإسلام حافظ العصر شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد الشهير بابن حجر العسقلاني – دار الجيل – بيروت.
39. ذم الهوى: للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – 1424هـ/2004م.
40. رفع النقاب عن تراجم الأصحاب: تأليف العالم المؤرخ إبراهيم بن محمد بن سالم بن ضوّيان – دار الفكر – الطبعة الأولى 1418هـ، 1997م.
41. روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن: تأليف الشيخ محمد علي الصابوني – دار الصابوني – الطبعة الأولى 1420هـ، 1999م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

42. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي – دار الفكر بيروت – طبعة سنة 1398هـ، 1978م.
43. زاد المسير في علم التفسير: للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي – دار الفكر للطباعة – الطبعة الأولى 1407هـ، 1987م.
44. زهرة التفاسير: للإمام الجليل محمد أبو زهرة – دار الفكر العربي.
45. السرائر في ضوء القرآن الكريم – دراسة موضوعية – رسالة ماجستير للباحثة زينب أبو مور – إشراف الدكتور زهدي أبو نعمة – 1430هـ–2009م.
46. سنن ابن ماجة: تصنيف أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني الشهير بـ (ابن ماجة) – مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض – الطبعة الأولى – حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني.
47. سنن أبي داود: تصنيف أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني – مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض – الطبعة الأولى – حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني.
48. سنن الترمذي: للإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي – مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض – الطبعة الأولى – حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني.
49. سنن النسائي: تصنيف أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الشهير بالنسائي – مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض – الطبعة الأولى – حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني.
50. السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية: لشيخ الإسلام ابن تيمية – دار الكتاب العربي.
51. السيرة النبوية: لأبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري المعروفة بسيرة ابن هشام – دار الحديث – القاهرة – سنة الطبع 1427هـ–2006م.
52. شرح العقائد النسفية: للعلامة سعد الدين التفتازاني – تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا – مطبعة مورافتلي: مكتبة الكليات الأزهرة – الطبعة الأولى بمصر – 1407، 1987م.
53. شرح العقيدة الطحاوية في العقيدة السلفية: تأليف قاضي القضاة العلامة صدر الدين علي بن محمد بن أبي العز الحنفي – دار الحديث – القاهرة – 1421هـ، 2000م.
54. شرح المقاصد: للعالم الإمام مسعود بن عمر بن عبد الله الشهير سعد الدين التفتازاني – عالم الكتب – الطبعة الأولى – 1409هـ–1989م، تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

55. شرح جوهرة التوحيد في عقيدة أهل السنة والجماعة: تأليف عبد الكريم تتان ومحمد أديب الكيلاني – دار البشائر للطباعة والنشر – الطبعة الأولى – 1415هـ، 1994م.
56. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: لشمس الدين أبي عبد الله محمد ابن قيم الجوزية – مطابع دار البيان الحديثة – الطبعة الأولى 1429هـ، 2008م.
57. صحيح البخاري: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة بن بردذبة البخاري الجعفي – دار الحديث بالقاهرة – 1425هـ، 2004م.
58. صحيح مسلم: للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المتوفي سنة 261هـ– دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الطبعة الأولى 1424هـ، 2003م.
59. طبقات الحفاظ: للإمام الحافظ الشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – 1403هـ/1983م.
60. طبقات الشافعية الكبرى: لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي – دار إحياء التراث العربية.
61. طبقات المفسرين: تصنيف الإمام الحافظ الشيخ جليل الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي – دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
62. طبقات المفسرين: للحافظ شمس الدين محمد بن علي ابن أحمد الداودي – الطبعة الثانية 1415هـ، 1994م.
63. طريق الهجرتين وباب السعادتين: تأليف الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية – طبعة على نفقته الشيخ حمد بن فالح بن ناصر آل ثاني رحمه الله.
64. العقيدة الإسلامية وأسسها: عبد الرحمن حسن حبنَّكة الميداني – دار القلم دمشق – الطبعة الرابعة 1406هـ، 1986م.
65. عقيدة المؤمن: تأليف أبي بكر جابر الجزائري – الناشر مكتبة العلوم والحكم – الطبعة الأولى 1420هـ، 1999م.
66. فتح الباري في شرح صحيح البخاري: لابن حجر العسقلاني – دار مصر للطباعة – الطبعة الأولى 1421هـ، 2001م.
67. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: تأليف الإمام العلامة محمد بن علي بن محمد الشوكاني – دار الكتاب العربي بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1420هـ، 1999م.
68. الفرق بين الفرق: تأليف صدر الإسلام عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي – دار المعرفة للطباعة والنشر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

69. الفصل في الملل والأهواء والنحل: للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري وبهامشه الملل والنحل: للإمام أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني – دار المعرفة للطباعة والنشر – الطبعة الثانية 1395هـ، 1975م.
70. في ظلال القرآن: سيد قطب –دار الشروق – الطبعة الشرعية الثالثة والثلاثون – 1425هـ، 2004م.
71. القاموس المحيط: تصنيف إمام أهل اللغة مجد الدين يعقوب الفيروز آبادي المتوفى سنة 817 – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع 1415هـ، 1995م.
72. القضاء والقدر في الإسلام: دكتور فاروق أحمد دسوقي – دار الدعوة للطبع والنشر.
73. كبرى اليقينيات الكونية: الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي – دار الفكر، دمشق، سوريا طبعة سنة 1421هـ، 2000م.
74. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: تأليف أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي – دار المعرفة بيروت – لبنان.
75. اللباب في علوم الكتاب: تأليف الإمام المفسر أبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1419هـ، 1998م.
76. لسان العرب: للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور – دار صادر – بيروت – الطبعة الأولى.
77. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرَّة المضيَّة في عقد الفرقة المرضية: تأليف العالم الطويل الباع الواسع الإطلاع صاحب البرهان الجلي الشيخ محمد بن أحمد السفاريني الأثري الحنبلي – منشورات مؤسسة الخافقين ومكتبتها – الطبعة الثانية 1402هـ، 1982م.
78. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلس – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى 1413هـ، 1993م.
79. مختصر منهاج القاصدين: تأليف أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي – آفاق للطباعة والنشر – غزة – الطبعة الأولى 1421هـ، 2001م.
80. المستدرك على الصحيحين: للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – 1411هـ/1990م.
81. معارج التفكر ودقائق التدبر: عبد الرحمن حبنَّكة الميداني – دار القلم دمشق – الطبعة الأولى 1420هـ، 2000م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

82. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد: تأليف الشيخ حافظ بن أحمد حكمي – دار ابن القيم للنشر والتوزيع – الطبعة الأولى 1410هـ، 1990م – ضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه عمر بن محمود أبو عمر.
83. معالم التنزيل في التفسير والتأويل: تأليف أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي – دار الفكر – الطبعة الأولى 1422هـ – 2002م.
84. المعجم الأوسط: تأليف الإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني – دار الفكر للطباعة والنشر – عمان – الأردن – الطبعة الأولى 1420هـ، 1999م – تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي.
85. معجم البلدان: للشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي المتوفى سنة 626 هجري – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى– 1410هـ/1990م.
86. معجم ألفاظ القرآن الكريم: مجمع اللغة العربية – الطبعة الأولى.
87. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي – دار الحديث القاهرة – طبعة سنة 1412هـ، 2001م.
88. معجم المقاييس في اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المتوفى سنة 395هـ – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الطبعة الثانية 1418هـ، 1998م.
89. معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية: تأليف عمر رضا كحالة – مكتبة المثنى للنشر – بيروت، ومكتبة دار إحياء التراث العربي.
90. المعجم الوسيط: الدكتور إبراهيم أنيس، الدكتور عبد الحليم منتصر – الطبعة الثانية.
91. المفردات في غريب القرآن: تأليف أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني – دار المعرفة – بيروت – لبنان – تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني.
92. المقتطف من عيون التفسير: للمرحوم الشيخ مصطفى الخيري المنصوري – دار القلم دمشق – الطبعة الثانية 1417هـ، 1996م – حققه وخرج أحاديثه محمد علي الصابوني.
93. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية: لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الشهير بابن تيمية الحرَّاني – دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.
94. المواقف في علم الكتاب: تأليف عَضُد الله والدين القاضي عبد الرحمن بن أحمد الإيجي – عالم الكتب – بيروت، مكتبة المثنى القاهرة، مكتبة سعد الدين – دمشق.
95. موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب والحركات الإسلامي: دكتور عبد المنعم الحنفي – مكتبة مدبولي 2005 – الطبعة الثالثة: 2005.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

96. موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي: الدكتور رفيق العجم – مكتبة لبنان – الطبعة الأولى 1999م.
97. نحو علم نفس إسلامي: دكتور حسن محمد الشرقاوي – تقديم الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود والكاتب الكبير الدكتور مصطفى محمود – الناشر مؤسسة شباب الجامعة – الإسكندرية – النسخة الأخيرة.
98. النكت والعيون تفسير الماوردي: تصنيف أبي الحسن علي بن محمد بن صبيبا الماوردي البصري – دار الكتب العلمية – الطبعة الأولى 1412هـ، 1992م.
99. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان – دار صادر بيروت – حققه الدكتور إحسان عباس.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس الموضوعات

الموضـــوع	الصفحـــة
الافتتاح	أ
الإهداء	ب
شكر وتقدير	ت
المقدمة	(ج – ر)
التمهيـــد **مفهوم الإرادة وأنواعها**	(22 – 1)
أولاً: تعريف الإرادة لغة واصطلاحاً	1
ثانياً: راد ومشتقاتها في السياق القرآني	3
ثالثاً: أنواع الإرادة في القرآن الكريم	12
• الإرادة الإلهية	12
• الإرادة الإنسانية	17
• الإرادة الفطرية	18
• الإرادة الشيطانية	20
رابعاً: علاقة الإرادة بالمحبة والرضا	21
خامساً: علاقة الإرادة بالنيَّة	22
الفصـــل الأول **ميادينـــ الإرادة الإنسانيـــة**	(84–24)
المبحث الأول: الإرادة الإنسانية في ميادين الخير	26
• بين يدي المبحث	26
• المطلب الأول: إرادة الإصلاح	26
○ أولاً: إصلاح سيدنا شعيب عليه السلام في قومه	26
○ ثانياً: إرادة الإصلاح بين الزوجين	28
• المطلب الثاني: إرادة النصح	31
• المطلب الثالث: إرادة السعي للآخرة	33

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الموضـــوع	الصفحـــة
○ الأسباب التي تصرف الإنسان عن إرادة الآخرة	36
• المطلب الرابع: إرادة النكاح واستبدال الأزواج	38
○ إرادة نكاح سيدنا موسى عليه السلام	41
○ إرادة نكاح النبي صلى الله عليه وسلم	44
• المطلب الخامس: إرادة الرضاع	45
• المطلب السادس: إرادة التحصّن	50
المبحث الثاني: الإرادة الإنسانية في ميادين الشر	54
• بين يدي المبحث	54
• المطلب الأول: إرادة الإضلال	54
○ صور أخرى من صور إرادة الإضلال	56
▪ إرادة الإحسان عند المنافقين	56
▪ إرادة التفريق بين الله ورسله	60
▪ إرادة تبديل كلام الله	61
▪ إرادة الانحراف والميل العظيم	62
▪ إرادة آلهة الإفك	62
• المطلب الثاني: إرادة الخداع	63
• المطلب الثالث: إرادة السوء	65
• المطلب الرابع: إرادة الخيانة	68
• المطلب الخامس: إرادة نقض العهود	70
• المطلب السادس: إرادة الفجور	73
• المطلب السابع: إرادة القتل والجبروت	75
• المطلب الثامن: إرادة الكيد	76
• المطلب التاسع: إرادة الفرار من الواجب	79
• المطلب العاشر: إرادة الإلحاد	81
• المطلب الحادي عشر: إرادة ولاية الكافرين	82

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الموضـــوع	الصفحـــة
الفصـــل الثانـــي **العوامـــل المؤثرة في الإرادة الإنسانيـــة**	(85-120)
المبحث الأول: خضوع الإرادة الإنسانية لمشيئة الله وإرادته	86
• بين يدي المبحث	86
• المطلب الأول: إرادة إطفاء نور الله	89
• المطلب الثاني: إرادة الخروج من النار	90
المبحث الثاني: اتباع الإرادة الإنسانية لوساوس الشيطان	92
• بين يدي المبحث	93
• الوسوسة وعلاقتها بإرادة الإنسان	94
• علاج الوسوسة	96
• المطلب الأول: إرادة الشيطان إضلال الإنسان وتحاكمه للطاغوت	96
○ دور اليهود في إضلال العالم عن طريق التحاكم إلى الطاغوت	99
○ صور إضلال الشيطان	100
▪ تبتيك آذان الأنعام وتغيير خلق الله	100
▪ الأمر بالسوء والفحشاء والتقول على الله بغير علم	102
▪ مشاركة الشيطان للناس في أموالهم وأولادهم	104
▪ التناجي بالإثم	106
▪ إنساء ذكر الله تعالى	107
• المطلب الثاني: إرادة الشيطان في إيقاع العداوة والبغضاء	108
المبحث الثالث: اتباع الإرادة الإنسانية لشهوات الدنيا والنفس والهوى	112
• بين يدي المبحث	113
• المطلب الأول: إرادة الدنيا وزينتها	113
• المطلب الثاني: إرادة النفس وشهواتها	116
• المطلب الثالث: إرادة اتباع الهوى	118

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الموضـــوع	الصفحـــة
الفصـــل الثالـــث **أنـــواع الإرادة الإنسانيـــة**	(153-121)
المبحث الأول: الإرادة الإنسانية الأخروية	123
• بين يدي المبحث	123
• المطلب الأول: إرادة الله ورسوله والدار الآخرة	123
• المطلب الثاني: إرادة التذكر والشكر	126
• المطلب الثالث: إرادة العزَّة	128
• المطلب الرابع: إرادة الهداية	130
المبحث الثاني: الإرادة الإنسانية الدنيوية	133
• بين يدي المبحث	134
• المطلب الأول: إرادة تحقيق المنفعة	134
• المطلب الثاني: إرادة الطعام	135
• المطلب الثالث: إرادة العلو في الأرض	137
المبحث الثالث: الإرادة الإنسانية العامة	141
• المطلب الأول: إرادة سؤال الرسول	142
• المطلب الثاني: إرادة البوء بالإثم للآخرين	143
• المطلب الثالث: إرادة النفي من الأرض	145
• المطلب الرابع: إرادة حلول الغضب	146
• المطلب الخامس: إرادة الصد عن عبادة الآباء	148
• المطلب السادس: إرادة التفضل على البشر	149
• المطلب السابع: إرادة إيتاء الصحف	151
الخاتمـــــة	153
• أولاً: أهم النتائج	153
• ثانياً: التوصيات	155

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الموضـــوع	الصفحـــة
الفهـــــارس	156
• أولاً: فهرس الآيات القرآنية	157
• ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة	169
• ثالثاً: فهرس الأعلام	171
• رابعاً: فهرس المصادر والمراجع	172
• خامساً: فهرس الموضوعات	180
ملخص الدراسة باللغة العربية	185
ملخص الدراسة باللغة الإنجليزية	186

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ملخص الدراسة باللغة العربية:

يدور هذا البحث حول موضوع: (**الإرادةالإنسانية في ضوء القرآن الكريم – دراسة موضوعية**)، وقد تمثل في خمسة محاور على النحو التالي:

المحور الأول: التمهيد، وفيه مفهوم الإرادة وأنواعها، تناول تعريف الإرادة في اللغة والاصطلاح، ومتابعة ورود كلمة (راد) واشتقاقاتها في القرآن الكريم، وتناول أنواع الإرادة في القرآن الكريم، وهي الإرادة الإلهية، والإرادة الإنسانية، والإرادة الفطرية، والإرادة الشيطانية، ثم بيّن علاقة الإرادة بالنية، وعلاقة الإرادة بالمحبة والرضا.

المحور الثاني: تمثل في الفصل الأول، وهو (ميادين الإرادة الإنسانية)، تناول الإرادة الإنسانية في ميادين الخير، وهي إرادة الإصلاح، وإرادة النصح، وإرادة السعي للآخرة، وإرادة النكاح واستبدال الأزواج، وإرادة الرضاع، وأخيراً إرادة التحصن، وذلك في المبحث الأول من الفصل، أما المبحث الثاني فقد تحدث عن الإرادة الإنسانية في ميادين الشر، وهي إرادة الإضلال، وإرادة الخداع، وإرادة السوء، وإرادة الخيانة، وإرادة نقض العهود، وإرادة الفجور، وإرادة القتل والجبروت، وإرادة الكيد، وإرادة الفرار من الواجب، وإرادة الإلحاد، وأخيراً إرادة ولاية الكافرين.

المحور الثالث: تمثل في الفصل الثاني، وهو بعنوان (العوامل المؤثرة في الإرادة الإنسانية)، وهي خمسة عوامل، تحدثت عنها في ثلاثة مباحث، المبحث الأول: خضوع الإرادة الإنسانية لإرادة الله ومشيئته، المبحث الثاني: اتباع الإرادة الإنسانية لوساوس الشيطان، المبحث الثالث: اتباع الإرادة الإنسانية لشهوات الدنيا والنفس والهوى.

أما المحور الرابع: فقد تمثل في الفصل الثالث، وهو بعنوان (أنواع الإرادة الإنسانية)، وهي المبحث الأول: الإرادة الإنسانية الأخروية، تحدثت فيه عن إرادة الله ورسوله والدارالآخرة، وإرادة التذكر والشكر، وإرادة العزة، وإرادة الهداية. أما المبحث الثاني: تحدثت فيه عن الإرادة الإنسانية الدنيوية وهي إرادة تحقيق المنفعة، وإرادة الطعام، وإرادة العلو في الأرض. أما المبحث الثالث: فهو بعنوان الإرادة الإنسانية العامة تحدثت فيه عن إرادة سؤال الرسول، وإرادة البوء بالإثم للآخرين، وإرادة النفي من الأرض، وإرادة حلول الغضب، وإرادة الصد عن عبادة الآباء، وإرادة التفضل على البشر، وإرادة إيتاء الصحف.

المحور الخامس: تمثل في خاتمة البحث واشتملت على أهم النتائج والتوصيات.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ABSTRACT

This research revolves around the theme: (the human will in the light of the Quran – an objective study), may be represented in five themes as follows:
Reporter I: boot, and the concept of the will and the kind, will take up the definition of language, idiomatic, and follow-up and received word (red) and aquivelant in the Koran, and will address the types in the Koran, the divine will and human will, fungal and the will, the will is evil, and between relationship will ÷ intention and the relationship will love and satisfaction.

The second axis: represent in Chapter I, he (the fields of human will), will address the humanitarian situation in the fields of charity, which will reform and will advice, and will strive for the Hereafter, and will replace the marriage and couples, and the will of breastfeeding and, finally, will be fortified, in the first topic of chapter, but the second part, talked about the human will in the fields of evil, which will Misguidance, and the will to deception, and bad will, the will of treason, betraying promises and the will and the will of debauchery, and the will of murder and tyranny, and the will of the plot, and the will to escape from duty, and the will of atheism, and finally the will of the state unbelievers.

The third axis: represents in the second quarter, which is entitled (the factors affecting the human will), the five factors that I talked about in three sections, first topic: the human will be subject to the will of God and his will, the second topic: the human will of follow the delusions of Satan, the third part: to follow the human will to the desires of this world and the soul and passion.

The fourth axis: it was the third chapter, entitled (types of the human will), the first topic: the human will Hereafter, spoken about the will of God and His Messenger and the Hereafter, and will remember and thank, pride and the will and the will of guidance. The second topic: talking about the human will is the will of achieve worldly benefit, and the will of food, and the will of height in the ground. The third topic: the human will of entitled spoke about the public will question the Prophet, and the will of Albu guilt of others, and the will of exile from the land, and the solutions will anger, and will rollback the worship of parents, and will kindly on people, and will deliver the newspapers.

Theme V: represents the conclusion of research and included the most important findings and recommendations.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com